



مَجَلَّةُ مَجَامِعُ الْعَرَبِ الْأَرْبَعِين

السنة الثانية والعشرون

العدد ٥٥

تموز - كانون الأول ١٩٩٨

ذو القعدة ١٤١٨هـ - ربيع الآخر ١٤١٩هـ

ISSN 0258 - 1094



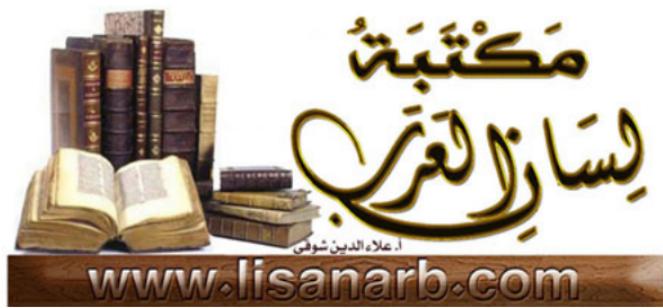
مَحَلَّ مَجَعَ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَرْدُنِيَّةِ

السنة الثانية والعشرون

العدد ٥٥

تموز - كانون الأول ١٩٩٨

ذو القعدة ١٤١٨هـ - ربيع الآخر ١٤١٩هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هيئة تحرير المجلة

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة

رئيس المجمع

الأعضاء:

نائب رئيس المجمع

- الأستاذ الدكتور محمود السمرة
الأستاذ الدكتور سعيد التل
الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم
الأستاذ الدكتور إسحق أحمد فرحان
الأستاذ الدكتور بن بشناق
الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري
الأستاذ الدكتور إحسان عباس
الأستاذ الدكتور قنديل شاكر
الأستاذ الدكتور عبدالمجيد نصیر
الأستاذ الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني
الأستاذ الدكتور عبداللطيف عربیات
الأستاذ الدكتور همام غصیب
الأستاذ الدكتور محمد شيخ السروجية



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanearb.com رابط بديل

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٩	البحوث
١١	١- المعجم العربي الموحد لأنفاظ الحياة العامة في العصر الحديث د. عبد الكريم خليفة
٥١	٢- مناهج التأصيل في التراث اللغوي مثل من كتاب المنصف (شرح التصريف) لابن جني
١٠٧	٣- شعر الهجاء في بلاد الشام زمان الحروب الصليبية
١٦٩	٤- عبد الله بن أيوب التميمي حياته وشعره
٢١٥	مع الكتب
٢١٧	إضافات أخرى إلى كتاب شعراء عباسيون
٢٣٣	تعليقات ومناقشات
٢٣٥	تقعيد قاعدة نحوية إضافة الجهات الأربع
٢٤٧	أخبار مجتمعية

البحوث

المعجم العربي الموحد

لألفاظ العيادة العامة في العصر الحديث^(١)

الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة
رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

ترددت كثيراً في تحديد عنوان هذا البحث الذي يتناول قضية من أهم القضايا اللغوية التي تواجه العربية في مسيرتها العلمية والأدبية والاجتماعية والتقنية في العصر الحديث. والعربية التي نتحدث عنها هي العربية الفصيحة التي تمثل جوهر وجود أمّنا وهي في الوقت ذاته لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لغة العروبة والإسلام... ومنذ أصبحت العربية، لغة الوحي الإلهي، فقد انتقلت من كونها لغة أمّة من الأمم، تصدق عليها نواميس نشوء اللغات وارتقاءها واندثارها أو انحلالها إلى لغات أخرى. أقول: انتقلت العربية الفصيحة من حيث ثوابتها إلى كونها لغة خالدة بخلود القرآن الكريم. فالعربية الفصيحة باقية إلى الأبد، طالما بقي في الكون مسلمون مؤمنون بكتاب الله العزيز الذي أنزله وحده على رسوله الأمين، صلوات الله وسلمه عليه، بلسان عربي مبين.

وتتصل هذه القضية اللغوية التي نتحدث عنها، بمواكبة العربية متطورات الحياة والتعبير عن شؤونها وأدواتها وكل ما يمت لها بسبب في هذا الكون الرحيم. فتوقفت مليأً عند تحديد طبيعة هذا المعجم موضوع البحث، وتحديد هوية

(١) ألقى هذا البحث في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الرابعة والستين، يوم الثلاثاء ١١ من ذي القعدة منة ١٤١٨ هـ الموافق ١٠ من مارس (اذار) سنة ١٩٩٨ م.

ألفاظه ومفرداته. فاتجه الفكر بادئ ذي بدء إلى القول: "الآفاظ الحضارة في العصر الحديث"، ولكنني شعرت بتساؤلات تطفو على الذهن، منها ما يتعلّق بتحديد مفهوم الحضارة... ومنها ما يتعلّق بتعريف أهل الحضارة والشعوب التي تتّسب إلى حضارة معينة... وكثرة الشروح والتعرّيفات اللغوية والاصطلاحية لكلمة "حضارة". فقيل: الحضارة تعني الإقامة في الحضر وهي خلاف البداوة، ويقال: فلان من أهل الحضارة أي من سكان المدن والقرى وليس من سكان الخيم.....

وإن نظرة شاملة في تاريخ هذه المجتمعات الإنسانية، تدلنا على أن هذه المجتمعات متحولة ونامية ومتطرّفة، وأن التفرّيق بين الحضارة والبداوة، لا يتّبع التحدّيد اللغوي؛ ويصبح الأمر أكثر وضوحاً عندما يتناول الحديث صفة الجمع "الحضارات" ومفرداتها: حضارة، إذ يتّبع معناه اللغوي إلى معنى اصطلاحي يعني مجموع الخصائص الاجتماعية الدينية والخلقية والتكنولوجية والعلمية والفنية الشائعة في شعب معين كالحضارات المصرية القديمة، والصينية وما بين الرافدين واليونانية واللاتينية والعربية والأوروبية... إلخ وإن هذا المدلول يشمل الحياة المادية والروحية للإنسان...

ونحن عندما نتحدّث عن "الآفاظ الحضارة" في مشروعنا المعجمي في الوقت الحاضر، فإنما نعني جميع الآفاظ التي يستعملها الإنسان العربي في " حياته العامة" من مأكل ومشروب وملبوسات وما يتعلّق بها... ومن منزل وأدوات منزلية وأثاث وما يتعلّق بشؤون البيت وكذلك أسماء الأماكن العامة والخاصة وما يتعلّق بها، والمكاتب وأدواتها وأجهزتها، والمركبات وما يتعلّق بها، والحرف وأنواع المهن والصناعات وأدواتها ومواد المستعملة فيها، وكذلك ما يتعلّق بالتربيبة الرياضية وأنشطتها، وجوانب الحياة الفنية، ومجالات الترويج والزينة. ويتّبع هذا المدلول، التعبير عن الأدوات والأشياء المادية، إلى التعبير عن

الحياة الثقافية العامة التي تتمُّ عن الحسُّ الحضاري والاجتماعي والذوق الجمالي في التعامل بين الأفراد والجماعات في حياتهم اليومية، وفي لغة مختلف وسائل الاتصالات الجماهيرية.

ونحن إذ حدثنا الموضوعات التي يتناولها مشروع معجمنا، فلا ضير علينا إذا أطلق عليه عنوان: "المعجم العربي الموحد لأنفاظ الحياة العامة في العصر الحديث" أو "المعجم العربي الموحد لأنفاظ الحضارة في العصر الحديث"، وربما كان الأخذ بعبارة "أنفاظ الحياة العامة" أكثر دقة ووضوحاً، وأبعد عن اللبس الذي تتبرأ عبارة "أنفاظ الحضارة في العصر الحديث" ...

ومهما تكون التسمية التي نختارها، فإن "أنفاظ الحياة العامة" أو "أنفاظ الحضارة" تضرب في جذورها بعيداً في حياة أمتنا في أقاليمها المختلفة، وهي مستمرة ونامية ومتطرفة عبر القرون باستمرار الحياة ذاتها، والحاجة إلى التعبير عن شؤونها وعن كل طارئ جديد. وإن العفوية وإشاعة الاستعمال وال الحاجة إلى التعبير، تكون الأسس الثابتة في إنشاء الأنفاظ والتعابير الاصطلاحية التي كان الناس يشعرون بالحاجة إليها في مختلف أقاليمهم ومدنهم وبينائهم.

وربما كان من الصواب، أن ننبه منذ البداية في بحثنا هذا، إلى قضية لغوية مهمة راقت العربية الفصيحة الموحدة، بعد أن أصبحت لغة القرآن الكريم ولغة الإسلام في العقيدة والفكر والسياسة. وتمثل هذه القضية باللبس الذي حدث في فهم العلاقة بين لغة الحياة اليومية وأنفاظها الدالة على مختلف شؤون الحياة المعيشية، وبين العامية. فقد خرج العرب، من جزيرتهم، يرفعون راية الإسلام، ويحملون القرآن الكريم دعوة إنسانية سامية، تتساوى أمامها أجناس البشر وألوانهم وأعرافهم، دون إكراه أو قهر. وقد خرج الصحابة والتابعون، مجاهدين في جيوش الفتح، معلمين وناشرين مبادئ الإسلام. فكانت حلقات العلم، وتعليم القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة تسير جنباً إلى جنب مع الجيوش

الفاتحة. وأصبح تعلم القرآن الكريم وتعلم العربية قراءة وكتابة واجباً على كل مسلم يدخل في هذا الدين الحنيف... وإن نظرة شاملة على المدى الذي وصلت إليه الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام والعصر الأموي، تبيّن لنا مدى الأصالة في تعريب الشعوب المختلفة التي اعتنقت الإسلام. فما إن يمر جيلان أو ثلاثة على أبناء من اعتنقا الإسلام، حتى تصبح العربية لغة التفسير والحديث والفقه، ولغة النثر والشعر والعلم، كما تحدثنا الوثائق التي بين أيدينا حول تعريب هذه الشعوب ولا سيما تعريب الأندلس.

منذ مطلع القرن الثالث الهجري، نجد أن حركة التعريب قد امتدت في الأندلس لتشمل الطوائف المسيحية التي بقيت محافظة على عقيدتها. وكان من طبيعة الأشياء، وسنتن العمران البشري والامتداد الجغرافي للدولة الإسلامية من حدود الصين والهند شرقاً إلى أطراف أوروبا غرباً، بشعوبها ولغاتها المختلفة، أن تتجه الدراسات اللغوية العربية، إلى تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وإلى تعلم العربية في مصادرها الأصيلة في الشعر والنثر والخطابة... فالنص القرآني هو النص الذي نشأت حوله جميع الدراسات اللغوية والأدبية الأخرى.

وكان الشعر في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام والعصر الأموي، وكذلك ما حفظ من خطب ورسائل ونشر، هي المصادر اللغوية الأساسية في تفسير ألفاظ القرآن الكريم وفهم معانيه... والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها كتاب "العقد" لابن عبد ربه الأندلسي. فقد ألف هذا الكتاب في أوائل القرن الرابع الهجري بالأندلس، ومن المعروف أن ابن عبد ربه لم يخرج من الأندلس طيلة حياته، ومع ذلك فقد اقتصر في اختيار النصوص، على النصوص المشرقة التي لا تتجاوز صدر الإسلام والعصر الأموي. وقد أخطأ الصاحب بن عباد، في فهم هدف ابن عبد ربه الأندلسي من تأليف "العقد" عندما

قال: هذه بضاعتـنا رُدّت إلينا. إذ كان الصاحب يتوقع أن يقرأ أثباً أندلسيّاً، في هذا المصنف الأندلسيّ، ولكنه وجد فيه النصوص الأدبية المشرقة. وحقيقة الأمر أن ابن عبد ربه، أراد أن يضع كتاباً تعليمياً لأبناء وطنه في الأندلس، فاختار نصوصاً من العربية العالية، التي تمثل ذروة الفصاحة والبلاغة والإبانة... فجاء كتاب "العقد" ليمثل أهم المصادر اللغوية والأدبية.

وسررت المؤلفات اللغوية والمعجمية، منذ وقت مبكر، ومنذ معجم "العين" للخليل بن أحمد وهي تعنى بالعربية الفصيحة، بثوابتها نحواً وصرفاً وتجويد لفظ، وبأساليبها التي تتأى عن الدخيل... والمعاجم الترااثية في معظمها يأخذ بعضها عن بعض. وهي في ذلك كله حريصة على اللغة العربية الفصيحة، اللغة الجامعية، لغة الثقافة والفكر والعلم والسياسة.

ومنذ البداية، كان إلى جانب لغة الكتابة في مستوياتها الأدبية والعلمية المختلفة، اللغة المحكية بمستوياتها المختلفة أيضاً. فاللغة المحكية تختلف عن اللغة المكتوبة في جميع اللغات، حديثاً وقديماً. وإن اللغة العربية المحكية لا تعنى بالضرورة اللغة العامية أو بعبارة أدق اللهجة العامية العربية. وإنما تتبع اللغة المحكية أو تقترب من اللغة الفصيحة، تبعاً لانتشار الثقافة والمستوى العلمي والفكري في شرائح المجتمع العربي وبيناته.

وكان من نواميس العمران البشري وداعي شؤون الحياة اليومية في أقاليم الدولة الإسلامية، وفي مجتمعات مدنها وقرابها وريفها وبواديها، أن تعبر اللغة العربية المحكية عن حاجات الإنسان في حياته المعيشية من مطعومات ومشروبات وملبوسات ومشمومات وأثاث وبيوت ومساجد وأدوات وحرف وصناعات وتجرارات، دور العلم والمستشفيات (المارستانات).. إلخ وما كان يعني التعبير عن هذا كله أنه تعبير بلغة عامية أو يصنف في أبواب اللحن. فقد استواعت العربية، في تماستها مع حضارات الشعوب الأخرى كل ما يتعلق بأدب

الحواس، مما لا تعرفه في بيئتها الأصلية. فأخذت من حضارات مختلف الأمم أسماء مأكولاتها ومطعوماتها ومشروباتها... إلخ على سبيل التعرير وأودخلته لغتها وأجرت عليه قوانين العربية. وفي كثير من الأحيان أضفت على هذه الألفاظ العجمية رونق العربية... فهذا رائد أصيل إلى جانب الاستفهام والمجاز والنقل والنحت والوضع، يجعل العربية لغة حية نامية، عبر مسيرتها التاريخية، قادرة على التعبير عن حاجات الإنسان العربي وعن كل جديد، سواء أكان أعمامي المنيب أم عربي المنشأ.

وإن نظرة فاحصة في معاجمنا التراثية العربية، تبين لنا بسهولة أنها قد نأت ب نفسها عن تسجيل لفاظ الحياة اليومية وتعابيرها، لا لزهد بها ولا لاتهام لعجمتها ولا لغمب لفصاحتها، ولكن لأنها، على حد ما نراه، خارجة عن مناهجها ولا تقع في مجال اهتمامها، ولا تتنظمها الأهداف التي سعت إلى تحقيقها. وربما من المفيد في هذا الباب أن نتوقف عند مقدمة ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن المكرم بن علي بن أحمد الانصاري الخزرجي المصري المتوفى سنة ٧٤١هـ في معجمه "سان العرب" الذي يوصف بحق بأنه "أم المعاجم العربية" جميعاً.

يقول ابن منظور في مقدمته: "وابني لم أزل مشغوفاً بمطالعات كتب اللغات والاطلاع على تصانيفها، وعمل تصارييفها، ورأيت علماءها بين رجالين: أما من أحسن جمعة فإنه لم يُحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه، فإنه لم يجد جمعه".

ثم ينتقل ابن منظور إلى الحديث عن مصادره التي أخذ عنها، فيحدها بقوله: " ولم أجد في كتب اللغة أجمل من "تهذيب اللغة" لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري. ولا أكمل من "المخكم" لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسى رحمهما الله، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثبات للطريق، غير أن كلاً منها مطلب عسر المھلک، ونھل وغز

المسلك ... فأهل الناس أمرها ... وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب، وتخلط التفصيل والتبويب". وبعد هذا التقويم والإشادة بمكانة هذين المصدرين اللغويين ونقد منهجهما، يتحدث ابن منظور عن الجوهرى فيقول: "رأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى، قد أحسن ترتيب مختصره، وشهره - بسهولة وضعه - ... فخف على الناس أمره فتناولوه ... غير أنه في جو اللغة كالذرة ... وإن كان في نحراها كالذرّة... وهو مع ذلك قد صحف وحرف وجذف فيما صرف، فأتيح له الشيخ أبو محمد بن بزى، فتتبع ما فيه، وأملأ عليه أماليه، مُخرجاً لسقطاته موزعاً لغلطاته، فاستخرت الله سبحانه وتعالى في جمع هذا الكتاب المبارك ... ولم أخرج فيه عمّا في هذه الأصول، ورتبته ترتيب "الصحاح" في الأبواب والفصل ..." .

وبعد ذلك يحدثنا عن مصدره في الأخبار والآثار والكلام على معجزات القرآن الكريم، فيقول: "وَقَصَدْتُ تَوْسِيْحَه بِجَلِيلِ الْأَخْبَارِ وَجَمِيلِ الْأَثَارِ، مُضَافاً إِلَى مَا فِيهِ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْكَلَامُ عَلَى مَعْجَزَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، لِيَتَحَلَّ بِتَرْصِيبِ دُرْرَهَا عِقْدَهُ، وَيَكُونُ عَلَى مَدَارِ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَثَارِ وَالْأَمْثَالِ وَالْأَشْعَارِ حَلَّةً وَعِقْدَهُ، فَرَأَيْتُ أَبَا السَّعَادَاتِ الْمَبَارِكَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ الْأَثِيرِ الْجَزَرِيِّ، قَدْ جَاءَ فِي ذَلِكَ بِالنَّهَايَا ... وَبَعْدَ أَنْ يَقُولَ أَبُو مَنْظُورٍ هَذَا الْمَصْدِرُ الْمُهُومُ، يَبْيَنُ مَا أَضَافَ إِلَيْهِ وَمَا أَدْخَلَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: "... غَيْرُ أَنَّهُ [أَيْ أَبُو الْأَثِيرِ] لَمْ يَضْعِفْ الْكَلِمَاتَ فِي مَحْلِهَا، وَلَا رَاعَى زَانِدَ حِرْوَفَهَا مِنْ أَصْلِهَا، فَوَضَعَتْ كُلُّ مِنْهَا فِي مَكَانِهِ، وَأَظْهَرَتْهُ مَعَ بَرَهَانِهِ، فَجَاءَ هَذَا الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَاضْعَفَ الْمَنْهَاجَ سَهْلَ السُّلُوكِ ...".

تحديث ابن منظور في مقدمته هذه بأنه جمع ما في هذه المصادر من العلوم واللغات والشواهد والأدلة، بحيث يعني بما فيه عن غيره، ويفقر غيره إليه. إلى أن يقول: "فَجَمِعْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا تَفَرَّقَ، وَقَرَنْتُ بَيْنَ مَا غَرَبَ مِنْهَا وَبَيْنَ مَا شَرَقَ. فَانْتَظِمْ شَمْلُ تَلْكَ الْأَصْوَلِ فِي هَذَا الْمَجْمُوعِ ...".

وربما يجيب ابن منظور عن التساؤلات حول أهداف وضع هذه المعاجم اللغوية، وحرصها على تسجيل العربية ببنائها وفصاحتها، التي واكبت نزول القرآن الكريم واستمرت بعده فيما سُمي بعصر الاحتجاج، وذلك بقوله:

”أنا مع ذلك، لا أدعُ في دعوى، فأقول: شافهتُ أو سمعتُ، أو فعلتُ أو صفتُ، أو شدلتُ أو رحلتُ، أو نقلتُ عن العرب العرباء أو حملتُ، فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الأزهري وأبن سيده لقائلٍ مقالاً، ولم يخلِّيا فيه لأحد مجالاً، فإنَّهما عينا في كتابيهما عنْ رويا...“.

ويجمل ابن منظور عمله في هذا المعجم اللغوي الأساسي بقوله: ”ليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمتُ بها، ولا وسيلة أتمسّك بسيبها، سوى أنني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم، وبسطت القول فيه ولم أشبع باليسير... فمن وقف فيه على صواب أو زلل، أو صحة أو خلل، فعهده على المصنف الأول... لأنني نقلت من كل أصلٍ مضمونه، ولم أبدل فيه شيئاً... بل أديت الأمانة في نقل الأصول بالنَّص... فلينعَنَّ من ينقل عن كتابي هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة...“.

ويخلص ابن منظور في مقدمته إلى تحديد هدفه من هذا العمل الجليل، فيقول: ”فإنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضليها، إذ عليه مدار أحكام الكتاب العزيز، والسنَّة النبوية، ولأن العالم بعوامضها يتعلَّم ما تُواافق فيه النَّيَّةُ اللسان، ويختلفُ فيه اللسانُ النَّيَّةُ، وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى أصبح اللحن في الكلام يُعدُّ لحناً مردوداً، وصار النُّطق بالعربية من المعايب معدوداً. وتتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية، وتتفاصلوا في غير اللغة العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمنِ أهله بغير لغته يفخرون...“.

رحم الله ابن منظور، فعلى الرغم من القرون السبعة التي تفصل بيننا وبينه... فما زال معجمه "سان العرب" المرجع اللغوي الأساس عند الباحثين والدارسين في الجامعات ومراكز البحث...

ونحن في هذا العرض الشامل، لا بد أن نفرق بين معجمات لغوية، حرصت على تقييد فصيح العربية وانتظام شمل أصولها في مواطنها وبيناتها الأصلية وعلى ألسنة روائتها وشعائرها وفصحائها والخطباء والكتاب والمترسلين... وبين الكتب والمصنفات التي ألفت في مختلف مجالات العلوم والفنون والأداب، واستعملت مصطلحات وألفاظاً، لم تدخل المعاجم العربية. وإن أي دراسة لغوية جادة، ستجد في هذه المؤلفات مصدرأً خصباً للتطور التاريخي الذي طرأ على ألفاظ اللغة العربية ودلائلها على مز العصور.

فإذا كانت المعاجم العربية التراثية، التي عنيت بفصاحة اللغة ونقايتها لم تسجل ألفاظ الحياة العامة والمصطلحات العلمية، فإنها لم تذكر وجودها، ولا قضت بتحريمها ولا تعرضت إلى نسبها. فالالفاظ الأعممية التي تلوّكها الألسن العربية ويكثر استعمالها، تدخل الكلم العربي، وتصبح عربية الهوية.

ولم تتعرض هذه المعاجم التراثية لمؤلفات المؤرخين والجغرافيين والأطباء والنباتيين والفلكيين والقصاصين، ومصطلحاتهم ومفرداتهم اللغوية ومستويات أساليبهم التي تقترب من اللغة المحكية. ونحن نعتقد أن ذلك يرجع إلى اختلاف في الأهداف، فإن ثوابت العربية من حيث الجوهر ومن حيث هي لغة، كانت القاعدة الأساسية التي يصدر عنها كل نشاط فكري وعلمي وثقافي. ولم تكن العربية في يوم من الأيام بمعزل عن الحياة اليومية والتعبير عن مختلف شؤونها وحاجاتها، سواء أكانت لغة محكية أم مكتوبة. وإذا كانت اللغة المكتوبة، قد عنيت من حيث المبدأ بكل ما هو عام، ويقع بمركز اهتمام الأمة ووحدتها في العقيدة وعلوم القرآن وعلوم الحديث وعلوم اللغة وعلم الكلام والمنطق وعلوم

الأوائل.... مستعملة مفردات لغوية ومصطلحات موحدة يفهمها المشتغلون بهذه العلوم والمهتمون بها، فإن هذه اللغة المكتوبة لم تحجم عن تصوير الحياة الاجتماعية في بيئات ومهن مختلفة، مستعملة لغاتها ومفرداتها الخاصة بها. وإن مؤلفات الجاحظ، لا سيما كتابه البخلاء وكتاب الحيوان، وكتاب البيان والتبيين، لخير شاهد على استعماله ألفاظ الأطعمة وألفاظ الأشربة، وألفاظ الملابس، وألفاظ الموسيقى والغناء، وألفاظ المجنون واللهو، وألفاظ اللعب، وألفاظ اللهجات الخاصة، وألفاظ اللصوص.

ولم يتزدد الجاحظ في كثير من الأحيان عن الاجتهاد اللغوي بعيداً عن معجم العربية الذي تعارف عليه اللغويون في ذلك العصر.

وكان ابن المقفع، منذ بداية العصر العباسي، قد نحا باللغة المكتوبة منحى لا ينبعُ كثيراً عن اللغة المحكية من حيث الألفاظ والتعابير والنظم، كما نرى ذلك فيما وصل إلينا من مؤلفاته "الأدب الكبير" و"الأدب الصغير" وترجمته لكتاب كليلة ودمنة والفصل الخاص الذي تعزوه معظم الروايات إليه...

ومن أهم المصنفات التي تصوّر لنا بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية والفنية في العصر العباسي، ويعتبر مصدراً مهماً للتطور اللغوي في ذلك العصر، كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني. وربما كان من المفيد أن نورد هذا النص من الأغاني، يقول أبو الفرج: "وقد حدثي الحسين بن محمد... قال: حدثي هارون بن مخارق، قال: حدثي أبي [أي مفارق المغني المشهور] قال: جاعني أبو العناية، فقال: قد عزمت على أن أتزود منك يوماً تهبه لي، فما تنشط؟ قلت: متى شئت... فلما كان من غد باكرني رسوله فجنته، فأدخلني بيته له نظيفاً، فيه فرش نظيف، ثم دعا بماندة عليها خبز سميد وخل وبقل وملح، وجدي مشوي. فأكلنا منه، ثم دعا بسمك مشوي فأصببنا منه حتى اكتفينا، ثم دعا بحلوء، فأصببنا منها وغسلنا أيدينا، وجاؤونا بفاكهة وريحان وألوان من الأبدنة،

فقال: اختر ما يصح لك منها، فاخترت وشربت وصبّ قدحاً ثم قال: غتنى في قولي...^(١).

ومما يجدر ذكره أنَّ هذه المصنفات الأدبية، كانت تجد طريقها من بغداد إلى قرطبة. فقد ذكرت الروايات أنَّ النسخة الأولى من كتاب الأغاني، قد وصلت قرطبة قبل أن تطرح في أسواق بغداد... وهذا يعني أنَّ الألفاظ الحضارية والاجتماعية الشائعة في المجتمع البغدادي، لم تكن غريبة عن الذوق اللغوي الجمالي في المجتمع القرطبي، في أزهى عصوره.

ونحن إذا تحدثنا عن الأدب الذي صور ألوان الحياة الاجتماعية وأدواتها الحضارية، لا بد أن نشير إلى بديع الزمان الهمданى ومقاماته، وأن نتوقف مليأً عند مصنفات القاضى أبي على المحسن بن علي التتوخى؛ المتوفى سنة ٣٨٤هـ ومن أهمها كتابه: "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة" الذى ألفه فى عشرين عاماً، كما تتبئنا بعض الروايات، وكذلك كتابه "الفرج بعد الشدة" الذى ألفه بعد كتاب النشور.

وإن القصص التى أوردها التتوخى في "النشوار"، تصور لنا كثيراً من جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في القرن الرابع الهجرى ببغداد والبصرة. وقد وصف كتابه النشور في مقدمته قائلاً: "هذه ألفاظ تلقطتها من أفواه الرجال، وما دار بينهم في المجالس، وأكثرها مما لا يكاد يتجاوز به الحفظ في الضماير إلى التخليد في الدفاتر، وأظنُّها ما سبقت إلى كتب مثله، ولا تخليد بطون الصحف بشيء من جنسه وشكله، والعادة جارية في مثله أن يحفظ إذا سمع ليذاكِر به إذا جرى ما يشبهه ويقتضيه، وعرض ما يوجبه ويشهد عليه"^(٢).

(١) أبو الفرج الأصفهانى، الأغاني، المجلد الثالث، القسم الأول، ص ٣٤٦، بيروت.

(٢) القاضى أبو على المحسن بن علي التتوخى، نشور المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج ١ - ٨، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م / ج ١ ص ٨.

وفي قصصه وحكاياته صُورٌ حية للمجتمع البغدادي، بل وتعتبر نصوص هذه الحكايات مصدراً مهماً لدراسة ألفاظ الحضارة العباسية التي يوردتها أحياناً بالتعبير البغدادي. يتحدث مثلاً عن "الباقلاء" بدون همزة، فيقول: "فدخل يوماً إلى دهليز داره، فرأى قشرَ باقلاء..." ويتحدث عن "البواين" وعن "الفرائش" وعن "الطيّار" [وهو نوع من السفن السريعة] وعن "الطُسْنَتْ" وعن "المُزْمَلَةْ" و"الخيار" وعن "جامة بجاذِي" وعن "الجهيد" وعن "الكر" وعن "البطرك" و"القاتيلق" و"الغرانق" وعن "القطُفْ" ... وعن "الدخالات" وعن "الرؤز" وعن "الوان" الأطعمة... والأمثلة في هذا المجال كثيرة.

وكذلك يصدق الحديث في هذا الباب عن القصص التي أوردها التتوخى في كتابه "الفرج بعد الشدة" وربما لا نعد الصواب، إذا قلنا إن مؤلفات الجاحظ وكتاب القاضي التتوخى المعروف "نشوار المحاضرة"، تعتبر من أهم المصادر لدراسة التطور اللغوي الذي طرأ على العربية في العصر العباسى.

وكان للتمازج الحضاري آثار عميقه في ألفاظ الحياة العامة في مختلف الأقطار ولا سيما في اللغة المحكية. وكان للحضارة الفارسية آثارها الواضحة ببغداد عاصمة الخلافة. فتحدى الروايات عن الأصناف الفارسية في المأكولات والمشروبات والمشومات... وقد ذكر الجاحظ كثيراً منها في كتابه "البخلاء" وفي سائر مؤلفاته... ولا غرابة أن هذه الكلمات المعرفة، وقد تداولتها المجتمع البغدادي وصقلتها الألسنة، قد دخلت في لغة الكتابة. فأصبحت بالاستعمال الشائع عربية كسائر الكلام العربي. وتحدى الروايات أنه وضع على مائدة المأمون ثلاثة لون من الطعام... !!

ولم تكن هذه الظاهرة مقتصرة على بغداد وعلى الحضارة الفارسية، ولكنها تشمل جميع مراكز الإشعاع الثقافي في الدولة الإسلامية، وتختلف في مدى اختلاطها بالأمم الأخرى ومقدار تأثيرها بحضاراتها، وكان للحضارة الفارسية

طابع خاص في الحياة الاجتماعية ببغداد عاصمة الخلافة، ومحط الأنظار. ففي الأندلس مثلاً يحدثنا ابن سيده المتوفى سنة (٤٥٨هـ) في كتابه المختص قائلاً: "وعلى هذا ما نشاهد الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء كالنجار والصانع والحائك والملاح"^(١). ولا شك أن "جمية أهل الأندلس" والعربية الدارجة تركت آثارها في لغة أصحاب المهن والحرف، مما يؤكّد اختلاف الأسماء باختلاف الأقاليم.

إن تعداد المصنفات التي عنيت بتصوير النواحي الاجتماعية وتناولت شؤون الحياة اليومية، كثيرة، وربما كان من أهم الأعمال اللغوية في هذا الباب، أن تبني مؤسسة عربية مشروع استخراج الألفاظ العربية التي تعنى بالفاظ الحضارة، من المعاجم والكتب، كي تكون رافداً من روافد المعجم الحديث للألفاظ الحياة العامة.

وإن هذه الفكرة لتقودني بالضرورة إلى ذلك المشروع اللغوي الضخم الذي ينتظر إرادة الأمة العربية وتوفير الإمكانيات المادية والعلمية لإنجازه على مستوى الوطن العربي، وهو ما دعوناه بمشروع "الذخيرة العربية". بإن يجرأ الثراث العربي، من خلال دواوين الشعراء وجميع المؤلفات والمصنفات في مختلف فروع المعرفة، ومنذ أقدم ما وصل إلينا، لتبيان معاني الألفاظ من خلال النصوص، على مدارج التطور التاريخي حتى الوقت الحاضر... وسيكون هذا المشروع اللغوي، المصدر الذي يقوم عليه مشروع المعجم التاريخي لأنفاظ اللغة العربية، وكذلك مشاريع لغوية أخرى كثيرة ومنها استخراج الألفاظ العربية التي تعنى بمسائل الحضارة... وسيكون رافداً مهماً لمعجمات متخصصة حديثة، تسوير العصر الحديث في عملية مستمرة ونامية ومتطرفة...

(١) انظر: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، المختص، ج ١-٥، بيروت، ج ١ ص ٤-٥.

وإنه لمن المحزن، كما أشرنا سابقاً، أن "سان العرب" لابن منظور، الذي تفصل بيننا وبينه فجوة زمنية تتجاوز سبعة القرون، ما زال المصدر الرئيسي الذي نعول عليه في الوقت الحاضر. وجاء معجم الزبيدي الذي سمّاه "ساج العروس" بعد "سان العرب" لابن منظور بعده قرون، وسار على منهجه واتكأ عليه، وأضاف إليه مفردات جديدة...

فاللفاظ الحضارة أو ما نسميه باللّفاظ الحياة العامة مستمرة في حياة أمّتنا العربية في أقاليمها المختلفة عبر القرون وباستمرار الحياة ذاتها، وما تدعو إليه حاجة الأمة أفراداً وجماعات إلى التعبير عن شؤونها ولوازمها. وقد شعبت الوسائل وأقحم على العربية المحكية كل دخيل أعمجي وعامي دون تشذيب أو تهذيب، ودون خطة أو منهج علمي.

وتمت القطعية بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة، وزادت الفصحى عزلة، وزادت العامية انتشاراً وانتشاراً، وبدأ الحديث عن وضع معاجم للعاميات العربية بين المستعربين في أوروبا منذ القرن السابع عشر الميلادي... ووضعت عدد من المعاجم الثانية والثلاثية للعربية والتركية والفارسية.

ويحدثنا المستعرب "دوزي" في مقدمة عمله اللغوي الضخم عن تلك المعاجم والمحاولات لوضع معجم للغة العربية الحديثة بعيداً عن اسماء "العربية الكلاسيكية"^(١). وقد صدر مؤلف "دوзи" الموسوعي، "تكاملة المعاجم العربية عام ١٨٨١م" قبل وفاة مؤلفه بستين، وكان هدفه أن يتبع المفردات والألفاظ التي لم تزرو في المعاجم العربية، فشرحها بالفرنسية وأشار إلى مصادرها وفق منهج علمي رصين... وكانت مصادر "دوзи" الأساسية، كتب التراث، المنشورة والمخطوطة، التي تناولت شتى الموضوعات التاريخية وكتب التراجم والرحلات

(١) انظر : R. DOZY, Supplement Aux Dictionnaires Arabes Leyde, 1881 / I, P. V-XV.

والكتب الأدبية والطبية والعلمية وقصص ألف ليلة وليلة وكتاب الأغاني... إلخ.

وفي بداية القرن العشرين، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وإعلان استقلال الدولة العربية السورية، انطلقت حركة مباركة للتعريب وإعادة السيادة للغة العربية الفصيحة في أوطانها. فبدأ التعريب في جميع نواحي الحياة الحضارية والعلمية... وتأسس المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩١٩م، وأنشئ معهد الطب العربي بدمشق، يدرس جميع موضوعات الطب باللغة العربية، وكذلك أنشئ معهد الحقوق وأصبحت العربية لغة التدريس الجامعي... وأقبل رجال العلم والفكر واللغة على التعريب الشامل في دواوين الدولة وفي المؤسسات العلمية وفي ألفاظ الحياة العامة. وتجاوب رجال الفكر العربي في مختلف أقطار العروبة، لهذه الحركة المباركة في بلاد الشام.

وفي هذا العرض الشامل للمسيرة التاريخية لموضوع ألفاظ الحضارة أو ما سميته ألفاظ الحياة العامة، نجد لزاماً علينا أن نشير إلى مقالات أحمد تيمور التي نشرتها مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنتي ١٩٢٢م و١٩٢٣م تحت عنوان: "تفسير الألفاظ العباسية في "تشوار المحاضرة". وكان الجزء الأول من هذا الكتاب، قد نشر في ذلك الوقت، وهو كل ما وجد في خزانة باريس، على حد تعبير أحمد تيمور. يقول صاحب المقال^(١): "تشوار المحاضرة من خير كتب المحاضرات وأمتعها، كما نسمع به فنستاقه ونرى نقولاً عنه فنزيد إليه شوقاً...".

إلى أن يقول: "وقد طالعت هذا الجزء، فعثرت فيه على طائفة من الألفاظ العباسية الكثيرة الورود في أخبار ذلك العهد، وغالبها لم تتعرض المعاجم التي بأيدينا إلى ذكره... وإنما قلنا العباسية من باب التغليب لأن جلها من الألفاظ الحادثة في العصر العباسى الأول إما بالتوليد والتعريب أو بالاستعمال في غير

(١) انظر: مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، الجزء ١٠ تشرين الأول سنة ١٩٢٢م، الموافق صفر سنة ١٣٤١هـ، المجلد ٢/ ص ٢٨٩-٢٩٦.

ما وضعت له بضروب من التجوز والتَّوسيع...". وبعد أن يتحدث أَحمد نِيمور عن الصعوبات التي جاء بها في مثل هذه المباحث، يقول موضحاً منهجه: "وقد اكتفيت في هذه الألفاظ ببيان أصولها وتوضيح معانيها غير متعرض لحكم استعمالها عند أئمَّة اللغة ولا ملتزم ذكر ما يقابلها من الفصيح تجنباً لأيقاظ فتنَة نائمة وإثارة جدالٍ عقيم جربناه مراراً، فلم نفترق فيه على وجه جميل...".

وربما كان من المفيد أن نورد نصاً من هذا العمل اللغوي الرائد يبيّن منهجه في البحث. فقد انطلق الباحث من اللغة العربية، يتبعها من خلال النصوص لتوضيح معانها. فقد تناول كلمتي "الثَّناء والأكْرَة" قائلًا: ذكر [أي] التَّوخي في نشوار المحاضرة، وهو الجزء الوحيد المعروف في ذلك الوقت] في "ص٤": في أصناف الناس الذين أورد أخبارهم في الكتاب "الثَّناء والمزارعين". وأرباب الخراج والأرضين. والأكْرَة والفلَّاحين".

الثَّناء والأكْرَة لفظان كادا يكونان خاصين بالعصر العباسى الأول، ولو تتبعهما لوجدهما كثيري الورود في أخباره، ثم يأخذان في القلة بعد ذلك إلى أن لا ترى لهما أثراً من الذكر. أما الثَّناء بضم الأول وتشديد النون فجمع "ثانٍ". وقد ورد في قوله (٨٨) وكان أبوه شاهداً جليلاً ثانناً موسراً. وورد الثَّناء في "أحسن التقاسيم للمقدسي في وصفه لشيراز وأهلها (ص٤٣٠)" بما نصه: "ولهم خصائص وصنائع وعقل ودهاء ومعرفة وصدقات وبهاء ومشابخ ووجوه وثناء".

وفي تاريخ الوزراء للصابي "ص٢١٠" أنفذ في درجِه كتاباً في جلد يضم فيه المال والدم وقد شهد فيه جماعة الشهود والوجوه والثَّناء في البلد". ومعنى الثاني الدهقان أي رئيس القرية وحاكمها. والظاهر أنهم أطلقوا أيضاً على العين من أعيان الزَّرَاع وإن لم يكن متولياً شؤون قريته، كما يطلق المصريون الآن "العمدة" على دهقان القرية، وعلى الوجيه السُّرِّي من أعيان الريف. أما الأكْرَة

بفتحتين فجمع أكّار بالفتح وتشديد الكاف وهو الزّرّاع... إلخ^(١)...

ويواصل أحمد تيمور بحثه وفق هذا المنهج اللغوي العلمي، فيتحدث عن الألفاظ الآتية: أصحاب السّتاائر والمقيسون، والمتقابلون، والقماشيون والمقالون، والزرّاق والأنجات.

وفي تتمة هذا المقال يواصل البحث، فيتحدث عن الألفاظ الآتية: التفار والمكسود والهيب والزوّبينات والنّقرة والسكنج^(٢).

ثم يتحدث أحمد تيمور عن الألفاظ الآتية وفق المنهج ذاته: الجنر ومخلط خراسان، والفيج والكيتاني والمتخلّف^(٣).

ويتابع بحوثه في تفسير الألفاظ العباسية في كتاب "النشوار" في المجلة ذاتها في الجزء السابع وفي الجزء الثامن وفي الجزء الحادي عشر... هذا مع العلم أنه لم يكن بين يديه إذ ذاك سوى الجزء الأول، وهو كل ما كان يعرف من كتاب "النشوار". لقد وضع أحمد تيمور، رحمه الله، من خلال هذه البحوث، منهجاً علمياً حيّاً.

إن القيام بتجريد التراث العربي، من كتب ومصنفات ومعاجم ودواءين لاستخراج الألفاظ العربية التي تعنى بمختلف شؤون الحياة العامة، وإن إنجاز هذا العمل اللغوي المهم ليقع على عاتق المجامع اللغوية العربية ومراكز البحوث العلمية في الجامعات. وسيكون عند إنجازه مصدراً مهماً من المصادر التي تعينا

(١) مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، الجزء ١٠ تشرين الأول/١٩٢٢م، الموافق صفر سنة ١٣٤١هـ، المجلد (٢)/ ص ٢٩٠-٢٩١.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق الجزء (١) في (١) ك ٢ سنة ١٩٢٣م الموافق ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٤١هـ، المجلد (٣) انظر: ص ٤٨-٤٣.

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، الجزء ٣ في ١ ذار سنة ١٩٢٣م الموافق ١٣ ربّع سنة ١٣١٤هـ، المجلد /٣ ص ٧٥-٧٨.

على وضع الألفاظ والمصطلحات الجديدة، مما تفتقر إليه العربية في العصر الحديث.

وإن إشارة أحمد تيمور إلى "الفترة" التي لا يرحب في إيقاظها، -على حد تعبيره- إنما هي إشارة إلى تيارين كانا محتدمين في ذلك الوقت. فتيار يرى التعبير بالألفاظ الدارجة على الأفواه ولا سيما فيما يتصل بالميدان الحضاري الشامل للحياة العامة، وهذا يعني طغيان العامي والدخيل. وتيار آخر يرى الإصلاح في التعبير عن ذلك كله، تارة بالتنقية في مكانز اللغة عن الكلمات العربية التي تدل من قرب أو بعد على ما طرأ من المسميات، مادية كانت أو معنوية، وتارة باستحداث ألفاظ وصيغ من المادة العربية الصميمية، تسد الحاجة إلى التعبير الحضاري في حياتنا الراهنة. وهذا ما فصل الحديث عنه عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة المرحوم محمود تيمور في مقدمة مؤلفه "معجم الحضارة"^(١).

إن الإشارات التي نتلمسها في هذه المقدمة النفيسة تحملنا على الاعتقاد بأن محمود تيمور كتبها في النصف الثاني من عقد الخمسينات. وأعلن عن انتصاره للفصحي وغلبة تيارها، فيقول: "ولم يبق كبير جدال في أنتا إلى الفصحي جانحون، وعن الدخيل والعامي متجادلون، وحسبنا أن الفصحي هي في يومها الحاضر - كما كانت على توالى الحقب، في حضارة العرب - لغة علم ومعرفة للأمة العربية.... لذلك بات من واجبنا أن نمكّن لهذه الفصحي، في ميدان التعبير الحضاري الشامل للحياة العامة: في البيت والمصنع والمتجز والسوق، حتى يجد الكاتب حاجته منها، سهلاً منالها، حين يتوق إلى الإقضاء بما يخطر لفكرة من معنى، أو يعالج وصف ما يقع تحت عينه من أداة...".

(١) انظر: محمود تيمور، معجم الحضارة، الطبعة الأولى، القاهرة، شعبان/١٣٨٠ هـ - يناير/١٩٦١ م.

وفي خضم هذا الجدال، يجهر محمود تيمور بدعوته انتصاراً للفصحي فيقول: "حرضت على أن أجهر بالدعوة إلى "تصحيح" أدوات الحضارة أو "تحضير" كلمات الفصحي... فتناولت بالبحث والنقد ما تفرق من ألفاظ في الكتب والصحف وما إليها من المطبوعات...".

وربما كان من المهم أن نورد هنا ما عرضه محمود تيمور الكاتب القصصي والمجمعي اللغوي حول ما يخامر مشاعر الكتاب من ضيق أمام عجز لغة الكتابة عن التعبير الدقيق عن شؤون الحياة العامة، يقول: "فالكتاب يعنيها بوصف مذيع أو ماندة أو نحوهما، إلا أن يختار أحد أمررين أحلاهما مُرّا، فإما أن يحشد على قلمه الكلمات الأجنبية أو العامية، وإما أن يتخذ للتغيير ألفاظاً فصيحة مجففة لم تأنس بها الأسماع".

ونحن نعتقد أن هذه هي القضية الشائكة أمام معجم ألفاظ الحضارة فهي كلمات الحياة العامة التي تستعمل في البيوت والشوارع وعند أصحاب المهن وفي المدارس والمكاتب ودور الفن واللهو وغيرها... وهذه الألفاظ على حد تعبيره: "إنما هي خلايا حيّة في بنية اللغة العربية، تهبها جديداً من النمو والثراء والشمول".

ولا شك أن صلة "ألفاظ الحضارة" بجماهير الناس، على مختلف شرائحهم الاجتماعية وتباين أنواعهم، تلقى ضوءاً على الصعوبات التي تكتنف وضع هذه الألفاظ وإشاعة استعمالها.

ويبدو، كما أشار صاحب "معجم الحضارة" في مقدمته أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد تصدى لهذا الموضوع اللغوي الحضاري، منذ شأته في الثلاثينيات من هذا القرن. يقول محمود تيمور: "أقبل المجمع على المسئيات الدائرة في الحياة العامة، يعالج أن يتخذ لأسمائها الأجنبية بدليلاً مستمدأ من الكلم

الفصاح. ذلك كان منذ سنين أوفت على العشرين، فاستقبل الجمهور كلمات المجمع في شؤون الحياة العامة بما يستقبل به الداخل فيما لا يعنيه.

أنكر الناسُ من المجمع أن يرافق أفواههم فيما يتلقونه من كلمات البيوت والشوارع والأسواق... ولم يجد المجمع بدأً من أن يترك هذا الميدان العام، ريثما ينفتح في شأنه وجه من الرأي والتبيير، وأن يصرف جهده إلى ميادين خاصة، هي مصطلحات العلوم والفنون، تلك التي تجري في معاهد التربية والتعليم...».

وفي موقف المجمع حيال هذا التيار الساخر وتقولاته المعترضين من أصحاب الأقلام اللاذعة والألسنة الحادة، يقول صاحب معجم الحضارة: «مسك المجمع عن لفاظ الحضارة الدائرة في الحياة العامة، وأغلبها دخيل على العربية غير صحيح، ولعله أمسك على مضمض، أو لعله أمسك إلى حين...».

وينتقل محمود تيمور إلى الحديث عن أصلالة النزعة إلى العربية الفصيحة في نفوس الناطقين بها، وأنها كامنة في أنواع أدباء العربية وكتابها. يقول: «قد أخذ الجمهور ينهض بهذا العبء الذي كان المجمع يريد التهوض به وحده منذ عشرين سنة مضت أو تزيد. ذلك هو الجمهور يضع لنفسه لفاظ الحضارة عربية فصيحة، فهو يسمم في تحقيق أغراض المجمع مريداً أو غير مرید، وأولئك هم الكتاب يشيعون من فصيح لفاظ الحضارة ما يشيعون...».

وفي هذا العرض التاريخي الدقيق لمسيرة «معجم لفاظ الحضارة»، يرسى محمود تيمور قواعد منهجيته في هذا الميدان اللغوي، الذي افترن باسمه رحمه الله، منذ استقبل عضواً في المجمع سنة ١٩٥٠م، على حد تعبير المرحوم بدر الدين أبو غازي. يقول: «هذه عشرات بل مئات من كلمات تتمثل للأعين في الصحف السيّارة، والنشرات العامة، وضعها من الكتاب فريق، فاستعملها منهم فريق، وإذا هي مددّ في لغة الجمهور. بين كتاب وقراء... لم يكن لي من عمل في

كثير من هذه الكلمات إلا أنني أرصنتُ لها بعض الوقت، فتلقيتها من هنا وهناك: حفياً به، أملاً أن يحله المجمع محله من النظر والتمحیص".... ويختتم حديثه قائلاً: "هذا حصاد الناس وتلك ثمارهم...".

إنه يرى منهاجاً متكاملاً في وضع المعجم الحضاري، يشارك فيه جمهور الناس وعامة الكتاب والعلماء إلى جانب المؤسسات اللغوية. ونحن نعتقد أن المجامع اللغوية العربية هي صاحبة الشأن من خلال "اتحاد المجاميع اللغوية العربية" في النظر والتمحیص وإسياع الشرعية على المولود الجديد أمام الطغيان الأجنبي الدخيل من ألفاظ الحضارة الحديثة.

ولا شك أن هذا يقودنا إلى ضرورة وضع منهج علمي محدد، للتعبير عن المصطلحات الجديدة في ميادين العلوم والفنون وأدوات الحضارة الحديثة.

وبعد حوالي عقدين من الانقطاع أعاد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الكرة للخوض في موضوع ألفاظ الحضارة الدائرة في الحياة العامة، وبعد أن أمسك عنها على مضض ولعله " أمسك إلى حين" على حد تعبير محمود تیمور، رحمة الله، وجاءت الواقع لتؤكد أنه " أمسك إلى حين" ...

وكان للجنة ألفاظ الحضارة في المجمع جهود خيرة. وتدل الواقع التي بين أيدينا أن اسم المرحوم الأستاذ محمود تیمور قد افترن بألفاظ الحضارة منذ استقبله مجمع الخالدين سنة ١٩٥٠ م.

ويقول الأستاذ بدر الدين أبو غازي - رحمة الله - في تصديره "معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون"^(١): "استأثرت ألفاظ الحضارة بجهد تیمور واستنفت معظم طاقاته في السنوات الأخيرة. وكان يترصد لكل جديد من الكلم

(١) معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، القاهرة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، تصدير الأستاذ بدر الدين أبو غازي، وإعداد لجنتي ألفاظ الحضارة والفنون.

ويلاحق ما يظهر من ألفاظ في الحياة العامة ويحل محل النظر والتمحيص....". ويشير أبو غازي إلى اهتمام المجمع الكبير بالفاظ الحضارة فيقول: "وسرى في هذا الميدان من ميادين عمل المجمع نشاط كبير، ظل متصلًا بعد رحيل تيمور حين تولى ألفاظ الحضارة المؤرخ الجليل الأستاذ محمد رفت، ثم أعقبه العالم الأديب الأستاذ محمد خلف الله أحمد...".

وقد لا نعدو الصواب، إذا قلنا: سار المجمع في إقراره ألفاظ الحضارة، على غرار منهجه في وضع المصطلحات العلمية في مختلف العلوم والفنون وإقرارها. وساد الاتجاه بالبدء بالمصطلح الأجنبي، بالإنجليزية والفرنسية، ثم يوضع ما يقابلها باللغة العربية، مع شرح واضح ودقيق باللغة العربية، وقد يكتفى بلفظة أجنبية واحدة. وتواترت أعمال لجنة ألفاظ الحضارة وشملت مصطلحات الفنون في حقبة من الزمن. وأصبحت لها مكانة مهمة بين مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي يقرها المجمع في مؤتمر السنوي. وربما كان من المفيد أن نورد بعض المقتطفات مما أقره مؤتمر المجمع في دوراته السنوية. ومنها مثلاً:^(١)

Cendrier

المنفضة أو الطفائية

الوعاء الصغير الذي تطفأ فيه لفائف الدخان وتلقى فيه الأعقاب.

Coupe - Papier. Paper Knife

قطاعة الورق - المقطع

أداة لفتح الرسائل والصحف.

(١) انظر: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الرابع، القاهرة، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م / ألفاظ الحضارة ص ١٢٥-١٣٦. أقرها المؤتمر في جلساته العاشرة بتاريخ ٣/٢٧ م ١٩٦٢م.

Canapé - Sofa

الأريكة (كنبة)

مقد طويل يتسع لجلوس بضعة أشخاص وله عادة ظهر يعتمد عليه في الجلوس.

Boutagaz.

مُوقد غاز

نو شعلة أو شعلتين أو أكثر.

ومثال آخر^(١) يتناول مصطلحات ألفاظ الحضارة في صنعة الكهرباء، وحرفة تشكيل الحديد بالتسخين والطرق، والسباكية، والرقص، وألفاظ حضارية مختلفة. وجاءت ألفاظ صنعة الكهرباء في خمسة وأربعين مصطلحاً، وألفاظ حرفة تشكيل الحديد بالتسخين والطرق (الحدادة) في خمسة عشر مصطلحاً، والسباكية في سبعة وخمسين مصطلحاً، والرقص في اثنى عشر مصطلحاً. وسلك المجمع في هذه القوائم المنهج السابق، ومنها:

Raw Material

الخامة:

المادة الأولية التي لم تجر عليها عمليات التشكيل، أي أنها المادة الأولية قبل أن تعالج. (والخام ما لم يعالج).

وورد في هذه المجموعة العنوان التالي:

ألفاظ حضارية مختلفة (وضعها الأستاذ نيمور) وجاءت في عشرة مصطلحات، ومنها:

Chef d'orchestre

قائد الفرقة الموسيقية

(١) انظر: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد السابع، القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م / مصطلحات ألفاظ الحضارة ص ١٠٨ - ١٢٠. أقرها المؤتمر في الدورة الحادية والثلاثين ، الجلسة التاسعة بتاريخ ١٨ من فبراير سنة ١٩٦٥م.

رصيف (كورنيش)
Corniche
الطريق المرصوف الذي يحف بالبحر أو النهر.

التجمُّل
Make up
التزويق أو الزواق.

ومثال آخر من مصطلحات ألفاظ الحضارة التي أقرها مؤتمر المجمع بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي، في الجلسة الخامسة للمؤتمر بتاريخ ٤/٢/١٩٦٧م. وكان عددها منه وأربعة مصطلحات. وجاءت وفق المنهج التالي^(١):

ال المصطلح الأجنبي	البيان	اللهف الشائع	اللهف المقترن
		الذي وافق عليه المؤتمر	
Air conditioning (E)	عملية يؤديها جهاز خاص يعدل جو المكان بالتبريد أو التدفئة	- تكييف الهواء	- تكييف الهواء
Air conditionné (F)			
ice Box (E)	صندوق يوضع فيه الثلج لتبريد الأشياء	مبردة	- الثلاجة
Refrigerator (E)	خزانة محكمة الإغلاق تحفظ ما يوضع فيها من أطعمة ونحوها	الثلاجة	- الثلاجة
Refrigerateur (F)	في جو مثلوج		
Freezer	مكان في الثلاجة تبلغ في البرودة درجة التثليج	المثلجة	- الفريز

(١) انظر: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد التاسع، القاهرة، ١٣٨٧ - ١٩٦٧م / مصطلحات ألفاظ الحضارة، ص ٦٧-٧٧.

وربما كان من المفيد أن نشير إلى مثال آخر في المنهجية التي اتبعها المجتمع في موضوع مصطلحات ألفاظ الحضارة القديمة. وقد جاءت في منهأ وأربعة مصطلحات، تحت عنوان (علم المصريات) (ايجيولوجي Egyptologie)^(١).

وكان منهج المجتمع في هذا الموضوع، بأن رتب الألفاظ وفق حروف الهجاء اللاتينية، ووضعت المصطلحات بالفرنسية والإنجليزية والألمانية، ووضع مقابلها المصطلح باللغة العربية. ومن الواضح أن المنطلق كان من المصطلح الأجنبي...

واستمر المجتمع بالقاهرة في هذا العمل الدؤوب. وحرصت لجنة ألفاظ الحضارة أن تقدم إلى مؤتمر المجتمع في كل عام حصاداً وفيراً، وبعد أن توافر لدى المجتمع نتاج خصب، رأى أن يفرد لهذه الجهود الخيرة معجماً خاصاً أطلق عليه "يميناً" اسم "معجم ألفاظ الحضارة".

وقامت اللجنة المكلفة بهذه المهمة باستعراض قوائم ألفاظ والمصطلحات التي يمكن إدخالها في هذا المعجم، ثم صنفتها في أقسام شملت الكثير من ألفاظ أدوات الحياة الحديثة وكذلك من ألفاظ الحرف والصناعات والتربية الرياضية... وقسمت عملها إلى قسمين: القسم الأول ويشتمل على ألفاظ الحضارة واشتمل أولًا: على الثياب وما يتعلق بها والمأكولات. والمنزل والأدوات المنزلية.

وثانياً على الأماكن وما يتعلق بها، والمكتب وأدواته، والمركبات وما

(١) انظر: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجتمع، المجلد العاشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م / مصطلحات ألفاظ الحضارة القديمة. وافق عليها مؤتمر المجتمع في الجلسة الرابعة بتاريخ ٢١/١٩٦٨م.

يتعلق بها، والحرف والصناعات والمواد المستخدمة فيها.

واشتمل الفرع الثالث على التربية الرياضية وعلى ما سُميّ بألفاظ متعددة.

أما القسم الثاني فيشتمل على ألفاظ الفنون التشكيلية ومصطلحاتها، وعلى مصطلحات الرقص والموسيقا وكذلك على مصطلحات السينما.

ومن الواضح أن مصطلحات الفنون الجميلة جديرة بأن تكون في معجم خاص بها كما هو الشأن في مختلف العلوم. وبالفعل فقد تشكلت في المجمع فيما بعد لجنة خاصة بمصطلحات الفنون.

وأشرف على هذا المعجم المرحوم الأستاذ بدر الدين أبو غازي عضو المجمع، وصَنَرَه بكلمة مهمة تلقي الضوء على أهمية هذا العمل اللغوي، والمراحل التي مرّ بها. ومن هذه الجوانب المهمة ما يتعلّق بالمنهج الذي سلكه المجمع في وضع مصطلحات ألفاظ الحضارة وإقرارها. فقد نظر إلى معجم ألفاظ الحضارة الحديثة، بأنه نوع فريد، على حد تعبيره، بين المعجمات في فروع العلوم المختلفة. فهو حصاد جهد سنوات طوال لتطويع اللغة العربية لمواجهة كل مستحدثات الحضارة الحديثة. وربما كان من المهم أن نلتفت الانتباه إلى عبارة "مستحدثات الحضارة الحديثة"، وهي كما نراها المهمة الرئيسة التي انبثى لمعالجتها المجمعيون والكتاب والصحفيون... وتأتي قضية الإجماع على "الالفاظ الحضارة"، لتلقي بظلالها في معترك الشيوع والاستعمال وتقاوٍ الأذواق والأغراض... والسهولة الصعوبة، وهوية الانتماء إلى العربية الفصيحة أو الدخيل العالمي.

ويشير أبو غازي إلى هذا السجال المستمر، حول أهدى الطرق وأوضاع المناهج لاستيعاب العربية ما يجذّب من مصطلحات، فيقول في تصديره: "وطالما

دار بين المجمعين سجال حول الوسائل التي يمكن التذرع بها لتنزيل اللغة العربية بمصطلحات الجديد في ميادين الحضارة الحديثة. فمن المجمعين من رأى الأخذ من ألفاظ السوق، ما يتفق وقياس العربية واستبعاد ما يخالفها، ومنهم من ناقش فكرة أخذ الأسماء التي يطلقها الصناع وأصحاب الحرف على آلاتهم وأدواتهم دون أن نناقشها ونتلمس وجه الصواب فيها...

ولاحظ بعضهم أن كثيراً من ألفاظ السوق يستخدم في مصر وغير مصر من البلاد العربية، ومعنى هذا أنه قديم وصحيح وإن كانت المعاجم لم ترجمه. وأجاز المجمعيون في مساجلاتهم القديمة تعریب المسميات الإفرنجية، ورجحوا التعریب على قبول كلمات عربية محرقة. كما تعقبوا استعمال الجمهور لألفاظ عربية بحثة ساقتهم إليها سليقهم... وأفسحوا السبيل في ألفاظ الحضارة إلى الاشتغال الذي يقبله الناس...

ولا شك أن هذه القضايا جميعها، التي أوردها المرحوم أبو غازي، قد وجدت طريقها إلى مجال الحوار والمساجلات، وعلى صفحات الجرائد والمجلات.. وفي جميع الأحوال لا تعدم من ينتصر لهذا القول أو لذاك... ونحن نعتقد أن جميع هذه الأفكار المهمة تسهم في وضع منهج علمي سليم يتصف بالحيوية والمرونة ويكلل إبراس القواعد العامة لوضع معجم عربي موحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث.

وكان للجهود الفردية للعلماء والكتاب والباحثين، آثار مهمة في ميدان ألفاظ الحضارة في العصر الحديث. وأرى من الواجب أن تؤخذ هذه الجهود في الحسبان في مرحلة الجمع والاستقصاء وفي إطار خطة شاملة ومتکاملة لوضع معجمنا العتيد، المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث. ويخضرني في هذا المجال ذكر معجمات ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين الشعراء، ومعجمات ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب أهم الكتاب العرب قديماً

وحديثاً، وسلسلة المعاجم التي أعدها المجمعي الجليل الأستاذ عبد العزيز بنعبدالله، بالرباط في مختلف المهن والحرف، وإن كان قد اقتصر في منهجه على البدء بالألفاظ الفرنسية ووضع مقابلاتها العربية، ونذكر أيضاً العمل القيم الذي أنجزه العالم التونسي الدكتور أحمد نياب في "أدوات الحضارة"، وما احتواه من صور الأدوات الجراحية لتوضيح الأدوات كلما عرضت على عامة المتقين وأهل الاختصاص.

وخلال هذه القول، فإن فكرة وضع معجم عربي شامل لألفاظ الحضارة في العصر الحديث، كانت تراود مؤسساتنا اللغوية والعلماء والكتاب الغيارى على لغة أمتهم، اللغة الجامعية، لغة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، لغةعروبة والإسلام منذ مطلع هذا القرن . وإن الجهود الخيرة التي أشرنا إليها في هذا الحديث الشامل لهى لنبات مهمّة في بناء المعجم الموحد لألفاظ الحضارة... وكان للأفكار التي طرحت على مدى هذا القرن، والجهود التي أنجزت في هذا الميدان اللغوي الحضاري العربي، أثارها العميقـة في القرار الذي اتخذه اتحاد المجامع اللغوية العربية بوضع المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث وذلك في اجتماعه الذي عقد بالقاهرة في آذار (مارس) سنة ١٩٩٧م، في مقر الاتحاد بمجمع اللغة العربية، برئاسة رئيس الاتحاد الأستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف. فقد رأى مجلس الاتحاد أن يتولى كل مجمع وضع مشروع لمعجم ألفاظ الحضارة في قطره، وترسل مشاريع المعجمات جميعها إلى الاتحاد، لإدخالها في الحاسوب، والانتهاء بإصدار معجم عربي موحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث على مستوى الوطن العربي.

لقد شغلني موضوع "معجم ألفاظ الحضارة" منذ سنين، ويحزنني عدم وجود معجم أو مصدر عربي يمكن أن يعود إليه الكاتب العربي أو متعلم العربية

من غير الناطقين بها، إذا ما أراد أن يعبر عن حاجات الحياة العامة وأدواتها الحضارية، بلغة عربية سليمة. وهنا يلتقي الكاتب القصصي والصحفي والإذاعي في مختلف وسائل الاتصالات الجماهيرية وكذلك مؤلفو الكتب المدرسية والمربيون والمسؤولون في النقابات المهنية والحرفية عن التطوير التفافي والمهني بين أصحاب المهن والحرف... إنهم جميعاً يلتقطون في شعورهم بعدم وجود معجم موحد يمدthem بسهولة ويسر، بما يريدون التعبير عنه من مصطلحات مهفهم وألفاظ الحياة العامة... ولذا نرى طغيان العاميات والألفاظ الأجنبية على أقلام الكتاب والمذيعين، إذا استثنينا بعض ذوي الاجتهاد والغيره على العربية ووحدة ثقافتها...

وإذا نظر من حولنا إلى الأمم المتقدمة، نجدها قد عنيت أشد العناية بلغاتها القومية، ووفرت جميع الإمكانيات المادية والفكرية لخدمة أهدافها.. فوضعت المعاجم اللغوية بأنواعها ومستوياتها المختلفة ووضعت المعجمات العلمية المتخصصة... وحرصت على أن تشمل معجماتها العامة الألفاظ التي تعبّر عن حاجات الحياة العامة، التي يحتاجها كل مواطن في حياته اليومية.

وربما كان الواجب يقضي علينا أن ننظر إلى وضع "المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث"، من خلال هذه الأبعاد التي أشرنا إليها، ومن خلال تجارب الأمم المتقدمة التي سبقتنا في هذا المضمار. وإن الخبرة في الحاسوب وبرمجياته واستعمال التقنيات الحديثة المتقدمة، لتحتل مكانة أساسية في تنفيذ هذا المشروع اللغوي العربي، على مستوى الوطن العربي. وإن الهدف الذي نحدده لأنفسنا يمكن أن نجمله بأن نصدر معجماً عربياً لألفاظ الحضارة في العصر الحديث، بحيث لا يتعدى المدلول الواحد للنقطة أو اللفظتين. ولا يدور في خلدنا أن تفرض ألفاظ هذا المعجم فرضاً قهرياً على ألسنة الناس وأقلام الكتاب، ولكن ليكون مرجعاً يسهل الوصول إليه إلى كل من يريد أن يفيد

منه في مختلف الشؤون الثقافية ولا سيما فيما يتعلق بوسائل الاتصالات الجماهيرية التي باتت تتجاوز أقطارها المحلية إلى أقطار الوطن العربي بل وإلى الناطقين بالعربية في العالم أجمع.

ونحن نرى أن أهداف هذا المعجم. وطبيعة تكوينه، تجعله يختلف كثيراً من حيث المنهج عن الأعمال المهمة السابقة. فتلك الأعمال تكون رافداً من رواده المهمة.

لا شك أننا أمام عمل لغوي كبير، جعله اتحاد المجامع اللغوية أحد أهدافه في رعاية العربية وتقدمها بل ورعايتها وحدة الأمة العربية وتوطيد دعائم وحدتها الثقافية. وإن من أهم مقومات نجاح هذا العمل، أن يؤمن القائمون عليه بأهميته والشعور بالحاجة إليه.

لقد استجاب مجمع اللغة العربية الأردني، لقرار اتحاد المجامع اللغوية العربية. وناقش مجلس المجمع هذا الموضوع، ووسائل تنفيذه في عدة جلسات. وألف لجنة خاصة بمشروع المعجم العربي الموحد لأنفاظ الحضارة، برئاسة رئيس المجمع وعضوية ستة من أعضائه. وعقدت اللجنة اجتماعها الأول مساء الأربعاء ٢٧/٦/١٩٩٧ هـ الموافق ٢٢/٤/١٤١٨ هـ. وتوالت الاجتماعات لبحث هذا المشروع اللغوي المهم. وقد خلصت إلى الأفكار التالية:

أولاً: إن وضع معجم عربي موحد لأنفاظ الحضارة في العصر الحديث، عمل لغوي وقومي جليل. وإن هذا العمل الجماعي الذي تبنته مجلس اتحاد المجاميع اللغوية العلمية العربية، والذي سينجز بصورة جماعية على مستوى الوطن العربي، ليحتم علينا وضع خطة عمل موحدة يصدرها اتحاد المجاميع، وتلتزم بها المجاميع اللغوية والمؤسسات العربية التي ستشارك في إنجاز المعجم

الحضاري، وذلك توخيًّا لدقة المعلومات وتوحيدًا لمنهج العمل.
ومن الضروري أن تحدد هذه الخطة أهداف المشروع والمدة التي
يحتاج إلى إنجازه.

ثانيًا: يهدف المشروع إلى أن يقوم كل مجمع من مجامع اللغة العربية
بحصر أقصى ما يستطيع حصره من ألفاظ الحضارة والحياة
الاجتماعية في قطره. ويعمل كل مجمع على تخزين هذه الألفاظ
في الحاسوب وفق منهجة واضحة ودقيقة على مستوى الوطن
العربي.

ثالثًا: بات من الضروري أن تحدد منهجة العمل التي يصدرها الاتحاد،
حجم العمل ومجالاته. فالحضارة موضوعاتها شاملة للحياة
الاجتماعية، وحصر مفرداتها يتضمنها إلى مداخل
قطاعية إذا أردنا الشمول. فالالفاظها ليست محصورة في مسميات
الأدوات وإنما تتناول الألفاظ الدالة على الحياة الاجتماعية بمختلف
محاورها.

رابعًا: الحاسوب جهاز أساسي وضروري في جميع مراحل هذا
المشروع، لأنه يسهل عمليات التخزين والاسترجاع والفرز وما
إلى ذلك.

وفي ضوء هذه الأفكار والمعطيات المتفاورة لدينا حول هذا المشروع
اللغوي القومي المهم، خلصنا إلى التصور التالي، في خطوطه العريضة.

يهدف مشروع المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في العصر
الحديث، إلى وضع معجم لألفاظ الحياة العامة في الوقت الحاضر. ويمر هذا

المرحلة الأولى: القيام برصد جميع ألفاظ الحضارة المستعملة في كل قطر عربي، وتخزينها في الحاسوب وفق منهجية معينة. ويكون للمبرمج الحاسوبي دوره. وتخزن أيضاً جميع ما أنتجته المجامع اللغوية العربية من ألفاظ الحضارة، وما نشرته من معجمات في هذا الباب.

المرحلة الثانية: تقوم لجنة من الخبراء بدراسة الألفاظ الحضارية التي جرى تخزينها في الحاسوب، وفق منهجية معينة، على مستوى القطر الواحد. وتنتهي بمشروع لألفاظ الحضارة، لا يتجاوز المدلول الواحد اللفظتين.

المرحلة الثالثة: ترفع المجامع اللغوية العربية عملها إلى رئيس اتحاد المجامع اللغوية، وتخزن جميع هذه المشاريع في الحاسوب وفق منهج معين يحدده خبير في برامج الحاسوب. ويكلف اتحاد المجامع خبراء من مختلف الأقطار العربية لدراسة وغربلة هذه المشاريع، والوصول إلى معجم موحد، لا يتجاوز المدلول الواحد منه اللفظتين. ويعتمد الخبراء في منهج اختيارهم الألفاظ، قواعد عدة، منها الشيوع والفصاحة والسهولة وما هو موجود في التراث، ومعايير أخرى يتفق عليها.

وفي ضوء ذلك انطلقت لجنة مشروع المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في مجمع اللغة العربية الأردني إلى تحديد معالم تنظيم هذه العملية،

وخلصت إلى ما يلي:

تكون لجنة "مشروع معجم ألفاظ الحضارة"، التي ألفها مجلس المجمع لجنة توجيهية، لإنجاز هذا المشروع في الأردن. ويقسم العمل إلى أربعة مراكز، تنتظم جغرافياً وسكانياً بالأردن بكامل مناطقه، وجميع شرائطه الاجتماعية وهي: مركز الجامعة الأردنية، ومركز جامعة اليرموك، ومركز جامعة آل البيت، ومركز جامعة مؤتة.

ويتألف كل مركز من لجنة ومجموعة من الباحثين. وتتألف كل لجنة من اللجان الأربع من رئيس وعضوين من أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين. وتكون مهمتها اختيار الباحثين وتحديد عددهم ورسم خطة العمل، والإشراف عليها، وتمحیص المعلومات وتقديم ذلك كله إلى الهيئة العامة.

وت تكون الهيئة العامة للمشروع من أعضاء لجنة مشروع معجم ألفاظ الحضارة ورؤساء المراكز الأربع، وتجتمع بشكل دوري لمتابعة تنفيذ العمل.

ويحرص المجمع على أن يتمتع رؤساء المراكز والباحثون بروح عمل الفريق وحسن التفاهم، والإيمان الصادق بأهمية المشروع، والرغبة الأكيدة في إنجاحه.

وقد وضعت اللجنة، النموذج الذي سيوزع على الباحثين على الوجه التالي.



مشروع معجم القاضي الحبيبة العامة

ويفهم من المجال: البيت والمدرسة والمسجد والشارع والحقل/المزرعة، والجامعة/ الكلية، والمستشفى/العيادة، والمخابر، والمركز الصحي، والمصنع/المشغل، والدائرة الحكومية، والمتجر، والفندق، والمقهى، والملهى، والمتاحف والكنيسة والنادي والمرآب ومؤسسات الرعاية الاجتماعية، والمهن بأنواعها والمواد، والآلات والمعدات، والنشاط الرياضي، والمكتبات والمسرح... الخ.

ويفهم من الموضوع ما يشتمل عليه المجال، فمواضيعات البيت مثلاً: أنواعه، أجزاؤه، محتوياته (الألبسة، المطعومات، المشمومات، المشروبات، الأثاث، الأدوات... الخ).

وخلاصة القول، فإن هدف هذا المشروع هو جمع ألفاظ الحضارة المستعملة في مختلف جوانب حياتنا في الأردن، وضبطها وتصحيحها وتتصحيحها، وإقرار مصطلح واحد أو مصطلحين اثنين للمفهوم الواحد، وتقديم المشروع الأردني لمعجم ألفاظ الحضارة إلى اتحاد المجامع اللغوية العربية للوصول، إن شاء الله، لوضع معجم عربي موحد لأنفاظ الحضارة في العصر الحديث على مستوى الوطن العربي. ونسأله تعالى الرشاد والتوفيق.

المصادر والمراجع

- ١- ابن منظور، لسان العرب ج^{٦١}، دار المعارف، القاهرة.
- ٢- أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي المعروف بـان سيده (المتوفى سنة ٤٥٨هـ)، المختص.
- ٣- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠هـ-٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، ج^٤، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م.
- ٤- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، ج^١، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٥- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب البرصان والعرجان والعميان والحوالان، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون بغداد، سنة ١٩٨٢م.
- ٦- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج^٤، القاهرة.
- ٧- أبو علي المحسن بن علي التوخي (المتوفى سنة ٣٨٤هـ)، الفرج بعد الشدة ج^٤، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٨- أبو علي المحسن بن علي التوخي (المتوفى سنة ٣٨٤هـ)، بشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج^{١٠}، تحقيق عبود الشالجي، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- ٩- أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغانى / ج^{١١}، بيروت، ١٩٥٥.
- ١٠- أبو منصور الجواليقي موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (٤٦٥هـ - ٥٤هـ)، المُعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، دمشق، ١٤١هـ - ١٩٩٠م.
- ١١- أحمد ذياب، أدوات الحضارة، منشورات (جيم) JIM.
- ١٢- إسماعيل بن حماد الجوهرى، الصلاح، ج^١ الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- ١٣- بديع الزمان الهمذاني، المقامات، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٤- بطرس البستاني، محيط المحيط، بيروت، ١٩٧٧م.
- ١٥- بيدبا الفيلسوف الهندي، كتاب كليلة ودمنة، ترجمة عبدالله بن المقفع، بيروت، سنة ١٩٨٧م.
- ١٦- تقى الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرizi (المتوفى سنة ٨٤٥هـ)، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطوط والآثار المعروفة بالخطط المقريزية، ج ٢-١، بيروت.
- ١٧- رشيدة عبد الحميد أحمد اللقاني، ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب الجاحظ، الطبعة الأولى، جامعة الملك سعود، ١٤١٤هـ (١٩٩٣م).
- ١٨- شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بال بشارى، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، ليدن، سنة ٩٠٦م.
- ١٩- شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي المعروف بالقرافقى (٦٢٦هـ - ٦٨٤هـ)، تحقيق د. عثمان محمود الطلبى، مجلة جامعة أم القرى، السنة العاشرة، العدد الخامس عشر، عام ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ص ٢٥٢-١٧٩.
- ٢٠- عبدالعزيز بنعبدالله، معجم اللعب العربية القديمة (فرنسي - عربي)، سلسلة المعاجم رقم (٥)، الرباط، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
- ٢١- عبدالعزيز بنعبدالله، معجم الألوان (فرنسي - عربي) سلسلة المعاجم رقم (٦)، الرباط، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
- ٢٢- عبدالله بن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير، بيروت.
- ٢٣- محمود تيمور، معجم الحضارة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
- ٢٤- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٣٦) عبدالكريم خليفة، حول معجم موحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

- ٢٥- مجلة اللسان العربي، المجلد السابع، محمود تيمور، الجديد في ألفاظ الحضارة، ص ١٩٦١ـ١٩٦٣، الرباط.
- ٢٦- مجلة اللسان العربي، العدد الثالث، علال الفارسي، فعالية اللغة العربية، ص ٨ـ٢٦، الرباط.
- ٢٧- مجلة اللسان العربي، المجلد التاسع، محمود تيمور، ألفاظ الحضارة لعام ١٩٧١م، ص ٤٠٥ـ٤١٠، الجزء الأول، الرباط.
- ٢٨- مجلة اللسان العربي، العدد السادس والثلاثون، أحمد شفيق الخطيب، ألفاظ الحضارة بين العامي والفصيح ص ١٦١ـ١٧٣، الرباط.
- ٢٩- مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد الثاني، ج^١ كانون الثاني سنة ١٩٢٢مـ جمادى الأولى سنة ١٣٤٠هـ إلى ج^٢ كانون الأول سنة ١٩٢٢م الموافق ربيع الثاني سنة ١٣٤١هـ.
- ٣٠- مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد الثالث والرابع، ج ١ في ١ك^١ سنة ١٩٢٣مـ جمادى الأولى سنة ١٣٤١هـ إلى ج^٢ من المجلد الرابع، أيلول سنة ١٩٢٤مـ الموافق صفر سنة ١٣٤٢هـ.
- ٣١- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط.
- ٣٢- مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠مـ / تصدر وإشراف الأستاذ بدر الدين أبو غازي.
- ٣٣- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الرابع، القاهرة، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢مـ / ألفاظ الحضارة، ص ١٢٥ـ١٣٦.
- ٣٤- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد السابع، القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦مـ / مصطلحات ألفاظ الحضارة، ص ١٠٨ـ١٢٠.
- ٣٥- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد السابع، القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧مـ / مصطلحات ألفاظ الحضارة، ص ٦٧ـ٦٧.

- ٣٦- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد العاشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م / مصطلحات ألفاظ الحضارة القديمة، ص ١١٦-١٢٦.
- ٣٧- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الثاني عشر، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م / مصطلحات ألفاظ الحضارة، ص ٩٥-١٠٠.
- ٣٨- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الثالث عشر، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م / مصطلحات ألفاظ الحضارة، ص ٣٥-٣٩.
- ٣٩- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الرابع عشر، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م / مصطلحات الحضارة ، ص ٣٧-٤٣.
- ٤٠- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الخامس عشر، القاهرة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- ٤١- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد السادس عشر، القاهرة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م / ألفاظ الحضارات القديمة والوسطى.
- ٤٢- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد السابع عشر، القاهرة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م / ألفاظ الحضارة الحديثة، ص ١١٧-١٢٥.
- ٤٣- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الثامن عشر، مصر، ١٩٧٦م / ألفاظ الحضارة الحديثة، ص ٢١-٢٧.
- ٤٤- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد التاسع عشر، القاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م / ألفاظ الحضارة الحديثة - ألفاظ في

الرياضية البدنية، ص ١٣-١٦.

- ٤٥- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد العشرون، القاهرة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م / من ألفاظ الحضارة الحديثة -
مصطلحات في التربية الرياضية / ص ١١٣.
- ٤٦- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الحادي والعشرون، القاهرة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م / ألفاظ الحضارة الحديثة (في التربية الرياضية) ص ٨٧-٩٠.
- ٤٧- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الثاني والعشرون، القاهرة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م / ألفاظ الحضارة الحديثة، ص ٦٩-٧٣.
- ٤٨- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الثالث والعشرون، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م / من ألفاظ الحضارة
(مصطلحات في الطباعة) ص ٧٣-٧٨.
- ٤٩- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الثامن والعشرون، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م / من ألفاظ الحضارة
(مصطلحات في المسرح)، ص ٣١١-٣١٩.
- ٥٠- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الثاني والثلاثون، القاهرة، سنة ١٩٩٣/١م / مصطلحات في ألفاظ الحضارة، ص ٣٢٩-٣٦٥.
- ٥١- ندى عبدالرحمن يوسف الشابيع، معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين شعراء المعلقات العشر، بيروت، سنة ١٩٩١م.

R. DOZY, SUPPLEMENT AUX DICTIONNAIRES ARBES, -٥٢

LEIDEN, 1881.

مناهج التأصيل في التراث اللغوي

مثلٌ من كتاب المُنْصَف (شرح التصريف) لابن جنِي

د. إسماعيل أحمد عمايرة

الجامعة الأردنية

يسعى هذا البحث إلى الإمساك بالخيوط المنهجية عند القدماء، في تأصيلهم للظاهرة اللغوية، وهي، ولاشك، خيوط متعددة، تشير إلى أنهم نظروا إلى الظاهرة نظرة فيها نوع من التكامل المنهجي. ولكننا لا نتوقع منهم في تلك الفترة الريادية المبكرة، أن يكون اتساح المناهج عندهم جلياً كجلانه اليوم، أي بعد رحلة طويلة من التطور العلمي. وسعياً وراء تحقيق الهدف من هذه الدراسة، فقد حددت لضبط موضوعها هذين السواليين: ما مناهج القدماء في التأصيل اللغوي؟ وكيف يمكن أن تقوم جهودهم في ضوء نظرية لغوية حديثة؟

مصطلح الأصل مصطلح مهم في الدراسات اللغوية، إذ هو مصطلح في المنهج وقد تكرر في جل المباحث اللغوية. بيد أنه مصطلح معيب. ولعل أظهر عيوبه تعدد استعمالاته بمعانٍ شتى، تختلف باختلاف النظرة المنهجية. وقد ترتب على ذلك أن خلط بعض الباحثين بين هذه المفاهيم كما سيتضح لاحقاً.

وفيما يلي أذكر جملة من أظهر المفاهيم التي استخدمت فيها كلمة "الأصل" وأقيم عليها مفهوم التأصيل اللغوي:

١ - المفهوم الوصفي

استعمل اللغوي هذا المصطلح بمفهومه الوصفي القائم على درجة التردد

والشيوخ. وعلى هذا لا يكون قليل الشيوخ أصلًا. ومثال ذلك أن عد المازني
إيدال الواو همزة في: أحد، وأصلها: وَهُدْ، نادرًا، ولذا لا يُعد أصلًا. قال:
”وقالوا: أحد، في: وَهُدْ، وهذا شاذ نادر ليس مما يُتخذ أصلًا“.^(١)

ومع أننا نعلم أن بعض القدماء كان يسرف في البحث عن العلل والعوامل،
غير أن بعضهم كان أقرب إلى الوصفية في اقتصاره على الظاهر. فالكساني
سئل عن سبب إجازته: أي، مع الفعل المضارع في نحو: سأضرب أيهم في
الدار، وعدم إجازتها مع الماضي في نحو: ضربت أيهم في الدار، فقال: ”أيٌّ كذا
خلفت“.^(٢).

٤ - المفهوم التاريخي

واستعمل لفظ الأصل بمعنى الأصل التاريخي، الذي كانت عليه الظاهرة
اللغوية قبل أن تتطور أو تتحول عنه. وعليه فالاصل - هنا - مرتبط بالقدم. ومن
لطيف ما نجده عند القدماء أن لا يكتنوا برصد التطور، وإنما يتتجاوزون ذلك إلى
تعليقه، والوقوف على بعض عوامله كاختلاف اللهجات. وللننظر إلى مثل مما قاله
المازني في مضارع الأفعال التي تبدأ بواو، نحو: وجِل، ووحل، فإن مضارعها
تحتول فيه الواو إلى ياء، لأنهم ”استقلوا واواً ساكنة بعد ياء“.^(٣) . فقالوا: يَنْجِل،
ويَنْحِل، بدلاً من: يَوْجِل ويَوْحِل. ثم أصبح الأمر في لهجة أخرى على نحو أكثر
سهولة ويسراً على المتكلّم، إذا تلّلت الياء الأولى، أي كسرت في: يَوْجِل،
لتصبح: يَنْجِل. ”كسروا الياء لتتقلب الواو ياء، لأن الواو الساكنة إذا انكسر ما
قبلها أبدلت ياء، نحو: ميزان وميقات“.^(٤) . وثمة تطور ثالث، إذ بعض القبائل
حرّضت على فتح مقطع المضارعة مع تجنب الصعوبة الناجمة عن التقاء ياء
المضارعة المفتوحة مع الواو، فمدّت الفتح وحذفت الواو، فقالت: يَاجِل،
ويَاحِل.

٣- المفهوم المبني على نظرية العامل

وقد يستعمل اللغوي الأصل بمفهوم آخر تقتضيه نظرية العامل في التفسير النحوي، بغض النظر عن المفهوم التاريخي، أو المفهوم الوصفي، كأن يقال: الأصل في المنادى النصب. فإن جاء الاسم مضموماً، قيل: مبنيٌ في محل نصب. وذلك لأن افتراض النصب أصلاً يسير مع قاعدة النداء المركبة، التي تقرر أن الأصل في المنادى أن يكون منصوباً^(٥). وكان يقال في قاعدة مركبة أخرى: الأصل في فعلى الشرط والجزاء أن يكونا مجزومين، فإن استعمل غير المجزوم، قيل: هو في محل جزم. ولو افترض النحوي أن الماضي هو الأصل، لصعب عليه أن يفسر الجزم في المضارع. والجزم حالة من الحالات المتغيرة التي يأتي عليها المضارع. أما الماضي فال AISER أن يُعد فرعاً، لأنه مبني، والبناء ثبوت وملازمة لأوضاع محددة، ولذا كان بحسب نظرية العامل ليس أصلاً^(٦).

٤- المفهوم الاستقرائي

قد يوصل اللغوي الظاهرة الاستيقافية على أساس استقرائي؛ فالأصلية من أحرف الكلمة ما ثبت في اشتقات الكلمة، وعكسه الزائد، وهو ما لا يثبت في اشتقات الكلمة. وعلى هذا فالأصوات الصامتة: كتب، أصوات أصلية فيما اشتق من مادة: كتب، نحو: كاتب، واستكتب... وما سوى ذلك فهي أصوات زائدة.

وهذا الضرب من التأصيل يقوم على أساس المنهج الاستقرائي، وهو منهج ذو صبغة استنتاجية، إذ جعل القدماء من ظواهر اللغة ومفرداتها جزئيات تستمد منها القواعد الاستيقافية. درسوا مجموعات اشتقاقة محددة على نحو تجريبي، فاستخلصوا منها أحكاماً قياسية، وقواعد عامة، كان تكون أحكام بناء اسم الفاعل من الثلاثي: أكل - أكل، ومن غير الثلاثي: أكل - مؤاكل؛ وكذلك اسم المفعول: مأكل، ومؤاكل؛ وهذا في صيغ المبالغة وما سوى ذلك من أنواع

المشتقات. ثم يعمم الحكم على نحو يطرد في مواد أخرى. وبذا تتشكل القواعد الأصول التي هي خلاصة انتقال الفكر من الأحكام الجزئية إلى جميع مفردات اللغة.

وقد كان يكفي في مرحلة مبكرة أن يكون الاستقراء ناقصاً، بمعنى الاكتفاء ببعض الجزئيات لاستخلاص الحكم العام. قال ابن جنّي في تأكيد هذا المفهوم الاستقرائي: "إنك لم تسمع من العرب أنت ولا غيرك اسم كلَّ فاعل ومفعول، وإنما سمعت بعضاً فجعلته أصلاً وقست عليه مالم تسمع" ^(٢). وهي سمة اتسم بها اللغويون الأوائل، ثم جاءت مرحلة تسم بالشمول، إذأخذ اللاحق يعمق أحكام السابقين باستعراض جزئيات أوسع، وعينات أشمل؛ ولذا كان من سمات هذه المرحلة أن كثُرت أقوال اللغويين من مثل قول ابن جنّي: "وفعلل يكون اسم وصفه. فالاسم: قرمط، وعظم؛ والصفة: صفرد وهرمل، وخزنل، وخضرم، وضمير، ولطلط، ودرذح؛ وإنما أكثُرت من هذا لأن أبي العباس ذكر أنَّ فعللا في الصفة قليل" ^(٤).

٥ - المفهوم الاستنباطي

الاستقراء الناقص والاستقراء التام سمتان متتابعتان زمنياً ومتداخلتان أحياناً. وكلما استقرت القواعد وتجذرَت، فإن من الطبيعي أن تصبح منطقاً لمحاكمة النصوص، بعد أن كانت النصوص منطقاً لاستخلاص القواعد. فكانما القواعد مسلمات منطقية لا تحتاج إلى مزيد من الاختبار. وهكذا أصبحت القواعد هدفاً يسعى للغوي إلى ترسِيخه، حتى لقد بَرَزَ احتفاء المتأخرین من النحاة بالمثال أكثر من احتفائهم بالشاهد. فالشواهد لإنشاء القواعد عليها وتأصيلها بها. أمّا المثال فلتُرسِخ القواعد وتنهيَّها، حتى يلتزم الناس بالقواعد. ولذا كنت ترى جيلاً من اللغويين المعلمين يقررون القواعد ثم يشرحونها بالمثال، وقلما احتفوا

بالشواهد. وأعني بالأمثلة ما نجده لدى نحويَّ كابن هشام في قوله: نعم الرجل زيد، وبنس الرجل عمرو، وزيد نعم الرجل^(١). ومن ذلك ما نجده عند نحويَّ متقدم نسبياً، فابن جنىَ اتكاً على جملته المصنوعة "سيِّر بزید فرسخين يومين سيراً حثثاً"^(٢). فقد استمر ابن جنىَ هذا المثال المصنوع الوحيد لتوضيح حشد من القواعد المتتابعة الآتية:

- ١- نائب الفاعل لل فعل اللازم (سيِّر) قد يكون الجار وال مجرور (بزيد)
- ٢- ونائب الفاعل لل فعل اللازم (سيِّر) قد يكون ظرف المكان (فرسخان)
- ٣- ونائب الفاعل لل فعل اللازم (سيِّر) قد يكون ظرف الزمان (يومان)
- ٤- ونائب الفاعل لل فعل اللازم (سيِّر) قد يكون المصدر (سيِّر)

ومن الأمثلة الصرفية الاستباطية أن يأتي اللغويَّ إلى الظاهره اللغوية وفي ذهنه بعض القواعد التجريدية، ثم يسعى إلى خلق واقع لغوي، لا وجود له في الواقع الاستعمال، ولكنه يجسد القواعد التجريدية. فليس في الواقع الاستعمال اللغويَّ كلمات من مثل: ضربٌ، أو ضربتني، أو ضربت. ولكنها رغبة الصرف في اختبار ميزانه الصرفي، وهو يبني الثلاثي على وزن الرباعي، في نحو :

- بناء الثلاثي ضرب على وزن الرباعيَّ عَفْر، فتقُول ضربٌ.
- بناء الثلاثي ضرب على وزن الخماسي: سَفَرْجَل، فتقُول: ضربَرْب
- بناء الثلاثي: ضرب، على وزن الخماسي: حَبْطَى، فتقُول: ضربتني،
أو: ضربَب^(١).

وقد مضى المازني في البناء على هذه الأوزان التجريدية، فقال: "وإن بنيت مثل: قمطر من دحرج، قلت: دحرج، فإن بنيت مثل: جعقر، من قمطر، قلت: قمطر، وإن قيل لك: ابن من قمطر مثل: سفرجل، قلت: قمطرز، وكذلك منه من: جعقر: جعقرر"^(٢). فهذه الألفاظ لا وجود لها في الواقع الاستعمال

اللغوي، وقد كانت قواعد الميزان الصرفي هي المسئولة عن إيجاد هذه الأمثلة.

وخلاله القول في هذا المنهج أنه منهج استباطي يسعى إلى إثبات أن ما يصدق على الكل (القاعدة) فإنه يصدق على الأجزاء (المثال). فإذا كان الاستقراء انتقالاً من ملاحظة الجزئيات لتشكيل الكل أو القاعدة، فإن الاستباطة انتقال من الكل أو القاعدة، لتطبيقه على الجزئيات. وأضرب مثلاً يوضح ذلك عند القدماء، فالملسلمة التي تقول: ينبغي أن يكون لكل جمع مفرد، مسلمة منطقية تؤكدها آلاف الأدلة الاستقرائية المستقاة من الجزئيات اللغوية والملاحظات التجريبية، قال ابن جني: "فالجمع لا يكون إلا عن واحد". ومن خصوصيات الدليل الاستقرائي هنا أن يحدد أن المفرد والجمع في العربية من اشتقاء واحد، فهذا الدليل ليس استباطياً، إذ ربما لا يكون الجمع والمفرد من اشتقاء واحد في بعض اللغات، ولكن المتوقع بداهة ومنطقاً أن يكون لكل جمع مفرد، دون اختلاف بين اللغات. وعلى هذا يكون اللغوي العربي قد أخذ بالدليل الاستباطي المنطقي الذي ينطلق من القاعدة الذهنية المجردة ثم بحث له عن واقع يجسد في العربية، ثم أخذ يستعرض الجزئيات والمفردات، ليحدد خصوصية العلاقة بين المفرد والجمع، فخرج بقواعدتين استقرائيتين آخرتين. وكانت المحصلة، القواعد الآتية:

- ١- لكل جمع مفرد (قاعدة استباطية منطقية متوقعة في اللغات البشرية).
- ٢- يلتقي المفرد والجمع على أصل اشتقائي واحد، نحو معلم - معلمون، ورجل - رجال (قاعدة استقرائية عامة بالنسبة للعربية ولكن لا يشترط أن تكون منطقية حتى تعم جميع لغات البشر).
- ٣- لا يلتقي المفرد والجمع على أصل اشتقائي واحد في حالات محددة، نحو: خيل - فرس، أو حسان؛ نساء أو نسوة - امرأة (قاعدة استقرائية خاصة بالنسبة للعربية، ولا يشترط أن تكون منطقية حتى تعم جميع لغات البشر).

يند أن بعض الخلط يحدث أحياناً حين يرفع النحوى من قيمة القواعد الاستقرائية لتصبح قواعد استباطية، فيعطيها قوة تزيد على قوتها المستمدـة من مدى تمثيلها لجزئيات اللغة، لتصبح قواعد استباطية منطقية تستمد قوتها من المسلمات المنطقية. فالمسلمـة البدـهـيـة في التـفـكـيرـ اللـغـويـ بـعـامـةـ، أـنـ يـتـصـورـ المرـءـ عدمـ خـلـوـ لـغـةـ مـنـ لـغـاتـ ظـاهـرـةـ الإـفـرـادـ وـالـجـمـعـ، أوـ الـفـاظـ المـدـحـ وـالـذـمـ، أوـ الـأـفـعـالـ وـالـأـسـمـاءـ، أوـ الـأـسـمـاءـ وـالـصـفـاتـ، أوـ الـحـقـيقـةـ وـالـمـجـازـ. فإذا راح يـمـتـحـنـ هذهـ الـمـسـلـمـاتـ وـجـدـ أـنـهـ تـطـبـقـ عـلـىـ لـغـاتـ كـلـهاـ أوـ جـلـهاـ. أـمـاـ التـمـاديـ الـذـيـ قدـ يـنـزـلـقـ إـلـيـهـ الـلـغـويـ، فـمـبـعـثـهـ أـنـ يـضـخـمـ تـصـوـرـهـ لـنـتـائـجـ مـسـتـمـدـةـ مـنـ مـلـاحـظـاتـ تـنـقـاوـتـ فـيـ اـسـتـقـرـائـهـ، مـنـ عـيـنـاتـ تـتـبـاـيـنـ فـيـ درـجـةـ مـحـدـودـيـتـهـ، أوـ شـمـولـهـ، فـيـ لـغـةـ بـعـيـنـهـ، لـتـعـطـيـ قـوـةـ التـجـرـيدـ الـذـهـنـيـ الـذـيـ لاـ يـسـتـقـىـ شـرـعـيـتـهـ مـنـ الـوـاقـعـ، بلـ يـسـتـقـىـ الـوـاقـعـ مـنـ قـوـةـ وـجـودـهـ.

فالنـحـويـ مـثـلـاـ خـلـطـ فـيـ تـاصـيـلـهـ لـجـمـلـةـ الـحـالـ بـيـنـ قـاعـدـيـنـ: إـحـدـاهـماـ استـبـاطـيـةـ مـفـادـهـاـ أـنـ:

- الـحـالـ تـبـيـنـ الـهـيـنـةـ (وـهـذـهـ قـاعـدـةـ تـكـتـسـبـ صـفـةـ الـعـمـومـ فـيـ كـلـ لـغـةـ).

وـأـخـرـىـ اـسـتـقـرـائـيـةـ مـفـادـهـاـ أـنـ:

- الـحـالـ مـنـصـوبـةـ (وـهـذـهـ قـاعـدـةـ تـكـتـسـبـ صـفـةـ الـعـمـومـ فـيـ الـعـرـبـيـةـ دـوـنـ غـيـرـهـاـ)

فـكـيـفـ يـوـقـنـ النـحـويـ بـيـنـ مـتـطـلـبـاتـ الـقـاعـدـةـ الـأـوـلـىـ وـالـثـانـيـةـ؟

إنـ جـمـلاـ مـنـ نـحـوـ: جاءـ زـيـدـ ضـاحـكاـ، لاـ يـحـدـثـ فـيـهاـ تـعـارـضـ بـيـنـ مـتـطـلـبـاتـ الـقـاعـدـيـنـ السـابـقـيـنـ: بـيـانـ الـهـيـنـةـ، وـالـنـصـبـ؛ بلـ إـنـ مـتـطـلـبـاتـ أـخـرـىـ تـرـاعـىـ كـذـلـكـ دـوـنـ صـعـوبـةـ، كـانـ يـقـالـ: الـحـالـ تـبـيـنـ هـيـنـةـ صـاحـبـهاـ وـقـتـ وـقـوـعـ الـحـدـثـ. فـالـزـمـنـ

واحد، إذ المجيء والضحك حدثا في وقت واحد.

ولكن التعارض يحدث حين يحتاج النحوي شكلياً إلى أن يدخل في عموم القاعدة الاستباطية جملأ من نحو: جلس زيد يستريح، أو أتيت زيداً أعرض عليه مسالتي، أو وقفت انتظر زيداً، فقد عد النحوي جملة: يستريح، وجملة: أعرض عليه، أو: انتظر زيداً، جملأ حالية. لماذا؟ لأنه قرر أن يكون تأويلها بالمفرد اسم مشتقاً في محل نصب، وبذل يكون قد اصطدم في هذا التأصيل بشرط القاعدة الأولى: بيان الهيئة، فإن هذه الجمل لا تبيّن الهيئة، وإنما تعلل بالدرجة الأولى. ولكن الرغبة في تعليل النصب جعله يعدّها جملأ حالية تبيّن الهيئة. وعليه، فإن السؤال الذي تجيب عنه هذه الجمل من ناحية وصفية هو: لماذا؟ وليس كيف؟

وقد اشترط النحوي أن يكون المفرد الذي تزول به جملة الحال مشتقاً، إذ دلَّ استقراء الجزنات على أن الحال المفردة تأتي مشتقة على الأغلب. ولذا فإن النحوي لا يرغب في أن يزوله بمصدر؛ لأن المصدر في النحو البصري - وهو السادس - جامد، وهو أصل المشتقات، منه جاءت. ولا يصح أن يكون بحسب القاعدة الاستباطية المنطقية مشتقاً، وإلا لوقع النحوي في تعارض منطقي باعتبار المصدر مشتقاً من جهة، وأصلاً للمشتقات من جهة أخرى. إنها لمهمة عسيرة، بحق، أن يوفّق بين متطلبات المناهج المتعددة. وعلى هذا فقد كان المخرج النحوي التقليدي، لمن أراد أن يزول جملة: أنتظر زيداً، من الجملة: وقفت أنتظر زيداً، بمصدر، أن يعد المصدر في محل نصب مفعول لأجله. ومهما يكن فإن معنى المفعول لأجله هو الذي يسود المعنى في هذا النوع من الجمل.

فليس غريباً، إذن، أن يحدث هذا التعارض في التفكير النحوي أحياناً، فالدليل الاستباطي دليل منطقي عقلي، يخاطب العقول جميعها بغض النظر عن اختلاف اللغات. أي: الدليل الاستباطي مفهوم، أو مضمون، أو معنى. أما الدليل

الاستقرائيِّ فقد يكون مضموناً، وقد يكون شكلاً. فإن كان شكلاً فاللغات تختلف في بناها وصيغها، ويُقرُّ هذا الاختلاف بحسب العينات أو الجذنيات موضوع التجربة.

ولو عدنا إلى المثل نفسه من درس الحال للاحظنا أنَّ الزمن ربما لا يثبت، بمعنى أنَّ المجيء والضحك، ربما لا يحدثان في آن واحد في غير هذا المثال، فقولك: خرجت من البيت وقد شفيت، فيه زمان متعاقبان. فشفيت تحققت قبل: خرجت، وعلى هذا فالعلاقة الزمنية يمكن أن يمثلها الرسم الآتي:

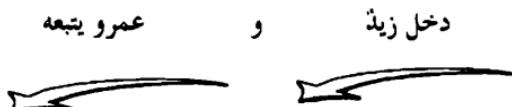
(السهم يمثل اتجاه الزمن)



ولو قلت: خرجت من البيت والمطر ينزل، وكانت العلاقة تقاطعية. المطر ينزل (زمن مستمر) ولحظة الخروج لحظة تقاطعية مع هذا الزمن.



ولو قلت: دخل زيد، وعمرو يتبعه، وكانت العلاقة تتبعية، ولكن في اتجاه معاكس، هكذا:



إن العلاقة الزمنية في الجملة الحالية معقدة، وقد أشار القدماء إلى شيء من ذلك في نحو: زيد أبوك رحيمأ، وخلق الله رقبة الزرافة طويلة. ولا يقل عنها تعقیداً الزمن في جمل أخرى كالشرط. ولكن ما نرمي إليه هنا هو بيان أن المفهوم الاستيباطي العام الراسخ قد تعاور مع المفهوم الاستقرائي الخاص بلغة دون أخرى، فترتّب على ذلك نوع من الانقسام في تأصيل الظاهرة اللغوية. وعلى هذا فقد عَد سيبويه جملة من نحو: أما زيد فمنطلق، شرطية، رغبة في تفسير الفاء في: فمنطلق، مع أن المضمنون الاستيباطي يستبعد شرطيتها. وقد فسرها سيبويه بـ: مهما يكن من أمره فهو منطلق. وعَد النحاة الفعل: يكن، والجملة بعد الفاء في نحو: إن يكن زيد خان الأمانة، فقد خانها أبوه من قبل، ركني جملة الشرط والجزاء، مع أن هذا يتعارض مع المضمنون، فال فعل الذي يحمل مضمون الشرط، إما فعل ممحض تقديره: يثبت أنه خان الأمانة، أو هو الفعل: خان، أي: إن خان الأمانة. وأما جواب الشرط ممحض تقديره: فلا تستغرب لأن آباء خانها من قبل. إن من حقنا أن نتصور ذلك، لأن القاعدة النحوية الاستيباطية تقول: "الشرط لا يقع إلا على فعل لم يقع" ^(١٤) والجزاء غير واجب آخره إلا بوجوب أوله ^(١٥)، وهي قاعدة منطقية تصلح لكل لغة، لكن النظر الاستقرائي الشكلي ترتّب عليه ملاحظة الجزم الغالب على فعل الشرط، والجواب، ولذا أصبح الجزم مؤشراً على الشرط والجواب شكلاً، وكذلك اقتران الجواب بالفاء، إذ أصبح مؤشراً من مؤشرات الجواب شكلاً. ولكن هذا استقراء شكلي يشكل قانوناً من قوانين العربية، بينما أنه ليس قاعدة استيباطية تتجاوز الأوضاع في لغة ما إلى جميع اللغات.

وعلى هذا فالمنهج الاستقرائي يختلف في علله عن المنهج الاستيباطي، إذ يسعى الأول إلى البحث عن وجه الشبه المماثل بين الجزئيات في الشكل والمضمنون، حتى يتخلّق من صلب هذا الشبه قاعدة عامة. ومثل اللغوي في هذا

مثل من يستعرض وجه الشبه بين الشفائق والتوائم حتى يستجمع صورة الأم (القاعدة). أما مثل اللغوي في المنهج الاستباطي فهو كمثل من عرف الأم، وأراد بملامحها أن يتعرف على الأبناء (الجزينات)، وأن يثبت بما يعرفه من صفات الأم أن هؤلاء هم الأبناء.

٦- المفهوم الفلسفـي للتأصـيل

قد يقوم التأصـيل اللغوي على أساس فلسفـي. ولنضرب مثلاً على ذلك من "شرح المفصل" لابن يعيش. فابن يعيش، كغيره من النحـاء، وأحسنـ المتأخرـين منهمـ، قد يوصلـ الظاهرـة اللغـوية بـعلـ فـلـسـفـيـةـ، فهو مثلاً يذكرـ القـاعـدةـ (١١)ـ. النـحوـيـةـ الـتـيـ تـنـصـ عـلـىـ أـنـ "ـكـلـ جـمـلةـ وـقـعـتـ صـفـةـ، فـهـيـ وـاقـعـةـ مـوـقـعـ المـفـرـدـ"ـ. ثـمـ يـلـتـفـ اـبـنـ يـعـيـشـ إـلـيـ السـبـبـ الـذـيـ يـجـعـلـ الـجـمـلـةـ فـيـ مـوـقـعـ المـفـرـدـ فـيـ هـذـاـ المـقـامـ، فـيـ سـأـلـ عـلـىـ طـرـيـقـ الـمـتـكـلـمـيـنـ وـالـفـلـاسـفـةـ، باـسـتـخـدـامـ أـسـلـوبـ "ـالـفـقـلـةـ"ـ، الـذـيـ كـثـرـ عـلـىـ أـلـسـنـ الـمـتـكـلـمـيـنـ وـالـفـلـاسـفـةـ. قـالـ: "ـفـابـنـ قـيـلـ: فـلـمـ زـعـمـتـ أـنـ المـفـرـدـ أـصـلـ، وـالـجـمـلـةـ وـاقـعـةـ مـوـقـعـهـ؟ـ فـالـجـوابـ: أـنـ الـبـسيـطـ أـوـلـ، وـالـمـرـكـبـ ثـانـ، فـإـذـاـ اـسـتـقـلـ الـمـعـنـىـ بـالـأـسـمـ الـمـفـرـدـ، ثـمـ وـقـعـ مـوـقـعـ الـجـمـلـةـ، فـالـأـسـمـ الـمـفـرـدـ هـوـ الـأـصـلـ، وـالـجـمـلـةـ فـرـعـ عـلـيـهـ"ـ.

إن فـكـرةـ "ـالـبـسيـطـ"ـ وـ"ـالـمـرـكـبـ"ـ فـكـرةـ مـسـتـعـارـةـ مـنـ الـفـكـرـ الـفـلـسـفـيـ، فالـفـلـاسـفـةـ يـخـرـجـونـ مـمـاـ غـرـفـ بـالـدـورـ الـفـلـاسـفـيـ فـيـ "ـأـصـلـ"ـ الـكـوـنـ بـرـدـهـ إـلـىـ عـلـةـ أـولـىـ. وـشـرـطـ العـلـةـ أـولـىـ أـنـ تـكـوـنـ بـسـيـطـةـ، لـأـنـهـاـ لـوـ كـانـتـ مـرـكـبـةـ لـصـحـ التـسـاؤـلـ بـشـانـهـاـ، فـقـيـلـ: مـنـ رـكـبـهـ؟ـ إـذـنـ، لـاـ بـدـ لـلـأـصـلـ أـنـ يـكـوـنـ بـسـيـطـاـ، وـالـمـفـرـدـ فـيـ الـلـغـةـ بـسـيـطـ، أـمـاـ الـجـمـلـةـ فـمـرـكـبـةـ، وـعـلـىـ هـذـاـ فـابـنـ الـمـفـرـدـ "ـأـصـلـ"ـ، وـالـجـمـلـةـ "ـفـرـعـ"ـ، لـدـىـ أـصـحـابـ هـذـاـ التـعـلـيلـ.

وارتبـطـ الـأـصـلـ وـالـفـرـعـ بـمـصـطـلـحـاتـ فـلـسـفـيـةـ، كالـثـابـتـ وـالـمـتـقـلـ، وـالـجـوـهـرـ

والغرض. ومثال ذلك مذهب ابن جنبي في الاستدلال على أنَّ أصل الكلام مفردات، وليس جملة، وأنَّ علم الصرف علم مفردات، فهو علم الأصل الثابت، وأنَّ علم النحو علم الجمل، فهو علم الفرع المتنقل، لأنَّ موقع الكلمات (الثوابت) ينتقل في الجملة.

وقد حشد الفكر اللغوي كثيراً من المفاهيم الفلسفية، فالذين ذهبوا مثلاً إلى أنَّ العامل في المفعول به هو الفعل والفاعل، وليس الفعل وحده، عللوا ذلك بأنَّ الفعل يدور مع الفاعل وجوداً وعدماً، والدوران يفيد العلية^(١٨). فهذا التعليل فلسي، وكذلك المصطلحات من نحو: الوجود، والعدم، والدوران، والعلية، كلها مصطلحات فلسفية.

والتفكير اللغوي كثيراً ما دخل فيه المنطق الفلسفي، فالعلة في المنطق الفلسفي تتقدم على المعلول، وهو يدور معها وجوداً وعدماً. وهذا حكم مقبول في عالم المعاني والموجودات. فلو طبقنا ذلك على جملة من نحو: إنْ تدرسْ تتجَّعْ، وكانت النتيجة (أي النجاح) متعلقة بالعلة (الدراسة). وهذا منطق صحيح لا يختلف فيه الناس، حتى لو اختلفت في التعبير عنه ألسنتهم، وأعصارهم وأمساكهم... غير أنَّ محاولة تشبث اللغوبيين بتطبيق هذه النتيجة الاستدلالية على ترتيب الكلمات في الجملة الشرطية، لا يطرد على هذا النحو المنطقي دائمًا. فانت تقول: تتجَّعْ إنْ تدرسْ. فتكون النتيجة لفظاً قد تقدمت على العلة، وهذا جائز لغة، ولكنه غير جائز من المنظور المنطقي الفلسفي، إذ به يحصل تعارض. وبذا يكون الترتيب اللفظي قد تعارض مع ظاهر المقتضى المنطقي. فماذا يقولون اللغوي إذا سيطر عليه النظر المنطقي الفلسفي، في نحو: تتجَّعْ إنْ تدرسْ؟ إنه لا يُعدُّ تتجَّعْ، جواب الشرط مقدماً على فعله، فيقدر جواباً للشرط مؤخراً، حتى تكون النتيجة اللغوية منسجمة مع موقعها اللاحق للنتيجة المنطقية. قال ابن السراج: «كُلُّ شيء يكون سبباً لشيء أو علة له، فينبغي أن تقدم في العلة على

المعلوم. فإذا قلت: إن تأتي أعطي درهماً، فالإتيان سبب للعطية، به يستوجبها، فيينبغي أن يتقدم، وكذلك إذا قلت: إن تعص الله تدخل النار، فالعصيان سبب لدخول النار، فيينبغي أن يتقدم. فاما قولهم: أجيئك إن جئتك، وأتيك إن تأتي، فالذى عندنا، أن هذا الجواب ممحض، كفى عنه الفعل المقدم^(٣). فانظر كيف أدى هذا التأصيل المنطقى الفلسفى إلى عدم عد الجواب المقدم جواباً، فكانما أصبحت الجملة هكذا: تجف إن تدرس تنجح.

فالنحوى - على هذا - يسعى إلى منطقة اللغة، أحياناً - حتى يستطيع بذلك أن يفسر شكلها الظاهر، وكان المنطق هو السبيل الأيسر لفهم الأشياء، حتى لو أدى ذلك المنطق إلى إيجاد شيء غير موجود بالنسبة للنظر الوصفى الحالى.

إن تساوق متطلبات المنطق مع المجرى اللغوى يبدو صعباً أحياناً، فمع أن المنطق أداة إنسانية عامة في التعامل مع مظاهر الوجود، يند أنه لا يشكل سوى جزء من عوامل التكوين اللغوي، والظاهرة اللغوية شكل من أشكال الظاهرة الإنسانية، وهي أشد تعقيداً من الظاهرة الطبيعية، فإذا كان المنطق لا يستطيع أن يفسر لنا الظاهرة الطبيعية، تفسيراً كاملاً، فكيف يمكنه أن يفسر الظاهرة الإنسانية في شكل من أشد أشكالها تعقيداً، ألا وهو: اللغة: وعاء التعبير عن عالم الطبيعة والنفس.

وعلى أي حال، فلا نحسب أن تقديرات اللغويين: القدامى والمحدثين في معرفة الظاهرة اللغوية، سوى استجابة لذلك الاندفاع الغريزي المتكرر، نحو تسليق الذرى تجاه أسرار المجهول، المجهول اللغوي، وقد أفلحوا، حيناً، أو كانت عثراتهم سبيلاً إلى التراجع نحو الصواب حيناً آخر.

٧- المفهوم الشرعي الإسلامي للأصل

رأينا كيف تأثر ابن يعيش بالمفهوم الفلسفى فى عد المفرد "أصلاً" فى النعت؛ لأن المفرد بسيط، وفي عد الجملة فرعًا لأنها مركبة. ثم يقدم ابن يعيش دليلاً آخر على أصلية المفرد، وفرعية الجملة. وهو دليل مقيس على دليل شرعى، فالمفرد في مقام "الرجل"، والجملة في مقام المرأتين. قال: "ونظير ذلك في الشريعة شهادة المرأتين فرع على شهادة الرجل"^(١٩) ، فالمفرد أصل كالرجل، والجملة فرع كالمرأتين.

ولا يخفى أن هذا القياس التأصيلي قياس بعيد عن طبيعة اللغة، وهو من باب تأثر التفكير النحوي بعلوم الشريعة. وليس هذا بغريب. فقد كان كثير من النحاة فقهاء، وكان ابن يعيش نفسه قاضياً. والنحو أساس مهم في درس العلوم الشرعية. فليس غريباً أن تتدخل مناهج التفكير في هذه العلوم، وأن تتجاذبها عوامل التأثر والتاثير.

ومن أظهر الأمثلة التي تبرز أثر الخلفية الفكرية على اللغة، ما تجادبه المفسرون واللغويون من آراء وعلل حول أصل الظاهر اللغوية برمتها: أهي اصطلاح أم توقيف؟ وقد كان تباينهم واضحاً في تفسير قوله تعالى: أو عَلِمَ آدُمُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا؟.

٨- المفهوم الوظيفي للتأصيل

ثمة تأصيل وظيفي، إذ يُعد الأصل أصلاً لأهميته الوظيفية، فالفاعل عند الخليل أحق بالرفع من المبتدأ، وينعل ذلك بمدى حاجة كل منها إلى العلامة الإعرابية، فإذا قلت: ضرب زيد بكر، بتسكين كل من: زيد وبكر، لم يعرف الضارب من المضروب، ولذا كان الرفع في الفاعل أصلاً حتى تميزه من

المفعول. ولو قلت: زيد قائم، بالتسكين، فإن دلالتهما على المبتدأ والخبر تبقى قائمة. وعلى هذا، فافتقار الفاعل إلى الرفع أشد، فهو للفاعل أصل منه (٢٠) للمبتدأ .

ومن أمثلة ذلك أن تُعدَّ الألف في نحو: يا زيداً، ألف ندبه. قال الفراء: "الأصل في النداء أن يقال: يا زيداً، كالندبه" (٢١) . وهذه الإشارة فضلاً على التقانها مع المنهج التاريخي في تفسير هذه الألف بوصفها لنداء المتراجع عليه، فإنها تأخذ بجانب المعنى. إذ اكتفى من حرف النداء للمتراجع عليه (وهما: يا+زيد + ا) بتكرار الألف من ثانيهما لإطلاق الصوت بالنداء. أما النظرة الثانية في تفسير هذه الألف فمبعثها تفسير عدم بناء زيد على الضم، كما هي قاعدة المنادي إذا كان علماً مفرداً. فعدوا الألف في: زيداً بمنزلة المضاف إليه (٢٢) ليسوَّغاً حرقة الفتح على المنادي العلم المفرد.

مَثَلٌ عَلَى مَغْبَةِ الْخُلُطِ بَيْنِ مَنَاهِجِ التَّأصِيلِ

لا شك في أن اختلاف المناهج قد يساعد في إضاعة الحقيقة اللغوية، والوقوف على جوانبها المتعدد، وربما لا يتأتى للباحث من خلال منهاج واحد أن يرى ما يمكن أن يراه باستخدام منهاجين أو أكثر. فالمنهج التاريخي يقف بنا على مراحل الظاهر، وتطوراتها، ويقف بنا المنهج المقارن على كونها أصيلة أو دخلية، وإذا كان المنهج التاريخي يفهم الأصل بمعنى القدم، وبفهمه المنهج المقارن بمعنى يغاير معنى الدخيل، فإن المعياري يفهمه بمعناه القاعدي الذي يصلح أن يقاس عليه، ويستأنس به في ضبط الكلام، وبفهمه الإحصائي بمعناه الرقمي، إذ الأصل هو الأكثر... وهكذا يتعدد النظر المنهجي، وكل منهاج يتكلّل بإضاعة سطح أو عمق من أسطح الحقيقة اللغوية وأعمقها.

نبذ أن هذا التعدد ينطوي على بعض الخطورة، فلو أننا خلطنا في البحث

الوصفي الإحصائي بين مفهوم الأصل بمقتضاه التاريخي، ومقتضاه المعياري مثلاً، لرکبنا بذلك شططاً، ولعمينا الأمور ولم نضنها. وهذا ما حدث في الواقع أحياناً، ولنضرب لذلك مثلاً بمسألة تحتاج إلى التأصيل التاريخي، ولكن ابن عصفور يعالجها معالجة تتأى بها عن هذا المنهج، فهو يتحدث عن الكلمة، تأتى في موضع على نظم ما، كان يقال: جذب، ثم تأتى في موضع آخر، على نظم مختلف، كان يقال: جبذ، ثم يسأل ابن عصفور قائلاً: "فيم يعلم أن أحد النظمين أصل، والأخر مقلوب منه؟"^(٢٣).

استخدم ابن عصفور الأساس الوصفي القائم على كثر التردّد والشروع في الحكم على الأصل التاريخي الذي يعتمد فيه على معرفة الأقدم، وما كانت عليه الظاهرة. ومن الأسس التي قدمها في تأصيل هذه الظاهرة التاريخية "أن يكون أحد النظمين أكثر استعمالاً من الآخر، فيكون الأكثر استعمالاً هو الأصل، والأخر مقلوباً منه، نحو: لعمري، ورعايلي، فإن لعمري، أكثر استعمالاً، فلذلك أدعينا أنه الأصل"^(٢٤).

وليس الاعتراض هنا على النتيجة التي انتهى إليها ابن عصفور في أن لعمري، أصل، والأخر مقلوبة عنها، وإنما الاعتراض على الاستدلال بكثره الشروع في مسألة تاريخية. ولنأخذ مثلاً على ذلك كلمة: ركبة، فهي الساندة في العربية، وهي مقلوبة أصلاً من: بركة، بدليل أن العربية ما تزال تستخدم فعلها الأصلي: برَك، على أصوله العتيقة، فيقال، برَك الجمل، إذا جثَا على رُكْبته، ولو لم يقلب لقيل: على برَكتيه، والدليل الآخر دليل تاريخي مقارن، إذ وردت هذه الكلمة في اللغات السامية من مادة: برَك، وليس من مادة: ركب. وقل مثل ذلك فيما جاء على وزن افتعل، نحو: افتح، فإن أصلها السامي: انفعل، وقد حدث هذا القلب في العربية إلا في بعض اللهجات، كلهجة القاهرة.

ومن أنس ابن عصفور في هذه المسألة قوله: "أن يكون أكثر التصريف على النظم الواحد، ويكون النظم الآخر أقل تصريفاً، فيعلم أن الأصل هو الأكثر تصريفاً، والأخر مقلوب منه".

وقد استصوب ابن عصفور الجرمي في عده: اطمأن، أصلاً، وذهب إلى الإعراض عن رأي سيبويه في أن أصلها: طامن، وليس طمان، قال ابن عصفور: "ونذلك نحو اطمأن وطامن. فالاصل عند سيبويه أن تكون الهمزة قبل الميم، و: اطمأن، مقلوباً منه، لما ذكرنا. وخالف الجرمي في ذلك، فزعم أن الأصل: اطمأن، بتقديم الميم على الهمزة، وهو الصحيح عندي، لأن أكثر تصريف الكلمة أتى عليه"^(٢٥). ولكن تعليل ابن عصفور يعود بنا إلى الاتكاء على جانب وصفي عمامه كثرة الاطراد والشيوخ. على أن النظرة التاريخية المقارنة تشير إلى أن الهمزة في هذه الكلمة زائدة أصلاً، إذ وردت هذه الكلمة بأصولها الثلاثية في بعض اللغات السامية، كالعبرية، فهي **תָּמַן** طمن. ويرى بعض علماء الساميّات أن النون فيها قد تبادلت مع الراء في الآرامية **תָּמַר**^(٢٦) ، وفي السريانية **مְحֻנָּה**^(٢٧) . وفي الأكادية **temēru** بالراء، ويقارنون ذلك بمادة: طمر، في العربية. وعلى هذا يكون تبادل النون والراء قد حدث في هذه اللفظة من اللغات السامية، وينبغي أن نلاحظ أن هذا الرأي يغفل التباعد في المعنى بين: طمر، وطمن. وقد حدث التبادل بين الراء واللام أيضاً في هذه اللفظة من العربية، حيث جاءت لفظة الطُّمُرُور باللام: **الطمّول**، إذ هي لغة فيها^(٢٨). ولا تستبعد أن يكون تباعد ما بين هذه الكلمات لفظاً ومعنى من أثر التطور، فكثيراً ما توظّف اللغة التباعد اللفظيّ توظيفاً معنوياً.

وقد أحسن ابن منظور إذ عالج هذه الكلمة: طمأن، تحت **الثلاثي**: طمن.
فكأنما استشعر أن هذا الثلاثي هو الأصل التاريخي الذي مات من العربية. قال:

"وَطَمَنْ غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ فِي الْكَلَامِ"^(٢٩). وعلى هذا يكون وزن: طمان فعال، وليس فعل. ونظرة ابن منظور التي تتعامل مع الأصل بحسب ما استقرَ عليه الاستعمال، وليس مع ما كان عليه تاريخياً، تتاسب ومتطلبات المنهج المعياري الذي تسير عليه المدرسة العربية.

وأما الهمزة في اطمأن فجاءت من محاولة بعض العرب للتخلص من المقطع الطويل المغلق mān في اطمأن /mān/it؛ وذلك بقسمة هذا المقطع إلى قسمين: قصير مفتوح ma وقصير مغلق an^(٣٠). بهذه كانت حيلة بعض العرب في التخلص من المقطع الطويل المغلق، في نحو: الضالّين التي قرنت: الضالّين^(٣١). وعلى هذه القراءة جاءت ألفاظ من نحو: اخضار، من اخضراء، واصفار من اصفار... وهكذا. ومن العرب من تخلص من المقطع الطويل المغلق بتقصيره دون الحاجة إلى الهمز، فقيل: افعل، في: افعال، ومثال ذلك: اخضر، واصفر، ومنه تقصير الواو في نحو: لتركبـنـ، إذ أصلها: لترکبـونـ، إذ قصر المقطع الطويل المغلق būn من تركبـونـ na ليصبح مقطعاً قصيراً مغلقاً bun من تركبـنـ tar/ka/bun/na. وهذه الظاهرة هي التي فسرـها القدماء بالبقاء الساكنـينـ، إذ عـدـواـ الأـلـفـ - وهي الحركة الطويلـةـ - سـاكـنةـ، تأثـراـ بالشكل الكتابـيـ للأـلـفـ. إذ ما دـامـ الصـوتـ، أو بـتـبـيـرـهـ: الحـرـفـ، له شـكـلـ كتابـيـ، فهو يـحـتمـلـ أنـ يـحـركـ أوـ يـسـكـنـ، وعلىـ هـذـاـ عـدـتـ الأـلـفـ سـاكـنةـ.

فالهمزة، إذن، مجتبـلةـ، وأـصـلـ الكلـمةـ: طـمـنـ، ولـمـ يـغـبـ الحـسـ التـارـيـخـيـ عن ابن منظور، وهو يعرض هذه الكلـمةـ تحت مـادـةـ: طـمـنـ. فقد عـرـضـ لهـذـهـ الكلـمةـ في غـيـابـ الأـصـلـ: طـمـنـ، قـائـلاـ: "إـنـ الـهـمـزـةـ لـمـ لـزـمـتـ اـطـمـانـ، وـهـمـزـواـ الـطـمـانـيـنـ، هـمـزـواـ كـلـ فـعـلـ فـيـهـ"^(٣١). وهذا من بـابـ تـعمـيمـ الـهـمـزـةـ، كـانـمـاـ هيـ أـصـلـيـةـ، إذـ لـمـ تـعـدـ محـصـورةـ فيـ غـرـضـ التـخلـصـ منـ المـقـطـعـ الطـوـيلـ المـغـلـقـ.

وقد تبادلت الهمزة والعين بوصفهما حرفين حلقين، فقال بعضهم: افعال.
وقال آخرون: افعُل، كما هي الحال في اقْسَارٍ واقْسُعَرَ، وابذَّارَ، وابذُّعَرَ، كما
تبادلت الهمزة والهاء في نحو: اكْفَارٌ وَاكْفَهَرٌ (من كفر)، وازْمَارٌ وازْمَهَرٌ (من
زمر) ^(٢٤).

وعلى هذا فالصيغ الآتية تمثل تطورات تاريخية، ومفارقات لهجية، وكلها
تعود إلى أصل ثلاثي واحد:

- افعال - بالقطع الطويل المغلق
- افعل - بتقصير المقطع الطويل ليصبح قصيراً مغلقاً.
- افعال - بقسمة المقطع الطويل المغلق إلى قصير مفتوح وقصير مغلق.
- افعلل - بابدال الهمزة عيناً.
- افعهل - بابدال الهمزة هاء

فالمسألة التي طرحتها ابن عصفور لا تعالج بحسب التأصيل القائم على التردد والشيوخ. فتأصيل كهذا لا يتفق والمفهوم التاريخي الذي يبحث عما كانت عليه الظاهرة، حتى وإن قلت الشواهد؛ فإن كثيراً من الظواهر اللغوية التي أصبحت نادرة، تشكل أصلاً تاريخياً لما آلت إليه هذه الظواهر، فانتشرت في شكلها الجديد، أو ماتت، فلم تبق منها باقية.

مناجم التأصيل الصوفي في كتاب المنصف (شرم التصويف) لابن جنبي

كتاب "المنصف"، كتاب يشرح فيه ابن جنبي (المتوفى سنة ٣٩٢هـ) كتاب "التصويف" للمازني (المتوفى سنة ٢٤٧هـ). وللمازني فضل السبق في تصريفه. ينذر أن ابن جنبي قد أغنى هذا الكتاب إغناء ب بصيرته اللغوية الناذفة، بل لقد أغنى

التفكير الصرفي العربي، بمنهجيته في التفكير والإقناع. وفي وسع المرء أن يرى فيما اختطه ابن جنى، أثراً واضحاً، أو غامضاً، من آثار ما انتهت إليه المناهج اللغوية الحديثة. وعلى أيّ، فالآخر الواضح، أو الغامض، الذي اختطه، يمثل إرهاصاً ترايّناً لما انتهت إليه العقلية الحديثة من تفكير منهجي. فالمناهج الحديثة لم تأت من فراغ. وهي خلاصة رحلة العقل الإنساني في التفكير، تتدخل مراحلها وخلفاتها، حتى تتشكل من هذه المراحل سلسلة زمنية لعمر مسيرة العلم. ومن هذه الحلقات تخلّقت مراحل التطور العلمي للبشرية.

وسيتركزُ الجهد في هذا البحث على دراسة الخيوط المنهجية في كتاب المنصف، فهو أنموذج حي للمعالجة الترايّنة ممثلاً في ابن جنى، بوصفه علماً من أعلام التراث اللغوي، الذين أرسوا دعائماً منهجية كثيرة. وسوف أحدد الغاية من هذا التتبع في الهدفين الآتيين:

- ١ - الوقوف على الآثار المنهجية المعاصرة في جذور التراث الصرفي.
- ٢ - تقويم بعض هذه الآثار في ضوء ما استقرت عليه المناهج المعاصرة.

وليس المقصود في هذا البحث أن تستقصى المادة، وأن تحصر الحالات التي تقع تحت نقطتها بعينها. إذ حسبنا أن نتبعد مسار كل خيط منهجي بمثال أو أكثر، بما يكفي لإيضاحه في نسيج التفكير اللغوي عامّة. إذ استقصاء الأمثلة سيؤدي إلى تضخيم العمل، وقد يترتب عليه إيراد بعض الأمثلة التي لا يكون إيرادها تحت فنتها، غير حال من إضعاف الفكرة الأساسية، ممثلاً في إظهار السمات المنهجية إظهاراً تقويمياً، يدل على أنّهم عرفوا تلك الأسس بوضوح، حاسم تارة، أو يعتريه خفاء، تارة أخرى. وسوف أتناول هذه الجوانب المنهجية في شكل نقاط لعل أهمها :

أولاً : التأصيل التاريخي

ومن مظاهره :

١ - التأصيل التاريخي القائم على دليل نصي

عَدَ ابن جنِيَّ أصلَ كلاماتِ منْ نحوِ عَلْبَط، وَعَكَمْس، بِالآلَفِ: عَلْبَط، وَعَكَامْس. واستدلَّ على ذلك بالنصوص التي جاءت عليها هذه الكلمات بِالآلَفِ، نحو قول الراجز :

ما راعني إلَّا جناح هابطا
على البيوت قوطة العلابطا^(٣٣)

ومعلوم أن المنهج التاريخي يعتمد بالنص بوصفه وثيقة تاريخية ينطلق منها في التأصيل التاريخي. وإيراد الشاهد ليس أمراً نادراً في تأصيل القدماء، وسيكون من الابتذال أن نستفيض في ذكر المواطن التي تدل على هذا المبدأ الأساسي في التفكير اللغوي عامّة، وإن كان إيراد الشاهد ليس دالاً دائماً على التأصيل اللازم في السياق التاريخي؛ إذ قد يرد الشاهد لتقدير واقع وصفي، دون أن يقرَّر أصلًا تاريخيًّا. ومن جانب آخر، فليس كل تأصيل تاريخي يقتوم على الشاهد، إذ كثيراً ما يكون التأصيل التاريخي مفتقرًا إلى الشاهد، ومستندًا إلى الاستنتاج، أو الدليل الفلسفى، أو غير ذلك. وسيمر بنا تفصيل ذلك لاحقاً في هذا البحث.

وعلى أيّ، فإنَّ ابن جنِيَّ يؤكد دور الشاهد في أكثرِ من موقع، فهو يتحفظ إزاء كسر الحرف الأول، والخروج منه إلى الضمة في وسط الكلمة، كضم الباء في زفير، وضمُّل وإصبع، ولم يُعَذَ ذلك أصلًا يقاس عليه، لعدم توفر النص الثابت. قال: "لأنَّها لم يصحُّ بها ثبت" ^(٣٤). وقد يشك ابن جنِيَّ في رأى أو روایة ^(٣٥) لغوية تروى، فيعرب عن شكه بنحو قوله: "وَمَا أَنَا مِنْ هَذِهِ الْحَكَايَةِ عَنْ ثَقَةٍ" .

٤- التأصيل التارخي القائم على الاستنتاج العقلي

عد ابن جنی^(٣٦) أصل الأفعال الجوفاء، نحو: قال، وخفاف، وطال؛ هو: قول، وخوف، وطول. وإنما دليله على ذلك فلا يقُول على النص، إذ لا يوجد نص بهذا الأصل. وإنما استنتاج ذلك من اشتقاقات هذه الأفعال، كال مضارع مثلـ، وهو استنتاج مصحوب بالتعليل، إذ انقلبت ألفاً لتحرّكها وافتتاح ما قبلها.

ولم يكن الحسـ التارخيـ ليغيب عن ابن جنـيـ وهو يؤصل نحوـ: قـامـ، وـبـاعـ. فهو يدرك أنـ الدليل النصـيـ يـنـقصـهـ، ويـقرـرـ أنـ أـصـلـ: قـامـ، مـنـ خـلالـ الاستنتاجـ العـقـليـ الـذـيـ يـفـتـقـرـ إـلـىـ الدـلـيلـ الوـثـانـقـيـ، الـذـيـ يـبـحـثـ عـنـ أـصـحـابـ الـمنـهـجـ التـارـيـخـيـ أـوـلـاـ. قالـ ابنـ جـنـيـ: "وـيـنـبغـيـ أـنـ يـعـلـمـ أـنـ لـيـسـ مـعـنـىـ قـوـلـنـاـ: إـنـهـ كـانـ أـصـلـ فـيـ قـامـ وـبـاعـ: قـومـ وـبـيـعـ، وـفـيـ أـخـافـ، وـأـقـامـ: أـخـوفـ، وـأـقـومـ... أـنـنـاـ نـرـيدـ بـهـ أـنـهـ قـدـ كـانـوـاـ نـطـقـوـاـ مـدـةـ مـنـ الزـمـانـ بـقـوـمـ وـبـيـعـ، وـنـحـوـهـ مـاـ هـوـ مـغـيـرـ، ثـمـ إـنـهـ أـضـرـبـوـاـ عـنـ ذـكـرـ فـيـمـاـ بـعـدـ، وـإـنـنـاـ نـرـيدـ بـذـكـرـ أـنـ هـذـاـ لـوـ نـطـقـ بـهـ عـلـىـ مـاـ يـوـجـبـ الـقـيـاسـ بـالـحـلـ عـلـىـ أـمـثـالـهـ لـقـيلـ: قـومـ، وـبـيـعـ، وـاسـتـقـومـ، وـاسـتـعـونـ". وـقـالـ فـيـ مـوـضـعـ آخـرـ: "أـلـاـ تـرـىـ أـنـهـ قـدـ أـجـمـعـواـ عـلـىـ أـنـ أـصـلـ: قـامـ: قـوـمـ، وـهـمـ مـعـ ذـلـكـ لـمـ يـقـولـوـاـ قـطـ: قـوـمـ، وـيـقـولـوـنـ: إـنـ أـصـلـ يـقـوـمـ: يـقـوـمـ وـلـمـ نـرـهـمـ قـالـوـاـ: يـقـوـمـ، عـلـىـ وـجـهـ، فـلـاـ يـنـكـرـ أـنـ يـكـونـ هـنـاـ أـصـوـلـ مـقـدـرـةـ غـيرـ مـلـفـوظـ بـهـ".^(٣٧)

وابـنـ جـنـيـ مـحـقـ فيـ تـصـوـرـ أـنـ الـعـربـ لـمـ يـنـطـقـوـاـ بـذـكـرـ فـيـ عـصـورـ الـاحـتـاجـ، وـلـكـنـهـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـنـفـيـ اـحـتمـالـ ذـكـرـ فـيـ عـصـورـ سـحـيقـةـ مـنـ عـمـرـ اللـغـةـ.

وهـذـاـ الـاستـنـجـ عـقـليـ يـدـخـلـ فـيـ إـطـارـ التـأـصـيلـ التـارـيـخـيـ. فـالـمـؤـرـخـ مـنـ حـقـهـ أـنـ يـتـخـيـلـ الـحـلـقـةـ المـفـقـودـةـ فـيـ ضـوءـ الـحـلـقـاتـ الـبـانـةـ الـتـيـ يـؤـيـدـهـ الشـاهـدـ النـصـيـ. بلـ إـنـ مـنـ وـاجـبـ الـمـؤـرـخـ أـنـ يـقـدـمـ تـصـوـرـاـ عـنـ المـفـقـودـ فـيـ ضـوءـ مـاـ هـوـ مـعـلـومـ حـتـىـ

يتسمى للحقيقة التاريخية أن تظهر في صورة جسد متكامل، فلا تبقى أشلاء مبعثرة. وعالم الآثار من شأنه أن يضم قطعة تناسب وحجم القطعة الساقطة من أثر فني، حتى يستوي له أن يتخيل الأثر الفني في صورته الأصلية التي كان عليها. وهذا حق مشروع وأصل متبع في المنهج التاريخي.

وقد أكد علم الساميّات ما ذهب إليه القدماء في أصل هذه الأفعال. فال فعل الناقص: تلا، هو في الحبشيَّة^(٣٩) : تلو talawa، ورمى: رمي ramaya، ويقال في تصريف هذه الأفعال في الحبشيَّة: رميتَ ramyatْ أي: رمت، و talawatْ في ثلت. ومع واو الجماعة: رميو ramayūْ أي: رموا، وتلبو talayūْ، أي: تلوا. أمَّا العربية، والعبرية والأرامية. فقد قلبت الياء ألفاً (العبرية r'āmā، والأرامية r'ēmā، أي رمى). أمَّا الحبشيَّة^(٤٠) فقد قدّمت لنا الأصل التاريخي دون أن تقلب الياء ألفاً. بل لقد تطورت العربية في إسناد الفعل الماضي إلى واو الجماعة أكثر من تطور أخواتها. فقد حافظت العربية والأرامية على الفتحة التي تسبق الياء المحفوظة، وحذفتها العربية.

rainaw ← ramayū	في العربية
r'ēmaw ← rēmayū	وفي الأرامية
rāmū ← rāmayū	وفي العربية

أمَّا الحبشيَّة فالفعل فيها على الأصل ramayū، ويبدو أنَّ العربية قد قاست في حذفها الحركة التي تسبق الياء المحفوظة، الفعل الناقص على الفعل الصحيح، وهو ما يحدث في لهجات العربية الحديثة، إذ يقال في ramaw ← ramū. وبذا يكون الخط التطوري في هذه اللهجات قد مرَّ بالمراحل الآتية :

ramū ← rainaw ← raināw ← ramayū .

أما في الأفعال الجوفاء، نحو: قام، وأصلها التارخي القائم على الدليل الاستنتاجي الاشتقافي عند القدماء، فإن في وسع المرء أن يرى أثر الواو في أصلها في الحبشيَّة^(٤١)، إذ هي qōma في مقابل: قام العربية، وqām الآرامية^(٤٢) والعبرية^(٤٣). فهي في الحبشيَّة واو ممالة بين الألف ة، والواو تاء. فتطورها في الحبشيَّة يمثل مرحلة متوسطة بين تاء و ة.

ومن المفهوم التارخي القائم على الدليل الاشتقافي الاستنتاجي أن عبد ابن جنِي المبني للمعلوم أصلًا للمبني للمجهول. قال: لا ترى أن منقول: ضرب، من: ضرب^(٤٤). وكذلك في: قيل، وخيف، ونحوهما. فأصلهما: قول وخوف. قال: ابن جنِي في إشارة صريحة إلى الجانب التطوري في هاتين الكلمتين: تم غيراً بعد ذلك^(٤٥).

ويدرك ابن جنِي أن الأصل التارخي قد ينذر لأسباب أخرى. فتكرم، مثلاً أصلها: يؤكِّرم، وعلى ذلك نص: (فابنه أهل لأن يؤكِّرما) ولكن هذا الأصل يتپطُّر، إذ كرهوا اجتماع همزتين في: أوكِرم، ثم قاسوا عليها بقية أحرف المضارعة، وهذا ما أطلق عليه ابن جنِي اسم التجنيس^(٤٦) قال ابن جنِي "فرَبَ حرَفٍ يجيء على الأصل ويكون مجرى بابه (قياسه) على غير ذلك"^(٤٧).

ولم يخف الأصل التارخي للزيادة بالهاء في وزن: ه فعل، في كلمات من نحو: هجزع، وهبتَع، وهركولة، على بعض القدماء كالخليل بن أحمد. فالهمزة على هذا زائدة. أما ابن جنِي فيرى أن الهمزة هنا أصلية^(٤٨). كما خفيت زيادة السين في نحو: سلقى، بمعنى ألقى. وعلى هذا جعل ابن جنِي مسلقى، على وزن مفتى، بدلاً من: مسفر^(٤٩).

أما النظرة المقارنة فتقرَّ أن الهاء زائدة، وهي في مقابل الهمزة. وقد استخدمت هذه الهاء في العبرية، وهي السائدة فيها. وفي العربية الجنوبيَّة

(السببية) زيد بالهاء والهمزة في نحو: hqnyt بالهاء و qnyt بالهمزة، وتعني: هدية، أو قربان^(٥٠). ومنه hhd़t وتعني: أحدث. وقد استخدمت الهاء كذلك في الآرامية، فقيل haqīmeh وتعني: أقام، إلى جانب الهمزة 'aqīmeh^(٥١). ومن اللغات السامية^(٥٢) ما استخدم sa كالآرامية sezeb وهي في السريانية sawzeb وتعني: إنفذ، و sa^cbed يخدم، و sa^clef غير، و sa^calheb أحرق، sa^camlī أتم، و ta^c أعلى.

وقد احتفظت العربية ببقايا من الزيادة بهذه الشين في نحو: شملق أو سملق للعجوز الذهنية، وشلنتر، للنائز أو الناتي^(٥٣). ومنه في بعض العاميات: شقلب، بمعنى قلب، وسهمد، بمعنى همد، وشقرم، بمعنى قرم.

ومن المسائل التاريخية التي أصلها ابن جنی معتمداً على الاشتقاد، الألفات في حروف المعاني. قال: "الألف فيهن أصل، غير زاندة، ولا منقلبة، والدليل على ذلك أنها غير مشتقة، ولا متصرفة... وبالاشتقاق تعلم الزيادة من الأصل"^(٥٤).

وقد استدل بمبدأ الاشتقاد على أصلية الألفات في الأسماء المبنية، نحو: متى، وأئى، والأصوات المحكية، مثل: غاق (الصوت الغراب)، والأسماء الأعجمية.

وقد يكون للمنهج المقارن مجال في تعميق النظر إلى الألفات في حروف المعاني. فهذه الكلمات استقرت حالها في العربية بدخولها في البناء، وإن كان في العربية من بعض أحوالها ما يشي بحصول لها يمكن أن تردد إليها. فالالف في: على، تصبح ياء، في عليهم، وتبقى ألفاً في بعض اللهجات العربية قديماً وحديثاً، إذ يقال: علام، بمعنى: عليهم، وكذلك الألف في: إلى، إذ تقلب ياء في: إليك، وإليها... .

وعلوٰم أنَّ هذِهُ الْأَلْفَ التِّي حُذِفَتْ مِنْ كِتَابِهِ "إِلَى" وَ لَا ط

al^c "عَلَى" فِي الْعِرْبِيَّةِ، تَعُودُ إِلَيْهَا يَاءُ فِي تَصْرِيفِهَا مَعَ الضَّمَانِرِ، فَيُقَالُ: يَجِدُ طَاهِلَةً

eléhā "إِلَيْكَ" وَ يَجِدُ طَاهِلَةً "إِلَيْهَا"، وَ لَا طَاهِلَةً

aléhā "عَلَيْهَا". وَلَوْ اسْتَانَسْنَا بِاللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ فِي مَراقبَةِ أَصْوَلِ هَذِهِ الْأَلْفَاتِ فِي حِرْوَفِ الْمَعْانِي لَوْجَدْنَا أَنَّ الْأَلْفَ فِي: مَتَى، تَقَابِلُهَا الْبَاءُ فِي السَّبِيْنَيَّةِ (مِنَ الْعِرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ) (y), وَ فِي الْعِرْبِيَّةِ mātay⁽⁵¹⁾, وَ هِيَ أَيْضًا يَاءُ فِي الْأَكَادِيَّةِ mati⁽⁵²⁾. وَأَمَّا عَلَى، فَهِيَ: ly^c فِي السَّبِيْنَيَّةِ، وَ فِي الْأَكَادِيَّةِ eli⁽⁵³⁾. وَقَدْ حُذِفَ الصَّوْتُ الصَّانِتُ الْآخِيرُ فِي كُلِّ مِنَ الْأَرَامِيَّةِ وَالْعِرْبِيَّةِ، إِذْ هِيَ فِيهِمَا al^c، وَلَكِنَّهَا تَظَهُرُ يَاءُ عَنْ تَصْرِيفِهَا مَعَ الضَّمَانِرِ كَمَا أَوْضَحْنَا فِي الْعِرْبِيَّةِ.

وَيَتَرَاجُّ ابْنُ جَنِيَّ فِي تَطْوُرِ كَلْمَةِ (ذا) فَيُرْسِمُ لَهَا الْخَطُّ التَّطَوُّرِيَّ الْأَتَى :

١- أَصْلُهَا: ذَيٌّ بِالتَّشْدِيدِ، عَلَى وَزْنِ فَعْلٍ.

٢- ثُمَّ حُذِفَ الْأَلْمَ لِضَرْبِهِ مِنَ التَّخْفِيفِ، فَبَقَى مِنَ الْكَلْمَةِ: ذَيٌّ.

٣- ثُمَّ قَلَبَتْ يَاءُهَا أَلْفًا، فَصَارَتْ (ذا).

أَمَّا: ذَيٌّ، فَيَبْدُو أَنَّهَا أَصْلُ افْتَرَاضِيِّ أَمْلَتِهِ نَظَرِيَّةُ الْأَصْلِ الْثَّلَاثِيِّ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ الثَّانِيَّةِ، نَحْوَ: أَبٌ، وَأَخٌ، وَحَمٌّ. وَمِنْ ذَلِكَ: ذَا، الَّتِي أَعْدَادُ فِيهَا ابْنَ جَنِيَّ الْأَلْفَ إِلَى يَاءٍ مَشَدَّدَةٍ، وَوَزَنَهَا بِفَعْلٍ. وَلَا نَسْتَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُ: ذَا، هَذِهِ، مُنْقَلِبًا عَنْ يَاءِ غَيْرِ مَشَدَّدَةٍ، وَالدَّلِيلُ النَّصِّيُّ عَلَى ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ جَنِيَّ عَنْ سَيِّبوِيَّهِ، وَهُوَ أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ يُمْلِيُونَ الْأَلْفَ: ذَا، نَحْوَ الْيَاءِ.

وَقَدْ اسْتَعْمَلَتْ: ذَا، فِي الْعِرْبِيَّةِ وَاللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ دَالَّةً عَلَى اسْمِ الإِشَارَةِ، وَالْأَسْمَاءِ الْمَوْصُولِ. وَقَدْ وَرَدَتْ فِي الْعِرْبِيَّةِ بِالْأَشْكَالِ الْثَّلَاثَةِ:

- **بـالألف**: ذا، اسم إشارة للمذكر، وذا من الأسماء الخمسة حال النصب، وهي في هذه الحالة الثانية تقترب من استعمال الاسم الموصول، فرأيت ذا مال، أي الذي له مال، ولكنها في اسم الإشارة ثبتت على حال واحدة، إذ أصبحت مبنية، وأضيفت إليها أداة التعريف.

- **بـالياء**: ذي، اسم إشارة للمؤنث. و: ذي، من الأسماء الخمسة حال الجر، وهي كذلك اسم موصول. وقد استقر وضعه مرکباً مع ال، في: الذي، ويبدو أنه في الأصل: ال+ل+ذى، وقد ثبت على الياء فاقداً احتمالات التشكيل الإعرابي. ولا شك في أن نطقنا له أدل من شكله الكتابي، فصورتها المنطقية بلامين *alladi*.

- **بـالواو**: ذو، من الأسماء الخمسة حال الرفع، وقد احتفظت لنا كتب اللغة ببقايا من استعماله بالواو عند قبيلة طيء. كما جاءت: ذو، هذه في نقش النماراة بالواو، اسم موصولاً، حيث جاء النص: "تي نفس (أي: قبر) مر القيس بر (أي: بن) عمرو، ملك العرب كله، ذو أسر التاج..." .

ويبدو أن هذه الكلمة أحادية الأصل. والدليل على ذلك من العربية مجيئها على حرف واحد ثابت، في نحو: ذو، و: ذا، و: ذي. فحرف الذال هو الأصل، وما عداه حركة إعرابية. وثمة دليل آخر من العبرية^(٥٨) ، إذ قابلت الدال الزاي، فهي في العبرية **זֶה** zeh، والحرف الأساسي هو الزاي، أما الحرف الثاني فمتغير أيضاً، إذ قد يأتي **זָה** zah أو **זְהֹ** zeh، أو **זֵה** zeh بالإملاء^(٥٩) . وبذا يقترب لفظها من لفظها بالإملاء التي أشار إليها سيبويه، ومثاله :

גַּר - גָּרְאִים **סֵבֶן - סְבֵּנָה**
جبل صهيون الذي سكنت فيه

وحرف الذال هو الحرف المحوري في بناء هذه الكلمة في العربية الجنوية^(١٠) بوصفها اسمًا موصولاً أو اسم إشارة. وهي في الآرامية القديمة بالباء، وفي الحبشيَّة بالزاي. وهكذا تعاورت الزاي والذال في محوريَّة بناء هذه الكلمة. أمَّا السريانية فقد استعملت الذال أو الذال، بوصفها عنصراً إشارياً في اسم الإشارة المؤنث المفرد ^{hadē}^(١٢) "هذه". وقد أدغم في اسم الإشارة المذكر في النون، فقيل: ^{هُنْ}^(١٣) *hānā* وأصلها: ها أنا ذا. كما ترَكَت هذه الذال مع اسم الاستفهام: أي، فقيل: ^{أَيُّ}^(١٤) *aydā* على نحو ما ترَكَت اسم الإشارة مع اسم الاستفهام في العربية في نحو: ماذا، وأيَّ ذا.

والذال هي الاسم الموصول في السريانية^(١٥)، وأصلها *di*، ويقابلها في العربية: ذي، وقد استعملتها العربية والسريانية بمعنى صاحب. فكما تقول في العربية: ذا مال، وذو مال، وذيء مال، فإن السريانية تستعمل الذال مقابل ذلك أداة تفصيل بين المضاف والمضاف إليه، على نحو ما يقال في اللهجات المعاصرة: *البيت بِتَاع* (*ابتاع*) الرجل، أو : *البيت حَقَ الرَّجُل*، فيقال: *baytā de gabrā*، وهكذا فإن *de* في السريانية تقابل: ذي، في: الذي، من قول القائل في الفصحي: *البيت الذي للرجل*، في مقابل: بيت الرجل، الذي يقابلها في السريانية بدون الذال *gabrā bē* وقد استعملت بعض اللهجات المعاصرة (في فلسطين) الأسلوب نفسه الذي استخدمته السريانية، فقيل: *ذيل elē*^(١٦)، في مقابل (*بتاع*) المصرية، فيقال في بعض اللهجات: *ذيلي tālē*^(١٧)، للمذكر، أي الذي لي، وذيلتي *tālit*^(١٨) للمؤنث. وأحسب أنها تعود في الأصل إلى الاسم الموصول، ولام الجر؛ فكأنما يعدل هذا التعبير اللهجي: ذيلي، قولنا في الفصحي: الذي لي، وقول أهل الجزيرة العربية: *حَقِّي haggi*، ومقابله في السريانية: ^{هَلِي}^(١٩) *diliy*

و ^{هَلِمْ}^(٢٠) *dilah* "الذي لك" و: ^{هَلِهُ}^(٢١) *dilhēn* "الذي لهن"، وهكذا...

٣- التأصيل التاريجي القائم على الشكل الكتابي

استدل ابن جنی على أصلية الألف في: حتى، بشينين، بعدم الإملاء، وبجواز كتابتها بالألف القائمة. قال: "و كذلك أيضًا لو كتبت: حتى، بالألف قياساً على كلّ، لكان صواباً، ولكن علة قائمة وأحسبني رأيت: حتى، بالألف بخط أبي العباس".^(٦٤)

لقد عالجت هذه الكلمة في موضع آخر^(٦٥) ، وخلاصة القول: إن هذه الكلمة مكونة من كلمتين، هما: عذ، وكي، وقد وردت هذه الكلمة في النقوش العربية القديمة، هكذا: عذکی، وعکذی، وعکذی بالألف، ثم وردت بالتاء: عتی، ثم: حتى. وحسبنا من هذه الإعادة ما ذكر. ومفاد ذلك أن النظرة التاريجية المقارنة تفسر لنا كتابة الألف في صورة ياء في هذه الكلمة، إذ هي منقلبة أصلًا عن ياء.

ثانيًا: التأصيل الوصفي

لعل من أظهر ملامح المنهج الوصفي أنه منهج يصور الواقع اللغوي معتقدً بالسماع، دون تمثل أو خروج عن مقتضى الظاهر. ورغم أن اللغويين القدماء لم يلتزموا بهذا المبدأ، غير أنهم تباهوا به، بل أكدوه في كثير من أقوالهم وتحليلاتهم. وقد عبر ابن جنی عن هذا المبدأ باعتراضه على من يعني نفسه ببحث ما لم يجيء على لسانه العرب. قال: " وإنما سبب ليه أن يذكر ما جاء، ويضرب عما لم يجيء، فلا يذكر امتلاعهم منه لعلة، لأنك إنما تفسر أحكام لغتهم، لا ما لم يجيء عنهم، ولأنك لو ذهبت تذكر أحكام ما لم يجيء لكنت قد شرعت في تفسير ما لم ينطق به عربي، وكان ذلك يكون تخليطاً وهوساً، لأن فيما خرج إلى الوجود شغلاً عما هو باق في العدم، إلا ما علته في الامتلاع من النطق به قائمة، فإن مثل ذلك يسأل عنه".^(٦٦)

ونذكر فيما يلي بعض الأمثلة التطبيقية على التأصيل الوصفي:

١- الألف في أحرف الهماء:

حُكِمَ أَبُو عَلَىٰ -فِيمَا رَوَاهُ عَنْ أَبْنَ جَنِيَّ- بِأَنَّ الْأَلْفَ أَحْرَفَ الْهَمَاءَ: بَاءَ، تَاءَ... مُنْقَلَبَةٌ عَنْ وَاءَ. قَالَ: "أَحْكَمَ عَلَيْهَا بَاءَ وَاءٍ فِي الْأَصْلِ، لَأَنَّهَا عَيْنٌ، وَالْهَمَزةُ لَامٌ بَدْلٌ مِنْ يَاءٍ لِيُكَوِّنَ مِنْ بَابِ طَوِيْتٍ، فَقَلَّتْ لَهُ (الْقَائِلُ أَبْنُ جَنِيَّ)، وَالْمَسْؤُلُ هُوَ أَبُو عَلَىٰ الْفَارَسِيُّ": كَيْفَ: تَجِيزُ ذَلِكَ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَ إِنَّمَا هِيَ الْأَلْفُ الْمَجْهُولَةُ فِي: بَاءٍ، وَ تَاءٍ، قَبْلَ الْمَدِ؟ قَالَ: لَمَّا صَارَتْ اسْمَاقَضِينَا لَهَا بِالْحَكَامِ الْأَسْمَاءُ، أَلَا تَرَى أَنَّ لَوْ سَمِّيَّنَا بِهِ ضَرِبٌ، لِأَعْرِبَنَا، قَلَّنَا: جَاعِنِي ضَرِبٌ، فَنَعْرِبُهُ، وَإِنْ كَانَ قَبْلَ التَّسْمِيَّةِ غَيْرَ مُغَرِّبٌ" ^(١٧).

إِنَّ الْحَسَنَ الْوَصْفِيَّ هُوَ السَّانِدُ فِي الْحَوَارِ بَيْنَ أَبْنَ جَنِيَّ وَشِيخِ الْفَارَسِيِّ. فَأَبُو عَلَىٰ يَهْمِهُ أَنْ يَتَعَالَمَ مَعَ الْكَلْمَةِ بِحَسْبِ مَا آتَتْ إِلَيْهِ، فَعَدَ كَلْمَةً: بَاءَ اسْمًا دَالًا عَلَى الْحَرْفِ، وَقَاسَهَا بِكَلْمَةٍ: طَانِيَّ، الَّتِي قُلْبَتْ وَأَوْهَا أَلْفًا، فَأَصْبَحَتْ طَوْوِيَّ، وَلَذَا الْحَقُّ الْكَلْمَةُ بِبَابِ طَوِيْتٍ، فَاسْتَقَامَ لَهُ بِنَاؤُهَا عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ، وَهِيَ نَظَرِيَّةُ الْلَّغَوَيْنِ الْقَدِمَاءِ فِي رَدِّ الْأَسْمَاءِ إِلَى أَصْوَلِ ثَلَاثَةِ.

وَلَوْ رَجَعْنَا إِلَى الْأَصْوَلِ الْمُقَارَنَةِ لِهَذِهِ الْحِرَوْفِ لِتَبَيَّنَ أَنَّ اسْمَاءَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا، كَانَتْ قَبْلَ التَّسْمِيَّةِ اسْمَاءً لِمُسَمِّيَّاتٍ احْتَوَتْ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ. فَحِرْفُ الْبَاءِ اسْمَهُ السَّامِيُّ: بَيْتٌ، وَهِيَ كَلْمَةٌ مَاخُوذَةٌ فِي شَكْلِهَا الْكَتَابِيِّ مِنْ صُورَةِ الْبَيْتِ. فَأَلْفُ الْبَاءِ مُنْقَلَبَةٌ فِي أَصْلِهَا التَّارِيْخِيِّ عَنِ الْيَاءِ مِنْ بَيْتٍ. وَالْجِيمُ لَهَا عَلَقَةٌ بِالْجَمْلِ، وَاسْمَهُ فِي الْهَمَاءِ السَّامِيِّ g̠imel. وَالْدَّالُ لَهَا عَلَقَةٌ بِالْبَابِ، وَاسْمَهُ السَّامِيِّ dalēt، وَهِيَ تَعْنِي: الْبَابُ، وَهِيَ فِي الْعِبْرِيَّةِ dālēt، وَفِي الْأَكَادِيَّةِ daltu. وَالْوَاءُ جَاءَ اسْمَهُ مِنْ الشَّكْلِ الَّذِي اسْتَوْحَيَ شَكْلَهَا الْكَتَابِيَّ مِنْهُ، وَتَعْنِي كَلْمَةً wāw الْوَتْدُ، وَالْكَافُ لَهَا عَلَقَةٌ بِالْكَفِّ، وَقَدْ جَاءَ شَكْلَهَا الْكَتَابِيَّ الْقَدِيمَ عَلَىٰ هِينَةِ كَفٍّ، وَالْمِيمُ تَسْمِيَّةُ لَهَا

علاقة بالمعنى السامي *mēm*، وهو الماء. والياء قيل ترمز لليد *yōd*، والراء
للحانط *hēt* والعين *cayn* وترمز إلى العين، وقد رسمت في الكتابات السامية
القديمة على شكل دائرة تعبيراً عن العين، وهكذا.

فمعرفة أصول الصوانت في أسماء الحروف تاريخياً تتطلب العودة إلى
المنهج المقارن ليقف بنا على قصة هذه الحروف^(١٨).

٢ - التعامل مع الكلمة على ما انتهى إليه بناؤها

ومن ذلك كلمة: معزى فقد عَد المازني وابن جنِي الميم أصلية في الكلمة:
معزى، وذهب ابن جنِي إلى أن الكلمة أعممية^(١٩). وقد عالج ابن منظور هذه
الكلمة تحت مادة: معز^(٢٠)، ويبدو أنهم لم يتبعوا إلى أنها من: عنز. ولعل السبب
في ذلك أن بدت لهم النون أصلية في: عنز. وعنز لفظة سامية، ليست أعممية،
وردت بالنون، وبدونها في بعض اللغات السامية، فهي في العبرية *לְזֵז*^(٢١)

وجمعها *לְזִים*^(٢٢)، وهي في العربية الجنوبية *nz*؛ وتعني: ماعز (اسم جمع)، وفي
السريانية *خُدا*^(٢٣) *خُدا*^(٢٤) *ēssā*، بدون نون، ولكن النون تظهر عند الإضافة *خُدا*^(٢٥)

enēz^(٢٦)، والجمع *خُدرًا*^(٢٧) *anāzā*^(٢٨). وقد كان ظهور النون بسبب فك إدغام
الزاي، إذ أصل الكلمة: عز، كما يحدث في كثير من الألفاظ المشددة، نحو: حظ،
وحنطة، وإجاص وإنجاص.

وهكذا يكون القدماء قد تعاملوا مع هذه اللفظة باعتبار شكلها الظاهر: معز.
وأما الأصل التاريخي فيعود بنا إلى جذرها الثاني المكون من حرفين. ولو
أفردنا: معزى لظهرت النون، فقلنا: عنز، ولكلمة جمع آخر تظهر فيه النون،
وهو: عناز. والأخذ بالظاهر الوصفي الذي ألت إليه الظاهرة اللغوية أساس في
التأصيل التراشي، وقد عبر عنه ابن جنِي بوضوح حيث قال: "ولا يترك الظاهر

إلى غيره إلا بدليل".^(٧٣)

٣- مبدأ وصفي في التعامل مع الألفاظ الأعجمية

مس ابن جنِيَّ مبدأً وصفيًّا مهماً، وهو يوصى كلمات من مثل: ديباج، وفرند، ولجام، وزنجبيل. فهذه الكلمات أعمجية، ولكنها تصبح عربية. قال: "اعلم أنَّ الأسماء الأعجمية النكرات التي دخل عليها الألف واللام قد أعرَبَتها العرب واستعملتها استعمال أسمانها العربية، وذلك لأنَّها تمكنت عندهم، لأنَّها أسماء الأجناس، وهي الأولى، وتدخل عليها الألف واللام، فجرت لذلك مجرى: رجل وفرس. وذلك لم يمنعها من الصرف إلا ما يمنع العربي، لأنَّها قد جرت مجرى... فلو سميت رجلاً بـ: ديباج، أو: فرنداً، لصرفته، لأنَّ العجمة فيه غير معنَّدٍ بها، فجرت لذلك مجرى: زيد، وعمرو، وبكر، في أنَّها منقوله من أسماء الأجناس. قال أبو علي: ويدلُّ على أنَّهم قد أجروها مجرِّي العربي أنَّهم قد اشتقولوا منها كما يشتقولون من العربي"^(٧٤). وقد أكد ابن جنِيَّ هذا المفهوم الحيوي في التعامل مع الألفاظ الأعجمية. وقد أسماه التخليط. قال: "وهم إذا اشتقولوا من الأعجمي خلطوا فيه، لأنَّه ليس في كلامهم فاجترأوا عليه فغيروا".^(٧٥)

والتخليط، هنا، ضرب من التصرف، يرمي إلى التعامل مع الكلمة الأعجمية كما لو كانت عربية، على نحو ما نفعل في زماننا هذا حين نشتَّقَ من الاسم الفرنسي "باستور" فنقول: بسترة، ومبستر، ومن تلفزيون: تلفز، ويتلفز... وهكذا.

ومن تطبيقات ابن جنِيَّ في هذا المقام ما قاله في كلمة زرجون الفارسية، التي اشتَّقَ منها العرب، فقالوا: المزرج. وكان الأصل أن يقولوا: المزرجن، لأنَّ الكلمة أعجمية والنون فيها أصلية^(٧٦).

ثالثاً: التأصيل التجريبي (أسلوب الافتراض الاستبعادي)

وهو أسلوب علمي عقلي قائم على وضع مجموعة من الافتراضات، ثم يبدأ الكاتب بامتحان هذه الافتراضات، فيستبعد منها ما لا يصدق، إلى أن ثبت أو ترجح.

ومثال ذلك عند ابن جني ما افترضه في كل من الميم والنون في متنجتون، فهما عنده أصل. ولكنه لم ينته إلى هذه النتيجة إلا بعد أن استبعد احتمالات الزيادة. قال: "ولا يجوز أن تكون الميم زائدة، لأنَّا لا نعلم في الكلام: مفعولاً، ولا يجوز أن تكون الميم والنون جميعاً زائدين على أن تكون الكلمة ثلاثة من لفظ: الجن، ولا يجوز أن تكون النون وحدها زائدة، لأنَّها قد ثبتت في الجمع في قولهم: مناجين... وإذا لم يجز أن تكون الميم وحدها زائدة، ولا النون وحدها زائدة، ولا أن تكونا كلتاهما زائدين: لم يبق إلا أن تكونا أصلين، وتجعل النون لاماً مكررة، وتكون الكلمة مثل: حذائق، ملحة بعضرفوط"^(٧٧).

والمنجتون: الدواب التي يُستنقى عليها، أو أداة السانية، أو البكرة التي تدور. وقد ذكر ابن منظور^(٧٨) بعض آراء العلماء في هذه اللفظة، فسيبوبيه يرى أن الميم والنون زائدين. ودليله على ذلك أن النون لا تزداد ثانية. وهذا ما ذهب إليه ابن السكيت، إذ وزن الكلمة عنده: فـعـلـلـوـلـ.

واحتاج ابن بري على الجوهرى، إذ أورد الجوهرى الكلمة تحت: جن، قال: "وحقه أن يذكر تحت: منجن، لأنَّه رباعي، ميمه أصلية، ونونه التي تلي الميم، وزنه: فـعـلـلـوـلـ"^(٧٩).

وقد تصرف العرب في هذه الكلمة، فقالوا: منجتون ومنجين، بالمعنى نفسه. وهي كلمة يونانية الأصل، إذ هي في اليونانية máyyanon، بباء مشددة،

وقد سمعت الأذن العربية الباء المشددة اليونانية^(٨٠) جيماً، فُنْطَقَت على نحو ما نطق بعض العرب الباء المشددة، في نحو: علىـ علـجـ قال أبو عمرو بن العلاء: "بعض العرب يبدل الجيم من الباء المشددة"^(٨١). وقد فكوا الإدغام فأصبحت *mag̬ganūn* ← *man̬ganūn*. وعلى هذا فالكلمة ليست عربية الأصل، والميم فيها أصلية. وأما النون فتصرّفَ عربي لفك الإدغام.

رابعاً: التأصيل الاستقرائي القائم على أساس وصفي

يحتفي المنهج الوصفي بالمسموع. وهذا ما يقرره ابن جنی في حديثه عن أصلية الهمزة في ألق، فالدليل الذي يقدمه دليل اشتراكي يقوم على أساس وصفي. وكان دليله في هذه المسألة أنه لم يسمع: مولوق. قال: "فَلَمَّا لَمْ نَرْهَمْ قَالُوا: مولوق، استدللنا بذلك على أن الهمزة في ألق ليست بمنزلة الهمزة في: أعد"^(٨٢) بل هي أصل ثابتة غير منقلبة. ثم أكد هذا المفهوم الوصفي القائم على السماع بقوله: "ونحن لم نسمعهم لفظوا بالواو في تصريف: أولـ... فـنـحـنـ علىـ الـظـاهـرـ حتىـ تـقـومـ دـلـالـةـ تـنـزـلـ لـهـ عـنـهـ إـلـىـ غـيرـهـ".

ولم يكن هذا المنهج الوصفي ليحول دون أن يفتح الباب أمام دليل يساق من منهج آخر، قال: "فَبَنْ ادَعَى ذَلِكَ مُذَعَ (أي بما يخالف الظاهر المسموع) لِزَمَهِ الدَلِيلِ عَلَيْهِ".

هذه أصول في التفكير الصRFي يرسى قواعدها الصرفيون القدماء، والمهم هو الكشف عنها، بغض النظر عما يمكن أن ينال بعض التطبيقات من أخطاء مردّها الافتقار إلى السماع المستقصي، أو الاستقراء الجزنـيـ، أو سوى ذلك، كما هي الحال في كلمة: مولوق، التي تورد فيها بعض المعجمات ما يشير إلى تبادل الواو والهمزة.

فالاشتقاق عند ابن جنی استقراء مستند إلى السماع، وقانون الاشتقاء في المثال السابق يتوقف لتوقف السماع، ويصبح نافذاً إذ صرخ السماع. وعلى هذا كان لابن جنی أن يتصور أن الهمزة كانت أصلاً في نحو: بربة، ونبي، بدليل سماع الكلمة مهموزة في اشتقاقها، حيث يقال: تبا مسلمة، وبرا الله الخلق. قال: "فلمَّا سمعناهم يقولون هذا دلَّنا ذلك على أن النبيَّ، والبربة... أصلها الهمز، فقضينا لها بهذه الأصول لقيام الدلالة عليها".^(٤٥)

ولعلَّ من مزايا التفكير الصرفيَّ عند القدامى أنَّ الأبواب بين الأصول المنهجية تظل مفتوحة، ومثال ذلك أنَّ ابن جنی استعمل كلمة الأصل في مفهومها الوصفيَّ في: تبا، وبرا؛ ثم انتقل ليستعمل كلمة الأصل في مفهوم منهجيَّ آخر، وهو المفهوم التطوريَّ. فالبربة، والنبيُّ، كانتا في الأصل التاريخيَّ مهموزتين ثم أتا إلى التخفيف. قال: "فأذمواها التخفيف وأصلها الهمز".^(٤٦)

وقد وردت كلمة: بربة في اللغات السامية^(٤٧) غير مهموزة، فهي في العبرية من בָּרָא bārā، وهي كذلك في الآرامية بְּרָא^(٤٨) وفي السريانية بְּרָא^(٤٩) وفي المهرية والسقطرية كذلك.

وأما كلمة: النبيُّ، فهي بهمزة في اللغات السامية^(٥٠)، فهي في العبرية والأرامية נָבִי nabī^(٥١)، وفي الأكادية nabā'um^(٥٢)، وورد: نب، في السينية، وفي الآرامية نָבֵי nabī^(٥٣).

ومن أمثلة التأصيل الاستقرائي الحكم بزيادة الألف والنون في أواخر الكلمات قال ابن جنی: "إذا وجدت كلمة في صدرها ثلاثة أحرف من الأصل، وفي آخرها ألف ونون فاقض بزيادة الألف والنون، وإن لم تعرف الاشتقاء، لكثرة ما جاءتنا زاندتين فيما عرف اشتقاقه، نحو: سرحان، وسعدان".^(٥٤)

وقد عَدَ ابن جنِيَ بناءً على هذه القاعدة القياسية كلمة: رَمَان، زائدة الألف والنون، وأحسب أن المازني وابن جنِي قد بُنوا هذا التصور على ما ذهب إليه الخليل فيما يرويه عنه سيبويه. قال سيبويه: "وَسَأَلَتْهُ عَنْ رَمَانٍ، قَالَ: لَا أَصْرَفُه، وَأَحْمَلُهُ عَلَى الْأَكْثَرِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَعْنَى يَعْرَفُ بِهِ"^(١٢) قال ابن منظور في تفسير مقوله سيبويه هذه بعد أن أوردتها: "أَيْ لَا يَذْرُى مِنْ أَيِّ شَيْءٍ اشْتَقَاقُهُ فِي حَمْلِهِ عَلَى الْأَكْثَرِ، وَالْأَكْثَرُ زِيَادَةُ الْأَلْفِ وَالنُّونِ"^(١٣). وينقل ابن منظور رأياً للأخفش يخالف رأي هؤلاء. قال: "وَقَالَ الْأَخْفَشُ: نُونٌ أَصْلِيَّةٌ، مَثَلُ: قَرَاصٌ وَحَمَاضٌ"^(١٤). وعلى هذا فوزن الكلمة عند الخليل: فعلان، وعند الأخفش: فعال.

لقد وردت كلمة: رَمَان، في كثير من اللغات السامية كالحبشية، وهي في الأكادية armann(um) أو بتخفيف النون arman(um) وفي السريانية armanāyā، أو rūmānā ؛ حمل^(١٥) . وفي العبرية reimmon^(١٦) ، reimmōn^(١٧) . ويشير "جزينيوس" إلى هذه الكلمة في القبطية^(١٨) ، وهي erman^(١٩) . ويرى "فرينكل" أن هذه الكلمة استعارتها العربية من السريانية^(٢٠) ، فإذا صح أن هذه الكلمة مستعارة فهذا يعني ترجيح رأي الأخفش في أن الألف والنون أصليتان:

وقد أصاب ابن جنِي حيث عَدَ النون في: دهقان، وشيطان، أصلية^(٢١) . ولكنَّه سار في تصسيله للنون على أساس اشتتقاقيَّ قياسيٍّ لأنَّهم قد قالوا: تشيطن، وتدهقن. فهي على زون: تفعل، وليس في كلام العرب: تفعلن، فالنون فيه لام. ونتيجةً ابن جنِي توافق الصواب، فهذه الألفاظ أعمجية.

أما: دهقان، فهي فارسية^(٢٢) ، فأصلها بالفارسية الحديثة: دهقان، وبالفارسية الفهلوية dehikān، وهي مركبة من: ده، أي، القرية، و: كان، لاحقةً معنى صاحب، ومعنى الكلمة: المزارع، وقد أشار بعض القدماء إلى أنَّ: دهقان، فارسية^(٢٣) ، وقد وردت هذه الكلمة في السريانية^(٢٤) مستعارة من الفارسية.

وهي في السريانية **دُكَانٌ**

وتعني: العمدة، أو حاكم البلد.

وأما، دكان، فقد اختلف في أصلها، فقيل: فارسية، وردها بعضهم إلى: الذكرة المبنية للجلوس عليها. قال ابن منظور: والنون مختلف فيها، فمنهم من يجعلها أصلاً، ومنهم من يجعلها زائدة^(١٠٥).

واللقطة موجودة في الفارسية: دكان، بدون تشديد، وفي السريانية^(١٠٦):

دُوكَانٌ . dükānā

أما لفظة شيطان، فهي في العبرية **שָׁטָן** sātān ، وفي الآرامية ذلك **שָׁטָן** sātān ، وفي السريانية **حُصَّلْهُنْ**

وعذ ابن جني النون في قرفنل، زائدة، وذلك على أساس قياسي. قال: "أحكم بهذا من طريق القياس، لا من قبل السماع"^(١٠٧) وواقع الحال أن هذه النون أصلية، إذ هي كلمة هندية. قال: ابن منظور: "شجر هندي ليس من نبات أرض العرب"^(١٠٨). وقد أشار "فرينكيل" إلى أن هذه اللقطة هندية الأصل^(١٠٩).

واستدل ابن جني بالمعنى الاستئقاني على أن النون زائدة في جنديب. قال: "فإن كان الجنديب من الجنديب - لأنه مما يصحبه - فالنون فيه زائدة"^(١١٠). ولا شك في أن العرب تفك الإدغام على فرض أن تكون الجنديب أصلاً من: جنديب، فيقال: جنديب، أو على فرض أن تكون الدال الانفجارية ساكنة، وقد تجاورت مع الباء الانفجارية فتشكل من تجاور الصوتين الانفجاريين - وبخاصة إذا سكنا - شيء من الصعوبة، مما استدعي إيقام حرف النون، حتى تتحمل سكون الدال، وحتى يتخلص من التقاء الساكنين: سكون الدال، وسكون الباء العارض عند الوقف. وأحسب أن العبرية تخلصت من هذه الصعوبة بحذف الدال، فأصبحت الكلمة على حرفين **יְגַבֵּה** yebēh، وجمعها **יְגַבְּהִים** yebēhim أو **יְגַבְּהָת** yebēhat . وقد

فصلت العبرية فيما بين الصامتين بصائت طويل، تجنبًا لالتقاء الساكنين.

وأحسب أن هذا قد حدث في العبرية في كلمة: جَنْد، التي اختلفت منها النون، فتركت على هذا أن شدّدت الدال، فأصبحت ^{٦٦٨} جَنْد ، ومنها كلمة ^{٦٦٩} جَنْد ^(١١٢) gədīd ومعناها: جَنْد، أو كتيبة، أو عَصْبَه، ويقابلها في السريانية ^(١١٣) جَنْدًا ^{جَنْدًا} gawdda أي: الجند. وقد ظهرت النون في المندعية (فرع من الآرامية) قبيل: gūndā.

وقد ذهب نولدكه ^(١١٤) مذهبًا يحتمل الصواب، وذلك بعد الكلمة أصلًا بـdal مشددة، وبدون نون، ثم فك الإدغام، بإلحاح حرف النون، فتحولت الكلمة من gund ← gudd.

أما جَنْد فقد أدرك ابن منظور أن هذه الكلمة ينبغي أن تعالج تحت الثلاثي، فلم يفرد لها مادة من الرباعي: جَنْد، وقد رأينا كيف تصرف العبرية في هذه المادة، فمن: جَدْب، اشتقت: جَنْد، فتخلّصت بالنون من الصعوبة الصوتية، ففكّت الإدغام بإلحاح حرف النون، وقد ترتب على هذا التنويع الصوتي توظيف في المعنى، فاختصت: جَنْد، بهذه الحشرة التي تسبّب الجدب. وقد حدث أن تخلّصت العبرية من الإدغام بإدخال الخاء، قبيل: جُخْذَب، أو ^(١١٥) جُخْذَب ، فدللت هذه على نوع من الجنادب، وهي طريقة مألوفة في العبرية قائمة على التنويع الشكلي، يصحّبه استئمار من جانب المعنى. وبذا تتخلّق أسرًا اشتتاقيّة جديدة، لها حياتها اللغوية الخاصة ومضمونها الخاص.

وقد عالج ابن جني مادة: ترْنَمَت، وزنها بـ: تَنْطَلَوْت، وهي على هذا من: رَنْم، والترنّم هو الترْنَم، وهو تجاوب الصوت أو رنينه، وقد افترنت هذه اللفظة في العبرية بصوت القوس عند الإنبعاض، بل سميت القوس بها، فهي: الترنّم، من: رَنْم. وقيل: ترْنَم القوس عند الإنبعاض ^(١١٦) . ويبدو أن المعجم زاندة

في هذه الكلمة، إذ هي من: رنَ القوس، أي ترَنَ من الإنباض. وقد اشتق منها اسم للقوس، كما اشتق من: رنم، فقيل: المُرْنَة، والمُرْنَ، والمرتان^(١١).

وقد اقترن صوت القوس بمادة: رنَ، في العبرية^(١١٧). وقد أطلق هذا الصوت على السحابة في رعدها، والماء في خريره، فالمرنان: السحابة، وقد اقترن هذا الصوت بالدلالة على الفرح والتلجم معاً، ودلَّ على الشدة والفرح.

وقد فكَ العرب إدغام: رنَ، بالمعنى فتسكلت مادة: رنم، وبقي من آثار اشتراك اللفظتين في الصوت التصويريِّ اطلاقهما على القوس ونحوها. كما فكَ الإدغام بـمَدَ الصائت، فقيل: كشف الله عنك رونة هذا الأمر^(١١٨)، أي: رُنَةُ هذا الأمر، أي: غمته وشدته، كما فكَ الإدغام من: السحابة الرؤناء بدلاً من الرئاء. ويروي ابن منظور^(١١٩) أن شهر جمادى سُمِيَّ: رُنَة بدون تشديد. والرئَى، وجمعها رُنَن لها علاقة بالشدة والغمة. وهذا من معانٍ: رنن، بمعنى الشدة، وهو معنيان واضحان في اشتقاق اسم شهرِ جمادى، سواء أحمل ذلك على معنى نزول المطر من السحب المرعدة أم الجفاف والمحل.

وأصل ابن جنِيَ كلمة: عنكبوت، فوزنها بـ: فعللوت. فالنون عنده أصلية، والواو والتاء زاندان^(١٢٠).

وأحسب أن ابن جنِيَ على صواب في أن الواو والتاء زاندان، ونزيد على ذلك بأن التاء للتأنيث، أما النون فزاندة. فالكلمة، على هذا، على وزن: فعللوت.

وردت هذه الكلمة في بعض اللغات السامية^(١٢٠)، فهي في الأرامية اليهودية لِعَبَدَتْ aknabitā^٣، باللقب المكاني في موقع النون. وأصل الكلمة من: عكب، والنون زاندة، وهي في العبرية بدون نون akābīṣ^٤ من: عكب، والشين زاندة، يقابلها الشين في العكاش في العربية، وهو

ذكر العنكبوت^(١٢١). وقد حذفت الباء تخفيفاً، فلم يقل: عَكْبَاش. وقد حدث للكلمة تخفيف آخر بالتفف من التسديد، إذ قيل: عَكَاش ūkāš^٣.

وأما النون في: العنكبوت، فهي من آثار فك الإدغام، إذ تصبح: عَكْبَوت: عنكبَوت، وهي أنشى العَكَاش بالتفف، أو العَكَاش بالتسديد، وكلاهما بدون نون.

ومما يدل على أن النون ليست أصلية حذفها في الجمع. فالعنكبَوت جمعها: عَكَاب، وعَكْب، وأعْكَب. وهذه الكلمات جموع، وإن كان ابن منظور^(١٢٢) يسميها: "اسم جمع"، بدلاً من أن يسميها "جُمِعًا"، لأن العنكبوت عنده رباعيَّة.

وقد حدث القلب المكاني في: عنكبَوت، في لهجة أهل اليمن القديمة. قال ابن منظور: "وهي بلغة اليمن: عَكْنَبَاه"^(١٢٣).

وقد رأينا أنَّ التاء في عنكبَوت تسبق بواو، كما هي الحال في العربية، في تاء رحموت، وملكت وسبروت؛ وهذا ما يحدث كثيراً في السريانية، نحو: مُلْحَّةٌ *malkūtā* "ملكة"، وهي عندئذ تقاس بباء: سبريت، وعزويت، أي: هي الحركة التي تسبق تاء التائيت في بعض اللغات السامية^(١٢٤). أمَّا في العربية اليمنية فقد رأينا أنها مسبوقة بالألف، أي: بالفتحة الطويلة: عنكبة. وقد جاءت كذلك في العربية الشمالية، على أشكال متعددة، فيقال: عنكباء، وعنكيوه (بالهاء)، وعنكباء. وأحسب أن: عنكباء، من: عنكبي، بالألف القصيرة، وهي من علامات التائيت، فإذا مُدَّت أصبحت الكلمة: عنكباء، وهي علامة تائيت أيضاً، وكلتا هما متطررتان عن التاء إذ تتحول التاء عند الوقف هاء، ثم تختلط لفظاً بالألف: عنكبي، ثم بالألف الممدودة. ومد الألف ينتهي بالهمزة، كما هي في: سعلاء، أو بالهاء أحياناً، كما في: سعلاء، وميلاه، وعنكباء.

ومن التأصيل الذي قام على التقىاس معالجة ابن جني لكلمة: يهفيز، أي:

الحجر، والجُرف. وزن الكلمة عنده: يَقْعُل. فالإياء الثانية على هذا أصلية. وقد استبعد أن تكون الإياء الأولى أصلية، وذلك بالقياس. قال: "لأن الإياء لا تكون أصلًا في ذوات الأربع على هذه الصفة"^(١٢٥). وقد أورد ابن منظور هذه الكلمة تحت مادة: هير. فالإياء الثانية على هذا أصلية والأولى زائدة.

وقد وردت هذه الكلمة في العبرية^(١٢٦) تحت المادة الثانية har بمعنى الجبل، والتل. و הַר יְהוָה "جبل الله". والهور hor في النبطية: الشق في الجبل، وهو اسم الشق الذي يُعد مدخلًا لمدينة البتراء^(١٢٧).

ووردت هذه الكلمة في الأكادية بمعنى: الأهوار، وهي من معاني هذه الكلمة في العربية. وهي في الأكادية^(١٢٨) harr(um). وقد حافظت الأكادية على معنى من معاني هذه الكلمة التي حافظت عليها العربية فـ: اليهير في العربية: دويبة، أعظم من الجراء، تكون في الصحاري، وواحدتها: يهيرّة. وهي في الأكادية^(١٢٩) harrir(um).

خامسًا: التأصيل المنطقي الاستباطي

ذهب ابن جني إلى أن "آل التعريف" هي في الأصل على حرف واحد، وهو اللام، ثم دخلت الألف لسكونها^(١٣٠). واستدل ابن جني على ذلك بقوله: "فلمّا كان التوين حرفاً واحداً، كان قياس حرف التعريف أن يكون حرفاً واحداً، وهم يجرون الشيء مجرى تقضيه، كما يجرونه مجرى نظيره، فمن هنا اقتضى القياس أن يكون حرف التعريف حرفاً واحداً، لأنه تقضي التوين الذي هو على حرف واحد".

فالدليل هنا دليل استباطي منطقي وليس دليلاً تاريخياً نصياً، مع أن المسألة التي يطرحها مسألة تحتاج إلى معالجة تاريخية.

والملاحظ أن صياغة الاستدلال هنا كانت في حاجتها إلى التعريفات والمقدمات والنتائج، صياغة تشبه الطرائق المنطقية.

فالتوين - (نقض التعريف)
واللام - (تعريف)

والشيء يجري على مجرى نقضه (مقدمة كبرى)
ونقض التعريف (أي التوين) على حرف واحد (مقدمة صغرى)
والنتيجة المنطقية لهذه المقدمات = التعريف على حرف واحد

ولو تتبعنا أداة التعريف في نظرة مقارنة لرأينا أن بعض اللغات السامية القديمة، والأكادية والأوغاريتية والحبشية تخلي من أداة التعريف، مع احتواها أداة تكير، إذ التكير في الأكادية أداته الميم ^(١٣١) ، وفي الأوغاريتية النون، كما هي الحال في العربية. أما العربية الجنوبية ^(١٣٢) ففيها التعريم، كان يقال *n̪im* ومعناها: أنت. ومن التعريم في الحبشية الميم في نحو *temālem* " أمس" ، و *gēšam* "غداً". ومن بقایاه في العبرية ^(١٣٣) *yōmāin* "نهار" و *uimnām* ^(١٣٤) أو *amnām* ^(١٣٥) "حقاً" ، وهي بدون التعريم ^(١٣٦) *amēn* ^(١٣٧) وتعني حقاً، وبقابها في العربية اسم الفعل: أمين، و *hinnām* "مجاناً". ومن بقایاه في العربية الميم في: فم، ولبن.

وأما أداة التعريف فيبدو أن أصلها: هل، ثم تبادلت الهاء والهمزة فأصبحت هل \rightarrow الـ، كما اختصرت أداة التعريف الـ، فأصبحت مع الحروف الشمسية همزة تتحقق نطقاً في بدء الكلام، وتختفي في وصله من باب التسهيل. وقد حدث في العribiyāt الباندة أن اختفت اللام دائماً وبقيت الهاء. فأداة التعريف في الصفوية ^(١٣٨) ، واللحيانية ^(١٣٩) ، والشودية ^(١٤٠) ، هي الهاء. وقد وردت الـ في بعض النقوش النبطية كما في النسخ الذي جاء على شاهد قبر رقاش بنت عبد

منات: "هلكت في الحجرو" أي: ماتت في الحجر. وقد ترتب على حذف اللام تشديد الحرف الذي يليها في العربية والعربيات البائدة، على نحو ما هو معروف في العبرية، إذ أداة التعريف فيها هي الهاء. ويُشدد الحرف الذي يليها من أثر إدغام اللام فيه، إلا أن يكون حرفًا حلقياً فإنه لا يُشدّد^(٢٨).

وقد تبادلت اللام مع النون في العربية الجنوبية، فوردت: هن، في النقوش اليمنية القديمة^(٢٩)، كما وردت (أن) في المساند الحميرية من كتاب الإكليل للهمданى^(٣٠)، وتبادلت (أن) مع (أم) فيما يسمى بالطمطمائية التي يُروى بها الحديث الشريف "ليس من امیر امصيام في امسفر" أي: ليس من البر الصيام في السفر. وما تزال (أن) أداة تعريف مستعملة في لهجة منطقة جبل رازح في صعدة في اليمن^(٣١). وكذلك (أم) التي تستخدم على نطاق أوسع في جنوب الجزيرة العربية.

وأما الهاء في: هل، فهي عنصر إشاري استخدم في أسماء الإشارة، وهو أداة التبيه أو النداء في الشودية واللحيانية. وقد دخل أحرف النداء في العربية الفصحى، في نحو: هيا، و: أيها، و: هيـه.

وعلى هذا فإن المهمزة في: أـل، أصلية، وتحويلها إلى همزة وصل هو من باب التسهيل والتخفيف على الناطقين. كما خففت همزة القطع في نحو: لـحرـم ahmar، في: الأـحمر، و: لـرض lard، في: الأرض. وقد دلت النظرة المقارنة على أنـ أداة التعريف تطوير تـال، إذا ما قورن بأداة التكير (التوين أو التمييم); بدليل خلو بعض اللغات السامية القديمة كالأكادية والأوغاريتية من أداة التعريف. وبدليل عدم اتفاق كثير من الساميـات في أصواتها، وعدم اتفاقها في موقعها من الكلمة. فاللغـات التي مـرـ ذكرـها تضعـها في أولـ الكلـمة، بينما تضعـها السريانية أـلفـاـ في آخرـها. وربما كانـ أصلـ هذهـ الـأـلـفـ: هـاءـ، ثمـ اختـصـرتـ إلىـ الـأـلـفـ فيـ آخرـ

الخاتمة

تحدد في مطلع هذا البحث هدفان أساسيان، وهما:

- الكشف عن الملامح المنهجية في التأصيل اللغوي، عند علماء التراث، مع التركيز على نموذج اخترنا له كتاب "المنصف" لابن جني.
- التقويم المنهجي لما توصلوا إليه.

وفي سبيل الهدف الأول اتضحت الملامح المنهجية والمؤثرات التي انطلقا منها في تأصيلهم للظاهرة اللغوية. فالقدماء اهتدوا إلى بعض الملامح والإ راه صفات التي نضجت وسميت بأسمائها المنهجية في العصر الحديث، كالمنهج التاريخي، والوصفي، والمقارن... يلمس المرء ذلك عندهم، في شكل خيوط منهجية لا يسع من اطلع على المناهج الحديثة سوى أن يقرّ بحقيقة مزداتها، أن النسيج المنهجي الناضج في العصر الحديث كانت بدايته في فترة مبكرة. يبيّن أن بعض العوامل كانت تتضمن اتجاهها منهجياً ما، وتؤخر نضج اتجاه منهجي آخر.

فالمنهج المقارن مثلاً كانت تقتضيه آلية المعرفة الكافية باللغات، ولذا كان طرقيهم للبحث اللغوي من خلاله قليلاً نسبياً، ونتائجهم فيه أقل نضجاً. والمنهج الاستقرائي مثلاً، توافرت لديهم أدواته، وعلى هذا كان في وسعهم أن يستفيضوا في استقراء الأمثلة المتاظرة ليستخلصوا من ذلك القوانين العامة التي تحكم الظواهر... وهكذا.

وقد رأينا أنهم اهتدوا إلى مجموعة من المفاهيم المنهجية كالمفهوم

الوصفي، والمفهوم التاريخي، والمفهوم الاستقرائي، والمفهوم الاستباطي... إلى غير ذلك من المفاهيم المنهجية التي عُولجت في هذا البحث.

وفي سبيل الهدف الثاني من هذه الدراسة كَنَا نناقش ما قد يترتب على اختلاط الأسس المنهجية من آثار إيجابية تكاملية، أو سلبية. وقد سعت هذه الدراسة إلى تعميق بعض ما توصلت إليه القدماء بغير ادلة دليل جديد عليه، يأزر دليлем، أو يرد بعض ما توصلوا إليه، أو التحفظ إزاءه، بما يمكن أن يستدل عليه من خلال ما ألت إليه المفاهيم الحديثة للبحث اللغوي.

- (١) ابن جنّي (المنصف) ٢٣١/١
- (٢) ابن السراج (الأصول) ٢٣٦/٢
- (٣) ابن جنّي (المنصف) ٢٠٢/١
- (٤) ابن جنّي (المنصف) ٢٠٢/١
- (٥) انظر لمعالجة النداء من وجهات النظر المعيارية والتاريخية والوصفية: عمايرة المستشرقون والمناهج اللغوية ص ٦٧.
- (٦) انظر في التفسير التاريخي المقارن والتفسير المعياري لظاهره الجزم: عمايرة (نظرة مقارنة إلى المدرسة النحوية العربية، من خلال باب الشرط.
- (٧) ابن جنّي (المنصف) ١٨٠/١، وانظر أيضاً ١٨٢/١
- (٨) ابن جنّي (المنصف) ٢٥/١
- (٩) انظر ابن هشام (أوضح المسالك) ٢١٩/١
- (١٠) ابن جنّي (اللمع) ص ٩٤
- (١١) انظر ابن جنّي (المنصف) ١٧٤/١
- (١٢) ابن جنّي (المنصف) ١١٥/١
- (١٣) ابن جنّي (المنصف) ٢١/١
- (١٤) المبرد (المقتضب) ٥٠/٢
- (١٥) المبرد (المقتضب) ٦٧/٢، وانظر سيبويه ٩٥/٣، والزمخري ١٥٠
- (١٦) ابن يعيش (شرح المفصل) ٥٤/٣
- (١٧) ابن يعيش (شرح المفصل) ٥٤/٣، وانظر ابن جنّي (المنصف) ٥٨/١
- (١٨) الأذرحي (التصریح) ٣٠٩/١
- (١٩) ابن السراج: الأصول في النحو ١٨٧/٢
- (٢٠) ابن يعيش (شرح المفصل) ٥٤/١

(٢٠) انظر الفخر الرازي (التفسیر الكبير) ص ٦١

(٢١) ابن الأباري (الإنصاف) ٣٢٣/١

(٢٢) ابن الأباري (الإنصاف) ٣٢٨/١

(٢٣) ابن عصفور (الممنع) ٦١٧/٢

(٢٤) ابن عصفور (الممنع) ٦١٧/٢

(٢٥) ابن عصفور (الممنع) ٦١٨-٦١٧/٢

(٢٦) انظر Gesenius 277

(٢٧) Von Soden 1345

(٢٨) ابن منظور (اللسان) مادة: طمر ٥٠٣/٤

(٢٩) ابن منظور (اللسان) مادة: طمن ٢٦٨/١٣

(٣٠) انظر أبا حيان (البحر) ٣٠/١

(٣١) ابن منظور (اللسان) مادة: طعن ٢٦٨/١٣

(٣٢) انظر عمایرة (معالم دارسة في الصرف) ص ٨٠، ٧٨

(٣٣) انظر ابن جنی (المنصف) ٢٧/١

(٣٤) ابن جنی (المنصف) ٥٤/١

(٣٥) ابن جنی (المنصف) ٢٣٢/١

(٣٦) انظر ابن جنی (المنصف) ٢٣/١

(٣٧) ابن جنی (المنصف) ١٩٠/١

(٣٨) ابن جنی (المنصف) ٣٤٨/١

(٣٩) انظر Brockelmann (Grundriss) ١ : ٦١٩

(٤٠) انظر Dalman 165

(٤١) انظر Brockelmann (Grundriss) ١ : ٦١١

وانظر Dalman 163

(٤٢) انظر Rosenthal 49

(٤٣) انظر Brockelmann (*Grundriss*) I : 613

(٤٤) ابن جنّي (*المنصف*) ٢٣/١

(٤٥) ابن جنّي (*المنصف*) ٢٤/١

(٤٦) انظر ابن جنّي (*المنصف*) ١٩٢/١

(٤٧) ابن جنّي (*المنصف*) ٢٠٠/١

(٤٨) انظر ابن جنّي (*المنصف*) ٢٦-٢٥/١

(٤٩) انظر ابن جنّي (*المنصف*) ٢٠/١

(٥٠) انظر Beetson 106

(٥١) انظر Brockelmann (*Grundriss*) I : 525

(٥٢) انظر المرجع نفسه

(٥٣) انظر عمایرة (*معالم دارسة في الصرف*) ص ٣٧

(٥٤) ابن جنّي (*المنصف*) ١١٩/١

Bergsträsser 192 (٥٥)

(٥٦) انظر ابن جنّي (*المنصف*) ١٢٢/١

(٥٧) انظر بعلبكي (*الكتابة السامية*) ص ١٢٤

Gesenius 194 (٥٨)

Gesenius 193 (٥٩)

وانظر Brockelmann (*Grundriss*) II : 566

(٦٠) انظر Beetson 37

(٦١) انظر Gesenius 193

(٦٢) انظر Brockelmann (*Syrische Grammatik*) 50

(٦٣) انظر Nöldeke 47

(٦٤) ابن جنّي (*المنصف*) ١٢٤/١

(٦٥) انظر عمایرة (*نظرة مقارنة على بعض أدوات المعاني*) ص ١٣٠

- (٦٦) ابن جنی (المنصف) ١٨١/١
- (٦٧) ابن جنی (المنصف) ١٢٥/١
- (٦٨) انظر بعلبکی (الكتابة السامیة) ص ٢٣٣ وما بعدها،
- وانظر ١٦٥
Endress
- (٦٩) انظر ابن منظور (اللسان) مادة: معز ٤٠/٥
- (٧٠) انظر Gesenius 575
- وانظر ربحی کمال (المعجم الحدیث: عربی-عربی) ص ٣٤٥
- (٧١) انظر Beetson 17
- (٧٢) انظر Costaz 258
- وانظر Von Soden 258
- (٧٣) ابن جنی (المنصف) ١٣٢/١
- (٧٤) ابن جنی (المنصف) ١٤٧/١
- (٧٥) ابن جنی (المنصف) ١٤٣/١
- (٧٦) انظر ابن جنی (المنصف) ١٤٨/١
- (٧٧) ابن جنی (المنصف) ١٤٦/١
- (٧٨) انظر ابن منظور (اللسان) منجنون ١٣/٤٢٣، ٤٢٣، وانظر الجوهری (الصحاح) جنن
- ٢٠٩٥/٥
- (٧٩) ابن منظور (اللسان) منجنون ٤/٤٢٤
- (٨٠) انظر Fränkel 135
- (٨١) انظر ابن منظور (اللسان) حرف الجيم ٢٠٥/٢
- (٨٢) ابن جنی (المنصف) ١١٤/١
- (٨٣) ابن جنی (المنصف) ١١٥/١
- (٨٤) ابن جنی (المنصف) ١١٥/١
- (٨٥) ابن جنی (المنصف) ١١٥/١

(٨٦) ابن جنّي (المنصف) ١١٥/١

(٨٧) انظر Gesenius 113

(٨٨) انظر ربحي كمال (المعجم الحديث عربي-عربي) ص ٢٩٤

وانظر Gesenius 478

(٨٩) Von Soden 699

(٩٠) انظر ربحي كمال (دروس اللغة العبرية) ص ٥٧٣

وانظر Fahrer 168

(٩١) ابن جنّي (المنصف) ١٣٤/١

(٩٢) سيبويه ٢١٨/٣

(٩٣) ابن منظور (اللسان) رمن ١٨٦/١٣

(٩٤) المرجع السابق ١٨٦/١٣

(٩٥) Von Soden 69

(٩٦) انظر المرجع السابق ٦٩

(٩٧) Costaz 342

(٩٨) انظر ربحي كمال (المعجم الحديث: عربي-عربي) ص ٤٥٠

(٩٩) انظر Gesenius 761

(١٠٠) انظر Fränkel 142

(١٠١) ابن جنّي (المنصف) ١٣٥/١

(١٠٢) انظر عبد الرحيم (المغرب) ص ٣٠٣

وانظر Fränkel 282

(١٠٣) انظر ابن منظور (اللسان) دهقان ١٣٦/١٣

(١٠٤) انظر Costaz 59

(١٠٥) ابن منظور (اللسان) دكنا ١٥٧/١٣

(١٠٦) انظر Fränkel 188

- (١٠٧) ابن جنی (المنصف) ١٣٦/١
- (١٠٨) ابن منظور (اللسان) قرنفل ٥٥٦/١١
- (١٠٩) انظر Fränkel ١٤٤
- (١١٠) انظر ابن جنی (المنصف) ١٣٨/١
- (١١١) انظر Gesenius 124, 133
- (١١٢) انظر Fränkel 238
- (١١٣) انظر رأي نولدكه لدى Fränkel 238
- (١١٤) انظر ابن منظور (اللسان) جذب ٢٥٤/١
- (١١٥) ابن منظور (اللسان) : رنن ٢٥٧/١٢
- (١١٦) ابن منظور (اللسان) مادة: رنن ١٨٧/١٣
- (١١٧) انظر Gesenius 763
- (١١٨) انظر ابن منظور (اللسان) مادة: رنن ١٨٩/١٣
- (١١٩) انظر ابن جنی (المنصف) ١٣٩/١
- (١٢٠) انظر Gesenius 585
- (١٢١) انظر ابن منظور (اللسان) مادة: عکش ٣١٩/٦
- (١٢٢) انظر ابن منظور (اللسان) مادة: عکب ٦٢٦/١
- (١٢٣) انظر ابن منظور (اللسان) مادة: عنکب ٦٣٢/١
- (١٢٤) انظر عمایرة (ظاهرة التائית) ص ٦٤
- (١٢٥) ابن جنی (المنصف) ١٤٠/١
- (١٢٦) انظر Gesenius 187
- (١٢٧) انظر Gesenius 187
- (١٢٨) Von Soden 327
- (١٢٩) ابن جنی (المنصف) ٦٨/١
- (١٣٠) ابن جنی (المنصف) ٦٩/١

(١٣١) انظر ٣٠ Riemschneider

(١٣٢) انظر ٤٧٣ Brockelmann (Grundriss) I : 473

(١٣٣) انظر ٤٧٤ Brockelmann (Grundriss) I : 474

(١٣٤) انظر ٤٩ Gesenius 49

(١٣٥) انظر ٧١ Gesenius 71

(١٣٦) انظر ٦٨ Kaskel 68

(١٣٧) انظر ١٠٨ Littmann 108

(١٣٨) انظر ربحي كمال (دروس اللغة العبرية) ص ١١١

وانظر ٢٧٠ Wright 270

(١٣٩) انظر ٦٨ Kaskel 68

(١٤٠) انظر الهمداني (الإكيليل) ١٠٤/٨ تحقيق محمد بن الأكوع، دمشق ١٩٧٩.

(١٤١) انظر الصلوبي (ألفاظ يمانية خاصة) مجلة كلية الآداب، صنعاء، العدد ١٢، سنة

١٩٩١م

(١٤٢) انظر ٥١ Brockelmann (Syrische Grammatik) 51

المراجع العربية

- الأزهري، خالد بن عبد الله: شرح التصريف على التوضيح، دار الفكر.
ابن الأباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد: الإنفاق في مسائل الخلاف،
المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- Buckley، Rizzi: الكتابة العربية والسامية، ط١، دار العلم للملائين ١٩٨١م.
 ابن جني، أبو الفتح عثمان: اللّمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، مطبعة
العاني، بغداد ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: المنصف شرح كتاب التصريف (لمازاني)، تحقيق
إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، مصر ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- الجوهرى ، إسماعيل بن حماد : الصاحب، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار
العلم للملائين، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- أبو حيان ، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، دار الفكر ١٤٠٣هـ -
١٩٨٣م.
- الرازي ، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) تحقيق خليل الميس،
بيروت.
- ربحي كمال ، دروس اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٨م.
- ربحي كمال ، المعجم الحديث (عربي - عربي)، بيروت ١٩٧٥م.
- الزمخشري ، محمود بن عمر: المفصل في النحو، طبعة بروخ، كريستيانا
١٨٧٩م.
- ابن السراج ، محمد بن سهل : الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي،
مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٦-١٩٦٨م.

الصلوي ، إبراهيم : الفاظ يمنية خاصة ، مجلة كلية الأداب ، صنعاء ، العدد ١٢
سنة ١٩٩١ م.

عبد الرحيم ، ف ، المعرّب لأبي منصور الجواليقي ، دار القلم ، دمشق ١٤١٠ هـ -
١٩٩٠ م.

ابن عصفور الإشبيلي ، الممتع في التصريف ، تحقيق فخر الدين قباوة ، دار
الأفاق الجديدة ، بيروت ١٣٦٩ هـ - ١٩٧٨ م.

عمایرہ ، اسماعیل احمد عمایرہ : المستشرقون والمناهج اللغوية ، ط٢ ، دار
حنین للنشر ١٩٩٢ م.

عمایرہ ، اسماعیل احمد عمایرہ : معالم دارسة في الصرف ، الأقیسة الفعلیة
المهجورة ، ط٢ ، دار حنین للنشر ، عمان ١٩٩٣ م.

عمایرہ ، اسماعیل احمد عمایرہ : نظرۃ مقارنة إلی المدرسة النحویة العربیة من
خلال باب الشرط ، مجلة دراسات - العلوم الإنسانية - الجامعة الأردنية ،
المجلد ٤١١ العدد ٤ ، سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.

عمایرہ ، اسماعیل احمد عمایرہ : نظرۃ مقارنة علی بعض أدوات المعانی فی
ضوء اللغات السامية ، مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية - الجامعة الأردنية ،
المجلد ٢٠ (أ) ، العدد ٤ ، ١٩٩٣ م.

المبرد ، محمد بن يزيد : المقتضب ، تحقيق عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ،
١٣٨٢ هـ .

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .

ابن هشام ، جمال الدين بن يوسف : مغني الليب عن كتب الأعاريض ، تحقيق

محمد محی الدین عبد الحمید ، القاهرة .

الهمداني ، الإكليل ، تحقيق محمد بن الأكوع ، دمشق ١٩٧٩ م.

ابن يعيش ، موفق الدين : شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت .

- *Beetson, A.F.L. Ghul, M.A. Müller, W.W. Ryckmans, J.* : Dictionnaire Sabeen (anglais-français-arabe) Beyrouth 1982.
- *Bergsträsser, Gotthelf*: Einführung in die Semitischen Sprachen, Darmstadt 1963.
- *Brockelmann, Carl*: Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, Bd. I-II Berlin 1908-1913
- *Brockelmann, Carl*: Syrische Grammatik, Leipzig 1981.
- *Costaz, Louis*: Syriac-English Dictionary, Beyrouth
- *Dalman, Gustaf*: Grammatik des Jüdisch-Palästinischen Aramäisch, Darmstadt 1981.
- *Endress, Gerhard*: Handschriftenkunde, in : Grundriss der Arabischen Philologie, Band I, Herausgegeben von W. Fischer, Wiesbaden 1982.
- *Fohrer Georg*: Hebräisches und aramäisches Wörterbuch zum Alten Testament Berlin, New York 1971.
- *Fränkel, Siegmund*: Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen, Hildesheim, New York 1982.
- *Gesenius, Wilhelm*: Hebräisches und Aramäisches andwörterbuch über das Alte Testament, 17 Auflage, Germany 1962.
- *Kaskel, Werner*: Lihyan und Lihyanisch, Westdeutscher Verlag Köln und Opladen 1952.
- *Littmann, Enno*: Zur Entzifferung der Thaimudenischen Inschriften, Berlin 1904.

- *Riemschneider, Kaspar*: Lehrbuch des Akkadischen, Leipzig 1973.
- *Rosenthal, Franz*: A Grammar of Biblical Aramaic, Wiesbaden 1974.
- *Nöldeke, Theodor*: Kurzgefasste Syrische Grammatik, Leipzig 1898.
- *Von Soden, Wolfram*: Akkadisches Handwörterbuch Band I-II
Wiesbaden 1965. 1972.
- *Wright, W.*: A Grammar of the Arabic Language, ed. Cambridge 1896-
1898 Reprint 1951.

شعر الهجاء في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية

د. شفيق محمد عبدالرحمن الرقب

جامعة مؤتة

مدخل

نکاثر شعر الهجاء في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، فقد ذكرت طائفة من الشعراء الذين اشتهروا بهذا الغرض، منهم أحمد بن منير الطراويسى، وقد وصف بأنه كان "خبيث اللسان، مهيناً لأعراض الرجال، يسهل عليه الهوان، ولا يسلم أحد من هجائه"^(١)، والرشيد النابلسى، وهو شاعر "شرس الأخلاق جافي الطباع، غليظ الجواب"^(٢)، وملك النحاة الحسن بن صافى، وكان "مرّ الشتيمة"^(٣)، وابن عتىن، وقد وصفه معاصره بأنه "خيف اللسان، قبيح الهجاء، أغري بهجاء الناس، وتمزيق أعراضهم.. قل أن سلم أحد من الرؤساء والملوك وأرباب العلم والمناصب من لسانه"^(٤)، ومحمد بن يوسف السكاكيني من أهل حلب، كان "ذيء اللسان، هجاء شريراً يتقى شره"^(٥)، ومحمد بن يوسف التلعفرى "له هجاء شنيع لم يسلم منه أحد"^(٦)، والأديب العرماني محمد بن عياش "إنسان سوء قل أن سلم أحد من شره ولسانه، قد جعل هجراه الواقعة في أعراض الناس وتلقيهم، ولم يترك أحداً من الأماثل بحلب إلا وأظهر له لقباً ونبزة به"^(٧)، والملك الزاهر الأيوبي، كان "منطلق اللسان، مغرى بهجاء أسرته، وذوي الأقدار من الأمراء والصدور"^(٨)، وسيف الدين السامری، كان "طويل الباع في الهجو"^(٩)، وابن المسجف العسقلانى، كان "أكثر شعره في الهجو"^(١٠). وغير هؤلاء كثير. غير أنه ينبغي أن يشار هنا إلى أن المصادر التي ترجمت لهؤلاء

الشعراء لم تورد من شعرهم الهجائيَّ إلَّا القليل، بل إنَّ بعضها لم تذكر شيئاً منه، لذا فإنَّ هذه الدراسة تستقي المادَّة الشعريَّة من دواوين الشعراء الذين أكثروا من القول في الهجاء، مثل فتیان الشاغوريُّ وابن الساعاتيُّ وابن عنین، بالإضافة إلى ما لم ينشر من شعر ابن منير الطرابليِّ^(١١)، وما أورده كتب الترجم والاختيارات من هذا الشعر لأولئك الشعراء وغيرهم.

وتحْمَل عوامل عدَّة أدَّت إلى كثرة القول في الهجاء، بعضها شخصيٌّ يتعلَّق بالخصومات والمنافسات بين الشعراء، أو بالعلاقات الخاصة التي تربط بينهم وبين أبناء مجتمعهم، وبعضها يتصل بظروف العصر وأحواله الاجتماعيَّة، ومن هذه الظروف التفاوت الشديد في مستوى المعيشة بين فئات المجتمع، إذ يستشف من بعض الأخبار أنَّ عامة الشعب كانت تعاني من الفقر، وأنَّه كان عليها أن تعمل في المهن اليدوية في المدن، أو في الفلاحة لدى المقطعين من الأماء وغيرِهِم. وكانت تفرض على هذه الفئات، على فقرها، الضرائب التي تأكل ما لديها من دراهم وزروع^(١٢).

ومن هذه الظروف جور بعض الحكام والعَمَال، وقد ذكرت المصادر صوراً مختلفة لهذا الظلم، وأوردت ضرباً متعددة من العقوبات التي كان يوقعها بعضهم على الناس، مثل الصلب والتسمير^(١٣).

ومن هذه الظروف الفساد الإداريُّ الذي دبَّ في الدولة الأيوبيَّة بعد وفاة صلاح الدين، وتفتَّت بلاده. فقد انتهز بعض العمال فرصة الصراع بين ورثة صلاح الدين، فطُلق يعسف بالرعية، ويستصفي الأموال منها؛ فقد كان الوزير صفي الدين بن شكر "إذا لاح له مال عظيم احتجنه"^(١٤) وأمتدَّ هذا الفساد إلى عدد من القضاة الذين كانوا يظلمون الناس، ويستغلون نفوذهم لجرِّ الدنيا إليهم^(١٥).

بيد أنه يجب أن يُحترس هنا من تعميم الأحكام السابقة على العصر كله،

فقد قام الزنكيون والأيوبيون بإصلاحات إدارية واجتماعية واسعة، ولكنه يبقى كغيره من العصور فيه الخير والشرّ، ومن ثمّ فإن هذه الدراسة تتناول بعض المظاهر السلبية في الحياة وموقف الشعراء منها، كما تمثلت في شعر الهجاء.

وتتناول الدراسة جانبيين من هذا الهجاء، هما: الهجاء الشخصي، والنقد الاجتماعي، أما الهجاء السياسي فلن تعرض له الدراسة لأنّه مازج شعر المدح والجهاد، وصار محوراً رئيسياً من محاوره، بالإضافة إلى أنَّ الدارسين قد تناولوا هذا الشعر وعالجوه جوانبه.

أولاً: الهجاء الشخصي

كثر هذا النوع من الهجاء في بلاد الشَّام زمن الحروب الصليبية، وتعدّدت دوافعه وأطراقه، ويمكن تصنيفه إلى ما يلي:

- أ-التهاجي بين الشعراء.
- ب-هجاء الأفراد.
- ج-هجاء المدن والبلدان.
- د-هجاء أماكن السكني والمرافق العامة.

أ- التهاجي بين الشعراء:

أشارت المصادر إلى بعض المساجلات الهجائية التي وقعت بين عدد من الشعراء الشاميين، ومن هؤلاء الشعراء ابن منير الطرايلي، وابن القيسراني، فقد ذكر العماد الأصفهاني في معرض ترجمته لابن منير أنه "كان.... معارضًا للقيسراني في زمانه، وهو كفرسي رهان، وجوادي ميدان"، ووصفهما بأنَّهما "جرير العصر وفرزدقه"^(١)، ولم يصل إلينا من هذه المهاجاة إلا القليل، ويبدو أنَّ العامل المذهبـي كان له دور فيها، فقد "كان القيسراني سنـياً متورـعاً، وابن منير

مغالياً متشيئاً^(١٧)؛ لذا فعندما بلغ ابن القيسراني أنَّ ابن منير هاجَ كتب إليه^(١٨):

ابن منير هجوت مني حبراً أفاد السورى صوابة
ولم تُضيق بذاك صدرى فإنَّ لي أسوة الصحابة

ويبدو أنَّ ابن منير كان سليط اللسان في هجائِه لابن القيسراني، فقد نال
في القصيدة التي أرسلها إلى ابن المستوفى يشكُّ له فيها ما فعله الحشرية^(١٩) في
داره - نال من كرامة الشاعر، واتهمه في عرضه وشرفه، وذلك إذ يقول^(٢٠):

أترانى أكلت جذْر عِيالي مثل ما كان يفعل القيسراني
أم كنت الفلوس في خالد ابني عام قادت عليه أم سنان

وينتهز ابن منير دخول ابن القيسراني دمشق، وقد صادف ذلك اندلاع
حريق هائل في المدينة، ودخول أسراب من الجراد أتت على بساتينها وزروعها،
وامتداد الأيدي بالسلب والنهب، فيسخر من الشاعر سخرية مريرة، إذ جعله رمزاً
للشُّؤم وسوء الطَّالع، مستعيراً له شخصية (طويق) التي يضرب بها المثل في
التطيير، وذلك إذ يقول^(٢١):

الحقَّت جَلْقَ بالمؤتكَة
من توالي الفتَن المشتكَة
كُلَّ من سَدَّ عليها مسَاكة
تحت كِيوان لـهَدَت فَاكَة
دبَّ للملسوَبِ إِلَّا أَهَاكَة

يا طويق الشُّؤم هذِي الحركة
جَتَّها تذكرها عهداً مضى
يا رسول القدر الحَمِّ إلى
لكِ رِجل قُطِعَتْ لو جمعتْ
شُؤمها أسرى من السَّمَّ فما

ويصور ابن منير ابن القيسراني وقد تحماه الناس، وأخذوا يطردونه من
كلَّ مكان يحلُّ فيه، فراح يتنقل من بلد إلى بلد حاملاً معه الويلات والمصائب:

أرض قوم غبقةٌها الدكدة
قططٌ لا ترکةٌ ترکة
سامن إلأ وأمسى معرکة

شردتْه طلعةٌ إن صبتْت
لم يمل وجهاً إلى مال ثرى
لا، ولا طرَّ لها شدق على

وتشفَّ القصيدة عن الكراهة الشديدة التي يحملها ابن منير لابن القيسراني، لذا راح يدعو أولي الأمر في دمشق إلى دفع النحس والخراب عن المدينة بطرد ابن القيسراني منها:

ربك المأهول هذى الهاكة؟!
كل منجاة نحاهما مهاكة؟!
أي ستر ضمه ما هنك؟!

يا مجير الدين من دلَّ على
من رمى مغناك، لا ريع، بمن
أي دار أمَّها ماغمةها

وتتضيَّ القصيدة على هذا النحو من الإللاح على استدعاء المعاني التي تصور شؤم ابن القيسراني وسوء طالعه، وكان الشاعر بهذا يريد أن يبحث الناس على نبذه، وعدم الاتصال به، أو التعامل معه.

ولم يقصر ابن منير هجاءه على ابن القيسراني من الشعراء، وإنما هجا شعراء آخرين وهجوه، فقد كتب أبو نزار الحسن بن صافي المعروف بـ "ملك النحاة" إلى أحد القضاة وتصنَّع في الكلام باستعمال لفظة (العاصوي) التي استغربها ابن منير، فقال هذه الأبيات ساخرًا من أبي نزار وعلمه، ومستهجناً هذا القياس الشاذ^(٢٢):

تهجيه من تحت قد أجموها
يعجم أشياء قد أعربوها
غداً وجهه جهلك فيه وجوها

أيا ملك النحو والحاء من
أن أنا فقياسك هذا الذي
ولما تصنعت في "العاصوي"

وقالوا قفا الشیخ ابن الملو
ک إذا دخلوا قریة أفسدوها

فأثارت هذه الأبيات حفيظة أبي نزار، فردَّ عليها بأبيات اتهم فيها ابن منير
بأنه يغير على أشعار الآخرين ويدعوها لنفسه، ووصفه بأنه رجل يستحق
التأديب، وأخذ عليه إسرافه في هجاء الناس وذمهم^(٢٣):

أیا ابن منیر حسبت الھجا
جمعت قوافي من ذا وذا
قالوا: قفا الشیخ ابن الملو
ء رتبة فخر بالغت فيها
وأنسنت أشياء قد أصلحوها
ک إذا أخطأت سوقة أدبوها

ومن الشعراء الذين كانوا يتبادلون الهجاء مع معاصرיהם أبو الحكم
الأندلسي، فقد وصفه ابن أبي أصيحة قائلاً: «وكان أبو الحكم يهاجي جماعة من
الشعراء الذين كانوا في وقته ويهاجونه»^(٤). ومن هؤلاء الشعراء الذين هجوا أبي
الحكم العرقلة الكلبي، وقد استمد العرقلة معاني هجائه من مهنة الطب التي كان
يعمل فيها أبو الحكم، فصوره طيباً جاهلاً يجلب الحتف إلى كل من يعالجها، على
شاكلة قوله يدعوه الله أن يريح الناس منه، لأنَّ طبيب شوم لا يزور أحداً صباحاً،
حتى يكتب له قصيدة يرثيه فيها مساء^(٥):

لنا طبيب شاعر أشتهر
أراحتا من شخصي الله
ما عاد في صحبه يوماً فتقى
إلا وفي باقيه رثاء

وإمعاناً في السخرية من أبي الحكم يستعير العرقلة الكلبي طريقة في
الهجاء، فيجهوه على سبيل المرثية (وهي طريقة اشتهر بها أبو الحكم كما
سيتضح بعد)، كما في قوله يتصنَّع أساليب الرثاء تهكمًا واستهزاء، لينتقل إلى
الدعاء على (المهجو المرثي)، لأنَّه كان ضعيف العقيدة رقيق الدين^(٦):

على الحكيم الذي يكنى أبا الحكم
ولا سقى قبره من صليب الذئم
ويستحل ندم الحاج في الخرم

يا عين سَحَى بدم ساكب ودم
قد كان لا رحمَ الرحمن شبيته
شِيخاً يرى الصلوات الخمس نافلة

و هذه المراثي الهجائية مما اشتهر به أبو الحكم الأندلسي نفسه، ولعلها تدل على سخرية أبي الحكم من المصير الإنساني، بالإضافة إلى السخرية من المهجو نفسه، ومما زاد هذه السخرية حدة أنها كانت تصدر عن شخص وصفه معاصروه بأنه كان "محباً للهو والخلاعة... محباً للشراب مدمناً له"^(٢٧). وممن نحا أبو الحكم في هجائهم هذا النحو ابن منير الطراطليسي، وابن القيسرياني، والأديب نصیر الحلبی، والطیبی المفکل اليهودی. فها هو ذا يندب نصیراً الحلبی - وكان قد اشتعل بالكتابة والشعر والطب والنجوم - ويصوره وقد وضع في القبر فيضجّ الأموات منه، ويمعنون في الهرب من قبورهم لوضاعة هذا الزائر وخبيثه وتنق راحته^(٢٨):

مات نصـير الحـلـبـي
كان طـويـل الـذـنـبـ
نكـهـةـ فـي الـسـتـرـبـ
منـهـ بـكـابـ أـجـرـبـ
وـمـعـنـ فـي الـسـهـرـبـ
أـوـضـعـ مـيـتـ مـرـبـيـ
نـشـرـقـهاـ وـالـمـغـرـبـ
فـي عـجـمـهاـ وـالـعـرـبـ
أـسـرـفـ يـاـ مـعـذـبـيـ
شـيـخـ لـامـ لـلـأـدـبـ

يَا هَذِهِ قَوْمٍ اَنْدَبَّ
يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ
قَدْ ضَجَّتِ الْأَمْوَاتُ مِنْ
وَوْدَهُمْ لَوْ عَوَضُوا
وَالْقَوْمُ يَبْيَسُ صَارَخَ
وَمَنْكُ رِيقَهُ وَلَوْ ذَا
مَاضِمَ بَطْنَ الْأَرْضِ يَبْ
أَخْبَثُ مِنْهُ طَينَة
وَقَوْلُهُ لَمْنَكَ رَ
أَمَا عَلِمْتَ أَنْتَ يَ

وإذا كان أبو الحكم قد رثى في الأبيات السابقة شخصاً لم يمْتَ هجاءً له وسخريّة منه، فإنه هجا في الأبيات التالية ابن القيسراني وابن منير الطرابلسي بعد أن ماتا، وهي أبيات تشفّ عن رغبة أبي الحكم في السخرية والهزل، وتظهر قدرته على التفنن في إخراج الصور التي تستثير الضحك: (٢٩)

ر بِينَ مِنْكُرٍ وَنَكِيرٍ م بِينَ إِفْكٍ وَزُورٍ ل ك بِينَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ س خ ضَنْيُنْ بِعَرْضِي وَمَسْتُورِ ع ه عَزْرٍ، وَمَالَهُ مِنْ نَصِيرٍ م مَارَأَيْ مِنْ شَمَاتَةٍ ابْنِ مَنِيرٍ وَيَنْدَادِي هَذَا مِنْ التَّعَشِيرِ	ثُمَّ عَدَيْ بِهِ وَقَدْ أَنْزَلُوهُ الْقَبْرِ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَلْمَ تَكَ فِي التَّجْيِي ثُمَّ أَسْرَفَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي قَوْ تَفَحَّشَ الْهَجْوُ لَيْسَ تَبْقَيْ عَلَى شَيْءٍ فَالْحَا عَلَيْهِ صَفَعًا وَلَمْ يَنْفَعْ ثُمَّ لَمْ يَكْتُرْ ثُبَّذَلَكَ لَسْوَالًا عَنْدَمَا جَاءَهُ يَقْهَقِهِ صَحْكًا
---	---

ويجادل ابن منير ابن القيسراني، وتحتم المجادلة بينهما، وترتفع أصواتهما، ثم يتعارضان في القبر. ولا ريب أنَّ هذا يذكرنا برسالة الغفران لأبي العلاء المعرى، وما فيها من خصومات بين الشعراة في الدار الآخرة، ولعلَّ أبا الحكم الأندلسى قد تأثر بذلك.

ولم يشتهر في الهجاء شاعر شامي، زمن الحروب الصليبية، كما اشتهر ابن عنين، فقد أكثر من القول في هذا الموضوع، واتسعت دائرة مهجوبيه من الشعراء وغير الشعراء وفي ذلك يقول أبو العباس الدينيسيري، ويدرك أخاً لابن عنين كان قاطع طريق (٣٠):

أصحاب الناس ممن ولدي عَنْ شَدَّةِ وَشَقَّا

قد اجتمعوا على ضر
كأنهما، عدماً لها
فذا الأعراض يقطعها

عظيم الخطاب واتفقا
على الإفساد قد خلقا
وهذا يقطع الطرق

ومن الشعراء الذين أكثر ابن عين في هجائه الرشيد النابلسي، وجمل
هجائه له كان فاحشاً، ومن أفله فحشاً البيتان التاليان اللذان يقرنه فيهما بالكلب
خسة ووضاعة: (٣١)

شك شعري إلى وقال تهجو
فقلت له سل، فرب نجم

بمثلي عرض ذا الكلب اللئيم
هو في إثر شيطان رجيم

ويبدو أن سلطة لسان الرشيد النابلسي قد ألبّت ابن عين وغيره من
الشعراء عليه؛ فهجوه لعلهم يسكنونه، ومن هؤلاء القاسم الواسطي الذي ألح في
هجائه على تصوير رداءة شعر الرشيد وفساده، حتى إنَّه ألف رسالة فيما أخذ
عليه في قصيدة نظمها في الإمام الناصر (٣٢). وقد كان الرشيد النابلسي أبخر،
فاستغل الواسطي هذه الصفة لتوليد المعاني التي تصف رداءة شعره، كما في
قوله جاعلاً رائحة فمه مسببة عن ذلك الشعر الرديء: (٣٣)

يامن تأمل مدلوين
انظر إلى بخر بفر
لاتحس بن بائمه
لكنم أنافاسه

ـ وشك فيما يُسمى
ـ وما أظنك تفهمه
نفس يغيره فـ
ـ ننتـ بشغـر ينظمـ

بـ - هجاء الأفراد:

شمل هذا الهجاء شخصيات كثيرة في المجتمع، وقد صور الشعراء فيه

بعض النماذج البشرية التي تخرج في سلوكها عن المثل الأعلى للحياة الخالقة والنفسية القوية. ويحصل قسم كبير من هذا الهجاء بالحاجة المادية للشاعر، أو أقل بتقسيم المهجوين في حق الشاعر فإذا في رميهم بصفات تصور بخلهم ونفيتهم؛ فقد قصد القاضي الرقي على بن مشرق شيرز، فلم يحظ عند أهلها، فقال أياً نعى فيها إلى الناس الجود في تلك المدينة؟^(٢٤)

بصوت له في الخلقين أغلياد
وملت بها من لؤم صاحبها الجود
قدورهم بيض وأعراضهم سود

الآن في شرق البلاد وغربها
قضى للخير والمعروف في لرض شيرز
وأعجب مالله أولاد منفذ

أَمَّا الْعَرْقَلَةُ الْكَلْبِيُّ فَقَدْ مَدَحَ قَوْمًا، فَأَعْطَوْهُ شَعِيرًا بَدْلًا مِنَ الْمَالِ، فَقَالَ يَذْمَمُهُ وَيَصْفِهُ بِالْبَهَانَمِ: ^(٣٥)

فَقُلْتَ لَهُمْ إِذْ مَلَكْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ
كُثُرٌ إِذَا سُتُّخَلْتُهُ مِنْ بَهَائِمِ

يقولون لم أرخصت شعرك في لوري
أجزى على الشعر الشعير وإنَّه

ويمدح ابن المسجف العسقلانيَّ قوماً أملأُوا في عطائهم، فيعود من عندهم خائباً، فيقول فيهم أسفًا على ضياع عمره في مدحهم حيناً، وفي ذمّهم حيناً آخر : (٤٣)

وَظَنَنْتُ فِيهِمْ لِلصَّنْعَةِ مُوضِعًا
فَأَضَعْتُ فِي الْحَالَيْنِ عُمْرِي أَجْمَعًا

ولقد مدحتهم على جهل بهم
ورجعت بعد الاختبار أذمّهم

ولم يكن البخل هو الصفة الوحيدة التي رمى بها الشعراء مهجوبيهم، وإنما وصفوهم بنعوت أخرى تحط من مكانتهم، وألصقوها بهم، الصفات المستهجنة. فهذا ابن المسجف يذم جماعة من أصحابه، لأنهم جبناء لوماء بخلاء، لا

يصدقون أمل آمل، ولا يُؤدون الصدقة (٣٧).

ما فيهم فضل ولا إفضل
لوماء ما استرفتهم بخال
وأكفهم من دونها أفال
آل وهم عند الشدائـد آل

يا رب كـيف بلوتني بعصابة
جبناء ما استجدتهم لـلمـلة
فوجوهـم عـوذ على أموالـهم
هم في الرخاء إذا ظفرـت بنـعـمة

ويـدعـو ابنـ السـاعـاتـي على دـارـ أحدـ مـهـجوـيـهـ بالـخـرابـ، لـماـ كانـ يـدورـ فيـها
منـ أحـادـيـثـ الـكـذـبـ وـالـبـهـتانـ، وـلـاتـصـافـ صـاحـبـهاـ بـالـخـيـانـةـ وـالـبـخـلـ وـتـقـلـ الـرـوحـ،
وـذـلـكـ إـذـ يـقـولـ: (٣٨)

وـلاـ أـصـابـتكـ فـيـ محلـ يـذـ السـحـبـ
يـنـ لـلـسـاحـتـ سـمـاعـيـنـ لـلـكـذـبـ
مـنـهـ، وـإـنـ عـدـ فـرـداـ مـنـ أـبـيـ لـهـبـ
وـالـكـفـ مـطـبـوـعـةـ مـنـ عـقـدـ الـذـنـبـ

يـاـ دـارـ الـأـكـرمـ لـاـ أـشـوـتـكـ صـاعـقةـ
فـرـبـ يـوـمـ غـدـونـاـ فـيـ عـرـاصـكـ أـكـالـ
تـبـتـ يـدـاهـ فـكـمـ فـيـ كـلـ جـارـحةـ
ذـوـ النـفـسـ مـخـلـوقـةـ فـيـ التـقـلـ مـنـ زـحـلـ

وـقـدـ تـاـولـ الشـعـرـاءـ الصـفـاتـ الـجـسـديـةـ لـمـهـجوـيـهـ، وـحاـلـوـاـ أـنـ يـصـوـرـواـ هـذـهـ
الـصـفـاتـ تصـوـيرـاـ سـاخـراـ، عـلـىـ نـحـوـ مـاـ فـعـلـ الـمـسـجـفـ الـعـسـقلـانـيـ عـنـدـمـاـ هـجـاـ
شـخـصـاـ نـحـيـاـ أـحـوـلـ، مـعـنـدـاـ عـلـىـ الـمـغـارـقـةـ الـلـفـظـيـةـ الـتـيـ تـتـيـرـ الضـحـكـ (٣٩):

أـحـوـلـ الـمـقـلـتـينـ مـرـ لـمـاءـ
قـالـ: مـسـعـودـ، قـلـتـ: مـنـ لـاـ يـرـأـ

وـغـرـيرـ كـائـنـ غـصـنـ تـيـنـ
قـلتـ: مـاـ الـاسـمـ قـدـ أـطـالـ عـنـانـيـ؟

وـيـسـخـرـ سـالـمـ بـنـ مـؤـمـنـ الـمـعـريـ مـنـ إـنـسـانـ كـبـيرـ الـأـنـفـ مـضـخـماـ مـنـ
صـورـتـهـ: (٤٠)

فـهـوـقـدـبـلـغـالـسـمـاءـ
لـمـيـكـنـإـلـأـلـوـاءـ

إـنـكـنـتـمـفـخـرـاـبـأـنـكـ
لـوـكـنـتـتـصـلـحـلـلـإـمـارـةـ

ويؤكـدـالـعـرـقـلـةـالـكـلـبـيـالـذـمـبـماـيـشـبـهـالـمـدـحـعـنـدـمـاـيـصـفـأـحـدـمـهـجـوـيـهـ،ـ
فيـصـوـرـهـصـاحـبـوـجـهـكـافـ،ـوـقـوـامـقـصـيرـمـقـصـفـ،ـوـبـنـانـشـحـيـعـلـاـيـقـطـرـبـأـيـ
خـيـرـ،ـوـذـلـكـإـذـيـقـوـلـ(ـ٤ـ١ـ)ـ

لـكـوـجـهـكـائـهـالـبـدرـلـكـنـإـذـكـسـفـ
وـقـوـامـكـائـهـالـغـصـنـلـكـنـإـذـقـصـفـ
وـبـنـانـكـائـهـالـبـدـرـلـكـنـإـذـنـشـفـ

‘وـمـنـالـأـقـرـادـالـذـينـأـكـثـرـالـشـعـرـاءـمـنـهـجـانـهـالـأـطـبـاءـ،ـوـلـعـلـهـذـاـيـعـودـإـلـىـ
أـنـبعـضـالـذـينـاشـتـغـلـوـبـالـطـبـلـمـيـكـونـواـمـؤـهـلـينـلـذـلـكـ،ـوـأـنـهـلـمـيـحـسـنـواـمـعـالـجـةـ
مـرـضـاهـمـ،ـوـرـبـمـاـجـلـبـواـأـلـذـىـلـهـمـ(ـ٤ـ٢ـ).ـوـقـدـرـأـيـاـنـاـطـرـفـاـمـنـهـذـاـهـجـاءـفـيـهـجـاءـ
الـعـرـقـلـةـلـأـبـيـالـحـكـمـالـأـنـدـلـسـيـ.ـوـتـكـادـجـلـالـأـشـعـارـالـتـيـقـيـلـتـفـيـهـجـوـالـأـطـبـاءـ
تـدـورـحـولـفـكـرـةـرـنـيـسـيـةـوـاـحـدـةـهـيـتـصـوـرـجـهـلـهـمـبـأـصـوـلـهـذـهـمـهـنـةـ،ـوـعـدـمـ
مـعـرـفـهـمـبـقـوـاعـدـهـالـعـلـمـيـةـوـالـعـلـمـيـةـ،ـكـوـلـالـشـاعـرـالـطـبـيـبـسـدـيـدـالـدـيـنـبـنـرـفـيـقـةـ
يـهـجـوـأـحـدـالـأـطـبـاءـوـيـدـعـهـإـلـىـتـرـكـهـذـهـمـهـنـةـلـأـنـهـجـاهـلـبـهـ،ـمـصـوـرـاـالـخـطـرـ
الـذـيـيـمـتـهـهـذـاـالـطـبـيـبـالـجـاهـلـعـلـىـأـرـوـاحـالـنـاسـ،ـحـتـىـإـنـهـغـداـأـشـدـخـطـرـاـعـلـيـهـمـ
مـنـالـوـبـاءـ:ـ(ـ٤ـ٣ـ)

فـكـمـتـقـلـالـمـرـضـىـالـمـساـكـينـبـالـجـهـلـ
فـلـمـ،ـلـاـكـلـاـكـالـهـ،ـتـعـجـلـبـالـحـلـ
وـذـلـكـفـيـالـأـحـيـاـنـيـحـدـثـفـيـفـصـلـ

أـيـاـفـاعـلـأـخـلـالـتـطـبـبـوـأـتـبـذـ
فـتـرـكـبـأـجـسـامـالـأـنـامـمـؤـجـلـ
بـهـرـتـالـوـبـاءـإـذـقـتـلـالـنـاسـدـانـمـاـ

وقد هجا ابن خروف الطبيب الدخوار بعدد من المقطوعات حاول أن يثبت فيها روح السخرية التهكمية، كما في قوله يجعل الطب سيفاً يصول به الدخوار على أرواح العباد: ^(٤٤)

طبَّعَ المَهْبَطَ طَبَّ
بَابُ السَّلَامَةِ لَا يُنْرِي

سيفاً وصال على المهج منه، ولا بباب الفرج

ولم يهنج من الأطباء في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية أحد كما هجي الطبيب موفق الدين بن المطران، مع أنه كان "أمير أهل زمانه في علم صناعة الطب وعملها"^(٤٥) ولعل ذلك يعود إلى شخصية ابن المطران، فقد كان -على علمه- يغلب عليه "الزَّهُو بنفسه والتَّكَبُّرُ حتَّى على الملوك"^(٤٦)، لذا تناول الشعراء هذه الصفة، وعرضوها عرضاً ساخراً، على شاكلة قول ابن عين يصور ابن المطران يتتجول في شوارع دمشق متكبراً مختالاً، وقد تبعه غلامه (عمر) ^(٤٧):

ل ضحي في عراصها الرَّحْبِ
يختال مثل المهاة في السَّرَّبِ
تاه وأبدى غرائب العجَبِ
في الناس إلا تعنفق الرحبي

متى أرى سيدِي الموفق يختا
يمشي الهموني وخلفه عمر
وسيدِي كلاماً تاماً
تعجمس قلَّ من يناظره

وقد كان ابن المطران نصراً، فأسلم، إلا أنَّ ابن عين ظلَّ يشكُّكَ في هجائِه له، في صحة إسلامه، ويربطه بحبه لـ (عمر) الذي سبق ذكره، وهو غلام مسلم "في غاية جمال الصورة"^(٤٨)، كما في قوله يحمد الله ساخراً -على هداية ابن المطران، لينفذ من ذلك الحمد إلى الإقذاع في هجائِه: ^(٤٩)

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَاجِبُ الشَّكَرِ قَدْ اهْتَدَى سَيِّدِي أَبُو نَصِّرِ

فَجَرَ الْمُهَدِّي مِنْ دِجَنَةَ الْفَجْرِ
سُودٌ، وَأَفْتَى الصَّلِيبَ بِالْكَسْرِ
رَبُّ اِنْتِهَاكِ خَيْرٌ مِنْ السَّتْرِ
مَعْذِرَةً إِنْ سَمِعْتُمْ عَذْرِي
.....

وَاتَّبَعَ الْحَقَّ حِينَ لَاحَ لَهُ
وَقَالَ إِنَّ الْمَسِيحَ لَيْسَ بِمُعبَّرٍ
مَا ذَاكَ إِلَّا سَتْرٌ عَلَى عُمَرٍ
فَقَلَّتْ يَا قَوْمَ إِنْ فِي عُمَرٍ
شَكَّتْ لَهُ أَخْتَهُ لَهِبٌ.....

وقد لجَ ابن عنبين في هجاء ابن المطران، فأبغضه وحرَض السلطان على نفيه،^(١) ويبدو هذا الهجاء في بعض صوره ضرباً من التجارب الأسلوبية التي تستهدف إظهار القدرة على الإتيان بالصور والمعاني، كما في قوله ينسب إلى العالمة زعمها أنَّ ابن المطران قد تشيَّع، ثم يعجب من هذا الزَّعم لأنَّ الذي دعاه إلى الإسلام هو (عمر !!)^(٢)

هذا خلاف الذي للناس منه ظهر
قالوا الموفق شيعيَّ فقلت لهم
وما دعاه إلى الإسلام غير عمر؟!
وكيف يجعل دين الرفض مذهبَه

وقد هجا بعض الشعراء، في إطار الهجاء الفردي، أقاربهم. فقد هجا سيف الدين السامرِيَّ خاله وخلَّ أبيه^(٣)، وهجا أبو الفتح البلطيَّ ابن عمه وتبرأ منه^(٤). وكان ابن روبيل الأبار، على صلاحه ونسكه، "مغرى بهجاء زوجته، لأنَّها أشارت عليه أنَّ مدح كبيراً فما نفع، فهجاه فصيغ، فقال لو لا زوجتي لما صفتُ، ولو لا تغيريرها لما وقعت"^(٥). وقد أفحش ابن روبيل في هجاء هذه الزوجة، كما في قوله يرميها بالفسق والفجور^(٦):

و أنظفَ مِنْ زوجتِي
لي قطَّةَ أَنْظَفَ مِنْ زوجتِي
مِنَ الْخَنَامِ رَكَبَ فِيهَا
وَكُلَّ مَا صَوَرَهُ ربَّنَا

وهجا ابن عنين أبوه بالييات أشبه ما تكون بالاعتراف الذاتي بإحساس الشاعر بمركب النقص من جهة هذا الأب، إذ جعله سبب معاناته في هذه الحياة، وعلة شعوره بالنقطة على الآخرين؛ فهو الذي جنبه فعل الخير، وجذبه إلى رديء الأعمال، لأنه إنسان ضئيل القدر، وضعيف الهمة، كثير العيوب، جم المفاسد، بينما توجه لا يأتي بخير، وقد ورث الشاعر ذلك كله، يقول: (٥٦) :

ضئيل إذا ما عدَّ أهل المناسب
وضعيف مسامعي الخير، جم المعایبِ
غداً عرقه نحو الدنیة جاذبِي

و Jenبني أن أفعل الخير والد
بعيد عن الحسن قریب من الخنا
إذا رمت أن اسمو صعوداً إلى العلي

وأخيراً فقد هجا بعض الشعراء أنفسهم، ولعلَّ هذا الهجاء كان يصدر أحياناً عن إحساسهم بالنقص، فقد كان العرقلة الكلبيَّ شيئاً دمياً أعور، فقد له إحساسه بافتقاد ميسنِ الجمال إلى التقدُّر بنفسه، كما في قوله (٥٧) :

لَ بغيض من الورى وحسودٍ
ضي، وحظي من القريب البعيدٍ
جلَّ من صاغ جلده من حديدٍ
ولسانِي، لا مثل قديٍ وجيديٍ
في قبيص من العراقِ جديدٍ

حاجتي شقةٌ شقَّ على كـ
ذات لون كمثل عرضك لا عبرٍ
فابعثتها صفيقة مثل وجهي
واجعلتها طويلة مثل قرنسيٍّ
كي أرى في الشام شيئاً خليعاً

وعندما طالب الملك معظم عيسى الشاعر ابن المسجف العسقلاني بالزكاة، رفع إليه الشاعر مقطوعة نزهٍ فيها الملك أن يحصل الزكاة منه، لأنَّ ماله حرام، وأنه لا يصوم ولا يصلَّى (٥٨) :

وحاز لكلَّ مكرمة وفضيلٍ
حرام كله من غير حـلٍ

أيا ملكاً حوى علمًا وجودًا
يكلفني البهاء زكاة مال

شاعت في الشعر الشامي زمن الحروب الصليبية ظاهرة هجاء المدن والبلدان، فقد هجا الشعراء دمشق، وحلب، وبخارى، وسامراء، ومصر، وغيرها من البلدان الشامية وغير الشامية. ولعل هذا الهجاء ينافق ظاهرة مدح المدن التي ذاعت في الشعر الشامي آنذاك^(٥٩). وتختلف دواعي هذا الهجاء من شاعر إلى آخر، فقد يكون الدافع مذهبياً على ما كان من هجاء ابن منير الطراولسي لدمشق وأهلها، وذلك في سياق القصيدة التترية التي تحدث فيها بأسلوب هزلية عن بعض معتقدات الشيعة، إذ حمل فيها على أهل دمشق، وجردتهم من القيم والفضائل، فوصفهم بالضلال وضعف الدين، والطيش، إلى غير ذلك من الصفات التي تزري بهم، وذلك في قوله:

أما ابن عنين، وهو شاعر سني، فقد اكتفى وهو يهجو حلب بالحديث عن الخلافات المذهبية التي نشبت بين أبناء المدينة، وعد ذلك مما يؤخذ عليها، بالإضافة إلى عيوب أخرى. يقول (١١):

ما الصبح فيه من المساء بأمثل
عندی وديجور الظلام المسيل
صوب الغمام، ومعشر لعنوا على
أبداً وعهد نسائهم لم يحل

لَا عَادَ فِي حَلْبٍ زَمَانٌ مَرَّ لِي
سِيَانٌ فِي عِرَصَاتِهَا رَأَدَ الضَّحْرَى
فِي مُعْشَرٍ لَعْنَوْا عَتِيقَأَ، لَا سَقْوَا
قَوْمٌ عَهُودٌ رِجَالُهُمْ مَحْلُولَةٌ

وقد لا يجد شاعر أو آخر تقديرًا من أهل المدينة التي يقيم فيها، فيهجوها، على نحو ما فعل ملك النحاة في هجانه لدمشق، مازجًا هذا الهجاء بالذمر والتهديد، وذلك اذ يقول: (٦٢)

شعثاء يكره مأواها وهواؤها
بغواقر التبست لها أبناؤها
إن أقدر تني دولة ولواؤها
والأرض نازحة بها أرجاؤها

لأرحلنَ مطيني عن بلدة
ولأرمينَ دمشق غير محجف
ولأزجرنَ العيس عنها معرضًا
فاللام أغضى في دمشق على قذى

وأكثر ابن دينير من هجاء أهل دمشق، لأنه لم يلق منهم التقدير الذي يعتقد أنه يستحقه، وكان شديد الوطأة في هذا الهجاء، على نحو ما نرى في الآيات التالية التي يصفهم فيها بأنهم مطبوعون على اللؤم والجهل والبخل وقول الزور، ومنظورون على فساد الأخلاق، وانعدام الغيرة على الأعراض^(٦٣):

جود كف لفتيل أو نقير
ومقال الزور والجهل الغزير
من أهاليها بأرباب السعير
بل يجودون بربات الخدور
..... عندهم، بل عندهم حظ

لَمْ أَجِدْ بِالشَّامِ مَنْ يَرْجِى لَهُ
خَلْقَوْا لِلرُّؤْمِ طَرَا وَالخَنْسَى
وَدِمْشَقَ جَنَّةً قَدْ مِلِأَتْ
لَا يَجِدُونَ بِمَالِ أَبِيدَا
مَا يَرْبِى الْعَافُونَ حَظَّا فَيْمَ

وَعَدَمُ التَّقْدِيرِ هَذَا نَجْدَهُ وَاضْحَى فِي هَجَاءِ ابْنِ السَّاعَاتِ لِمَصْرَ، وَقَدْ بَالَّغَ
فِي هَذَا الْهَجَاءِ، فَشَمَلَ بِهِ نَهْرُ النَّيلَ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ^(٦٤):

وَهَا مِصْرَ لَا يَقْضِي بِهَا حَاجَ طَالِبٍ
لَأَبْحَرَ مِنْهَا النَّيلُ وَهُوَ مَجَاجَةٌ
بَغَاهَا، وَلَا يُمْضِي لَذِي أَمْلَ حَكْمٍ
مِنَ الْبَخْلِ، لَا بَلْ أَظْلَمُ الْقَمَرِ التَّمَّ

وَيَشْعُرُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَكِرٍ بِالْغَرْبَةِ فِي أَثْنَاءِ إِقَامَتِهِ فِي نِيْسَابُورِ، فَيَنْمِ
الْمَدِينَةَ أَهْلًا وَمَنَاخًا، قَائِلًا^(٦٥):

مَا فِيهِ مِنْ صَاحِبٍ يَسْأَلِي وَلَا سُكَنِ
لَفْرَقَةِ الْأَهْلِ وَالْأَحَبَابِ وَالْوَطْنِ
أَشَارَ شَتَّهُ فِي ظَاهِرِ الْبَيْنِ

لَا قَتَسَ اللَّهُ نِيْسَابُورَ مِنْ بَلْدٍ
لَوْلَا الْجَحِيمُ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْ حَرَقٍ
لَمَتْ مِنْ شَدَّةِ الْبَزِيدِ الَّذِي ظَهَرَتْ

د - 'هَجَاءُ أَمْكَنِ السُّكُنِيِّ وَالْمَرَاقِقِ الْعَامَّةِ:

تَنَاوِلَ بَعْضُ الشُّعُرَاءِ بِالْهَجَاءِ أَمَكْنَاهُمْ، وَيُرْتَبِطُ هَذَا الْهَجَاءُ بِالشَّكْوَى
مِنْ انْعَدَامِ السُّكُنِ وَالْطَّمَانِيَّةِ، وَالتَّذَمُّرِ مِنْ الْفَقْرِ وَالْحَرْمَانِ، فَقَدْ ذَمَّ كَمَالَ الدِّينِ بْنِ
الْأَعْمَى دَارِ سُكَنَاهُ فِي قَصِيْدَةِ أُولَئِكَاهُ^(٦٦):

دَارَ سُكِنَتْ بِهَا أَقْلَى صَفَاتِهَا
أَنْ تَكْثُرَ الْحَسَرَاتِ مِنْ حَسَرَاتِهَا

وَقَدْ أَطَلَ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ الْحَشَرَاتِ الَّتِي تَسْتَوْطِنُ هَذِهِ الدَّارَ الَّتِي تَنْزَحُ
عَنْهَا الْخَيْرُ وَتَبَاعِدُ، وَدَنَا إِلَيْهَا الشَّرُّ مِنْ جُمِيعِ جَهَانِهَا، وَعَبَرَ عَنْ آلَامِهِ وَمَعَانِيَهُ
الشَّدِيدَةِ مِنْ لَدْغِ الْحَشَرَاتِ، وَأَصْوَاتِهَا الْمَزْعَجَةِ، وَالرَّوَاحِ الْكَرِيَّةِ الَّتِي تَصْدُرُ
عَنْهَا يَقُولُ:

كم أعدم الأفغان طيب سباتها
غنت لها رقصت على نغماتها
من الشمس، ما طربى سوى غناتها
مع ليلها، ليست على عاداتها
عنه العناق الجرز في حملاتها
في أرضها، وعلت على جنباتها

من بعض ما فيها البعض، عدمته
وتبيّت تسعدها براغيث متى
وبها ذباب كالضباب يسد عيـ
وبها خفاقيش تطير نهارها
وبها من الجرذان ما قد قصرت
وبها خناق كالطنافس أفرشت

ويمضي الشاعر في قصيّته على هذا النحو من تصوير الحشرات
والزواحف التي تقيم في داره، فيذكر العقارب التي ترتع في ساحتها، والبوم التي
تعكّف في جنباتها، وبنات وردان التي يفوت العين كنه ذواتها، والتمل
السليماني التي تحطم جلد ويعاني من سطواتها، وغيرها... ويصف خلال ذلك
قدم هذه الدار التي استوطنتها الجن، وتتصدّع جدرانها، وتهدم سقفها، فيقول:

دم أمّنا حواء في عرفاتها
ورأيت مسطوراً على عباتها
تلقووا بأيديكم إلى هلكاتها

قد رمت من قبل أن يلقى لاـ
شاهدت مكتوباً على أرجائها
لا تقربوا منها وخافوهـا ولاـ

ويخلص الشاعر من هذا الوصف إلى الحديث عن آلامه ومعاناته من
الإقامة "مفرداً" في هذه الدار التي وصفها بأنها "جهنم الدنيا":

قا للصبح تسخ من عبراتها
يا رازقاً للوحش في فلواتها
آخر اي هب لي الخلا في جناتها

كم بت فيها مفرداً والعين شـوـ
وأقول يا رب السموات العليـ
أسكنتني بـجـهـنـمـ الـذـيـاـ فـقـيـ

والقصيدة بعد هذا كلّه تشفّ عن تضجر الشاعر من حياته، وافتقاده للملاذ

الذى يطمئن إليه، والصديق الذى يأنس به، وقد تأثرت فى القصيدة بعض الصور التى ت Shi بذلك، فقد قرن الشاعر، مثلاً، لدغ العقارب بإساءة الأقارب والأصدقاء إليه، داعياً الله أن يحميه من ذلك:

وبها عقارب كالآقارب رَتَعَا
فيما حمان الله لدغ حماتها

وحيث تحدث الشاعر عن الأفاعي التي أقامت في الدار استعار صفات لا تكون إلا في بشر:

كيف السبيل إلى النجاة ولا نجا
السم في نفاثتها، والمكر في

بل إن المبالغة في التصوير قد تدل على أن الشاعر كان يرمي إلى أبعد من المدلول الحرفي للصورة التي يرسمها للحشرة، كما في قوله يصف (الجراحات) التي يسببها له (القراد):

وبها قراد لا اندرال لجرحها
أبداً تمتص دماءنا فكأنها

وعندما أنهى الشاعر قصيده سأله - تعالى - أن يجمع شمله بمن يهواء، ويجد السكينة في جواره، ويؤنس وحدته:

واجمع بمن أهواء شملي عاجلاً
يا جامع الأرواح بعد شتايتها

وكثير في الشعر الشامي زمان الحروب الصليبية هجاء الحمامات، ولعل هذا يعود إلى سعة انتشارها، وافتقاد قسم منها للنظافة وشروط السلامة العامة.

فقد دخل كمال الدين بن الأعمى نفسه حماماً ضيقاً، شديد الحر، ليس فيه ماء بارد، فقال يذمه، ويصف من يدخله، مصورةً شدة حرارته، وإبطال نوافيه، وضيق بابه الذي يشبه طاقة سجن، وفظاظة القائم علىه، وسوء معاملته للناس^(٦٧):

قد أناخ العذاب فيه وخَمْ
كُلَّ عِبَ من عِبَه يتعلَّمْ
شَهَدَ اللَّهُ مَنْ يَجْزِي يَنْدِمْ
رِ، بَلِي مَا لَكَ أَرْقَ وَأَرْحَمْ
قَالَ لِي أَخْسَأْ فِيهِ وَلَا تَكَلَّمْ
رَبَّنَا اصْرَفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمْ

إِنَّ حَمَانَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ
مَظْلَمُ الْأَرْضِ وَالسَّمَا وَالنَّوَاحِي
حَرَجَ بَابَه كَطَاقةَ سَجَنْ
وَلَهُ مَالِكٌ غَدَا خَازِنَ النَّا
كَلَّمَا قَلْتَ قَدْ أَطْلَتْ عَذَابِي
قَلْتَ لَمَّا رَأَيْتَه يَنْظَلِي:

وقد زار جوبان القواس حماماً، مخدوعاً بظاهره وما عليه من نقوش وتصاوير، فما أن دخله حتى أخذت الروائح الكريهة تتتصاعد منه، واكتفت الظلم حجراته، وأخذ يسير فيه متلمساً طريقه كالأعمى:^(٦٨)

فَغَرَّتِي النَّقْشُ وَالْحَصَبَرُ
كَأَنَّمَا تَبَثَّشَ الْقَبُورُ
فِيهَا كَمَا يَنْقُلُ الضَّرِيرُ
قَلَّا: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرُ؟!

جَنْتَ أَرِيدُ الْحَمَامَ يَوْمَا
حَتَّى إِذَا جَزَتْ بَلْتَ رِيحَانَا
أَنْقَلَ خَوْفَ الْوَقْوَعِ رَجَانِي
وَكَلَّمَا جَاءَ لَهَا زَبُون

ويحصي الأسرادي مجموعة من العيوب والمساوئ التي عاينها في أحد الحمامات التي دخلها، وهي عيوب تصور عدم اهتمام القائمين على الحمام بنظافته والعناية به، وذلك إذ يقول:^(٦٩)

يَظْلَلُ لَهَا كُلَّ طَلْقٍ عَبُوسًا

رَأَيْتَ لَهُمَا كُمْ سَيْنَةَ

وماء يذيب الكلى والنفوسا
وأرض تمانع عنها الجلوسا
ّوعشواه تنح^(٧٠) روحًا خسيسا

هواه تجمد منه الرؤوس
ووقف يدر كفيض الغمام
وطين تغمر منه الطوق

ثانياً: النقد الاجتماعي

لم يقف الشعراء الشاميون زمن الحروب الصليبية عند حدود المهجاء الشخصي، وإنما تعدوه إلى نقد بعض مظاهر الفساد الاجتماعي، والتبرير بها، وتصوير معاناة الناس منها، ودعوة أولى الأمر إلى إزالتها والقضاء عليها. وهم في ذلك كلّه كانوا يتمثلون مشاعر العامة، ويصدرون عنها. وقد تعددت مجالات النقد الاجتماعي آنذاك، فشملت الحكم والإدارة، والقضاء، وظاهرة الكسب غير المشروع، والفقهاء، والمتصوفة، وسيدة المساجد، وغير ذلك.

وقد كثر الشعر الذي انتقد أجهزة الحكم والإدارة، وكان هذا النقد يوجه إلى الحكم مباشرة، بحيث يبين الشعراء فيه مواضع الخلل والفساد، ويوجّهون الأنظار إليها دون مواربة. فعندما تفاقم ظلم السامرِي وزیر الملك الصالح إسماعيل، أرسل الفقيه شمس الدين المقدسي إلى الملك الصالح قصيدة اصطناع فيها أسلوب الوعظ والنصح، شاكياً إليه فساد حاشيته وسوء صنيعهم، وسمّاه له واحداً واحداً، آخذًا عليه اعتماده على مثل هؤلاء المفسدين، ولا سيما على ثعلب وفضيل المنجمين اللذين أكثر الملك الصالح من استشارتهما. يقول^(٧١):

بدأ، وفيها دمي أخشاه من سفا
يخاف كفرانها إن كفَ أو تركا
على رعيته من ظلمه شبكا
مستغرباً من بوادي أمره ضحكا
قاضي القضاة ووالى حربه ابن بكا

يا مالاكم لم أجد لي من نصيحته
اسمع نصيحته من أوليته نعما
والله لا امتد ملك مذ مالكه
ترى الحسود به مستبشرًا فرحاً
وزيره ابن غزال والرقيع له

أهل المشورة فيما ضاق أو ضنك
والشرع قد مات والإسلام قد هلك
 وإنما يرقبون النَّجْمَ والفَلَكَ
أو كان شرًّا وأمرًا سَيِّئًا فلَا

وتعلّبَ وفضيلٌ من هما، وهما
جماعة بهم الآفات قد نُشرت
ما راقبوا الله في سرّ وفي علن
إن كان خيراً ورزقاً واسعاً فلهم

وكتب سيف الدين السامرِيَّ إلى طوغان حاكم البيرة، وأسند مر حاكم
طرابلس أبياتاً استذكر فيها خصوصيَّة الأستادارهـما العلم سنجر ونائب البرـ
الشجاع هـمام، مصوَّراً سيطرة هـذين الرـجـلين على شؤون الحكم، واهتمامـهما
بشـؤونـهماـ الخاصةـ، واستخفاـتمـهماـ بالرـعـيـةـ، واستـحلـلـهماـ دماءـهماـ وأموـالـهماـ.

(٧١)

فيها سوى الأوزار والآثامِ
تجـبـىـ منافعـهاـ إـلـىـ هـمـامـ
ماضـيـ العـزـائمـ دائـمـ الإـقـدامـ
لـلـمـاـ يـجـودـ بـهـ مـنـ الإنـعامـ
يرـبـانـ هـذـاـ النـاسـ كـالـأـنـعـامـ
مـنـ مـالـهـ وـدـائـمـهـ بـحـرامـ
وـالـقطـعـ وـالـتـكـيسـ لـلـأـعـلامـ

اسم الـولـاـيـةـ لـلـأـمـيرـ وـمـالـهـ
وجـبـاـيـةـ القـتـلـىـ وـكـلـ مـصـيـبةـ
سيـفـانـ قـدـ وـلـيـاـ وـكـلـ مـنـهـماـ
وـبـيـابـ كـلـ مـنـهـماـ عـلـمـ يـنـكـ
مـاـ النـاسـ عـنـهـماـ بـنـاسـ لـاـ وـلـ
وـقـدـ اـسـتـحـلـاـ مـنـهـمـ مـالـمـ يـزـلـ
فـمـتـىـ أـرـىـ الدـنـيـاـ بـغـيـرـ سـنـاجـ

واستهجن شعراء آخرون سياسة بعض الحكام التي تختلف المعهود في
سياسة الدولة الإسلامية، فعندما استوزر الملك الأَمْجَد بهرام شاه مذهب الدين
السامري، قال فتيان الشاغوري أبياتاً استغرب فيها أن يقوى نفوذ اليهود في دولة
الملك الأَمْجَد، وأنكر عليه استيزاره للسامري الذي أكثر من استخدام أقاربه من
السمرة، فـ“كثير منهم العسف وأكل الأموال والفساد”^(٧٣)، ودعاه إلى الفتاك بهم،
والقضاء عليهم: (٧٤)

له ملوك الزَّمَانِ بِالْفَضْلِ
ما اعتقد السامرِيَ فِي العَجْلِ
قبل، فَأَيْنَ الرَّشِيدُ لِلتَّقْلِ؟!

الْمَلِكُ الْأَمْجَدُ الَّذِي شَهَدَ
أَصْبَحَ فِي السَّامِرِيِّ مُعْتَدِداً
وَالسَّامِرِيُّونَ كَالْبَرَامِكَ مِنْ

ونزع بعض الشعراء في تعريضهم بالحكَم إلى تشويه صورة المهجو
ونعنه بكل قبيح منفر، من ذلك قول محمد بن سوار بن إسرائيل يصف أحد
المتولين الجائزين، جاعلاً إياه شوماً على الرعية، ومصوراً المفارقة الأخلاقية
في سلوكه، وانعكاس الأحوال في عهده: (٧٥)

وَقَامَ الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ وَالْجُودُ
بِيَاطِنِ الْأَرْضِ مِنْتَ غَيْرِ مَحْسُودٍ
مِنْ خَضْرَةِ الْعِيشِ فِي أَيَّامِكَ السُّودِ

يَا فَاضِحَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِسِيرَتِهِ
قَدْ ضَاقَ ظَاهِرُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْكَ فَمَا
خَفَّضَ عَلَيْكَ فَانِ النَّاسُ قَدْ أَيْسَوْا

وَإِعْنَا فِي الانتِقاْصِ مِنْ قَدْرِ الْحَكَمِ، اسْتَعْمَلَ الشُّعُرَاءُ صُورَ الْحِيَوانَاتِ
وَالْحَشَرَاتِ وَقَارَنُوا الْمَهْجُوِّينَ بِهَا، كَمَا فِي قَوْلِ الْبَدِيعِ الدَّمْشِقِيِّ يَشْبِهُ أَحَدَ الْحَكَمِ
بِالْبَهِيمَةِ (٧٦):

لِيْسَ تَسْأَوِي الْعَفَا
طَيِّبَةً إِلَّا الْقَفَا

حَاكِمُكَمْ بِهِيمَةً
وَلِيْسَ فِيهِ مَضْفَةً

ويعرض العلم الشاتاني بالوزير صالح بن العجمي ويصفه بأنه "تيّس"
ويستطرد إلى ذكر العماد الأصفهاني (٧٧):

قَدْ عَمَّ أَهْلَ الْأَرْضِ مِنْهَا الْفَسَادُ
هَذَقْوَى الْفَضْلِ بِقَصْدِ الْعَمَادِ

وَزَارَةُ التِّيَّسِ أَبْيَ فَاسِدٌ
عَانَدَ عَلْمَيِ جَهَلَهُ مَثْلَمَا

وتعرض بعض الشعراء في نقدم لهم للحكام إلى أخلاقهم وسلوكياتهم، فقد هجا ابن دنيير ابن يعلى وزير الملك الظاهر بحلب في عدة مناسبات، من ذلك قوله يصفه باللؤم والجهل وضعف العزيمة والحمق وسوء الأخلاق^(٧٨):

ما إن سمعتُ ولا رأيتُ ولن أرى
لوماً يمثال لرُؤم عبد الباقي
صعب العربيَّة ضيقُ الأخلاقِ
فلو أنَّ رجليه بخفَّة رأسهِ
لغداً يفوت نواظرُ الأحداثِ

وينتهز ابن دنيير مناسبة حجَّ المعتمد والتي دمشق لينعنه بالرياء، ويتهمنه بأنه حجَّ خوفاً من الملك المعظم عيسى لا خشية من الله. يقول:^(٧٩)

حجَّتْ يا شرَّ خلقَ اللهِ كَلْمَهِ
لما تعرَّيتَ من مالٍ ومن جاهٍ
خوفُ المُعْظَمَ لَا خوفاً مِّنَ اللهِ
وكان حجَّكَ يا مِنْ لَا خلَاقَ لَهُ

وقد أفحش عضرس الحلبي في هجاء أحد رؤساء حلب، فرميَ في شرفه ورجولته، وذلك إذ يقول^(٨٠):

شكَّتْ ابن صقر عرسه وتألمتْ
عدم الجماع وقلة الإنفاقِ
فأجابها بتدليل وتخضيع
والدمع منحدر من الأمانِ
بي مثل ما بك يا حمامَة فاسالي

وكتب ابن الساعاتي إلى بعض الأكابر، وقد ولَّ ولَّا، أبياتاً عنفه فيها على تكبره على الناس، مبيناً له أنَّ هذه الولاية لن تدوم وأنها "كأحلام نائم". يقول^(٨١):

تنيه علينا أن وليت ولاية
وما المال ذا نفع وإن كان سالماً
فما هي إلا مثل طيف مسلمة

رويداً فما شيء لديها بدا ثم
إذا كان عرض المرء ليس بسالمٍ
وما عزّها إلا كاحلام نائم

وقد صاغ شعراء آخرون نقدهم للحكام بأسلوب هزلٍ تتبّدئ فيه روح السخرية بقوّة، ولعل أشهر أولئك الشاعر ابن عيني الذي ثابَر على هجاء الحكام في عصره، وأثر الآياوي إليهم، ولا يكُف عن ذمّهم، حتّى اقتحم بأهاجيه غضبِهم، وإحن صدورهم. ومن يقرأ هذا الهجاء يشعر أنه يعبّر عن تجربة إنسانية عميقَة فيها قدر طاغ من حدة الإحساس وقوّة الشعور. فها هؤلاء ينتقدون الجهاز الإداري لمدينة دمشق، فينهم بدر الدين مودوداً شحنة المدينة، ويضمّ إليه طائفة كبيرة ممن يتعلّمون معه، ويتهمّهم في أمانِهم وكفايتِهم، ويرميّهم في أخلاقِهم وسلوكِهم^(٨١):

إِلَّا الْمُبَارِزُ إِبْرَاهِيمُ نَائِبُهُ
قَدْ أَعْجَزَنِي فَمَا تَحصَى مَعَالِيَهُ
يَدِي عَلَى لَوْمَهِ مِمَّا أَعْتَابَهُ
سَكَلْبُ مُشْرِفَهُ وَالْعَلْقُ كَاتِبَهُ
سُوانِ الْأَمْرِيرِ وَجَلِيلَهُ وَحَاسِبَهُ
جَبَسُ الْعَقِيقَةِ عَنْ عَلَقٍ يَدَاعِبُهُ

ما عند مودود من قلت مثالية
ومن سواه فكلب لا خلق له
المستشار عفيف الدين قد نمي
وابن النفيضة والرئيس الشريف وجع
والآلاف الكلب رئيس الأمر صاحب بي
والأخمق الجاهل الكردي يسأل في

ويهجو ابن عنين أمير البيره بدر الدين حسناً، فـيـتـهـكـمـ بـهـ، ويـصـوـرـهـ تصـوـيرـاـ مـضـحـكاـ، وـذـلـكـ إـذـ يـقـولـ (٨٣):

يُنطَح فِي الْأَفْقَ الفَاكِ
مَا غَيَّر دَقْ بِالْحَنَكِ

لنا أمير قرنها

فِي أَيْمَانِ جَيْشِ سَلاَكِ
كَانَهُ فِي قَلْعَةِ الْبَرِّ

وَعِنْدَمَا نُفِيَ ابْنُ عَنْيَنَ مِنْ دَمْشَقَ، اسْتَكَرَ ذَلِكُ، وَهَفَّ فِي وَجْهِ مَقْدَمِي
الْوَلَةِ قَانِلًا^(٨٤):

عَنْ الْذَّرَاعِينَ فِي غَرْمَوْلَهِ كَبِيرٌ
لَكَنَّنِي أَبِي ضِنْ فِي أَيْدِيهِ فَصَرِّ

لَوْ كُنْتُ أَسْوَدَ مِثْلَ الْفَيْلِ هَامَتْهُ
كَانَتْ حَوَاجَنَّ مِثْلِي عَنْكُمْ قَضَيْتُ

وَبَعْدَ أَنْ لَهُ الْمَلَكُ الْعَادِلُ بِالْعُودَةِ إِلَى دَمْشَقَ، عَادَ إِلَيْهَا قَوْيَ النَّفْسِ،
وَهُوَ يَنشِدُ^(٨٥):

وَرَعَتِ الْوَضِيعُ بِهِجُوِ الرَّقِيعِ
رَجَعَتِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ الْجَمِيعِ

هَجُوتُ الْأَكَابِرَ فِي جَلَقِ
وَأَخْرَجْتُ مِنْهَا لَكَنَّنِي

وَتَنَاهُوا الشُّعْرَاءُ فِي سِيَاقِ نَقْدِهِمْ لِأَجْهَزَةِ الْحُكْمِ وَالْإِدَارَةِ ظَاهِرَةِ الْكَسْبِ
غَيْرِ الْمُشْرُوعِ وَالْخَلَاصِ أَمْوَالِ الدُّولَةِ وَالثَّرَاءِ عَلَى حِسَابِ الشَّعْبِ. فَقَدْ اسْتَهَلَ
ابْنُ مُنْيَرَ الطَّرَابلِسِيَّ قَصِيدَتَهُ الَّتِي قَالَهَا فِي هَجَاءِ الْقَاضِيِّ الْأَعْزَزِ أَبِيِّ الْفَتْحِ
مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّقِيمِيِّ، قَاضِيِّ صُورَ، بِأَبِيَاتٍ صَوَرَ نَفْسَهُ فِيهَا يَقْفَ عَنْدَ بَائِعٍ
خَبِيزٍ يَسْتَدِينُ مِنْهُ، وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكُ، يَمْرُّ مَوْكِبُ الْقَاضِيِّ، فَيَشَبَّثُ ابْنُ مُنْيَرٍ بِهِ،
فَيَأْخُذُهُ الْقَاضِيُّ مَعَهُ إِلَى بَيْتِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ ابْنَ مُنْيَرٍ فِي وَصْفِ هَذَا الْبَيْتِ وَمَا فِيهِ مِنْ
بَذْخٍ وَنَعِيمٍ، وَكَانَهُ يَوْجِهُ الْأَنْظَارَ إِلَى هَذَا الْقَاضِيِّ وَأَمْثَالِهِ مَمَّنْ أَثْرَوْا عَلَى
حِسَابِ الشَّعْبِ، وَغَرَقُوا فِي النَّعِيمِ، بَيْنَمَا لَا تَجِدُ الْعَامَةَ (رَغِيفَ الْخَبِيزِ) إِلَّا
بِنَيَّا^(٨٦):

كَنْتُ يَوْمًا فِي بَابِ جَيْرَوْنِ أَنْلَوْ
أَيْةَ الَّذِينِ عَنْدَ بَيَاعِ خَبِيزٍ

يَقْرَعُ النَّاسَ بَيْنَ دَفْعٍ وَلَهْزٍ
مَكْثُرٌ مِنْ مَلَوَاتٍ وَطَرَزٍ
لَقَبْوَهُ فِي بَيْتِهِ بِالْأَعْزَى
قَلَتْ: يَا نَفْسٍ قَدْ ظَفَرْتَ بِكَنْزٍ
—رَسْ حَتَّى اسْتَبَانَ جَمْعِيٌّ وَفَرْزِيٌّ

فَإِذَا وَقَعَ بَغْلَةً وَغَلَامٌ
وَعَلَيْهَا فَتَى ضَنِيلُ الْمَحَيَا
قَلَتْ: مَنْ ذَاهِبٌ؟ فَقَلِيلٌ: قَاضٌ جَلِيلٌ
وَهُوَ يَأْوِي إِلَى ذَكَاءٍ وَفَضْلٍ
فَتَدَانِيَتْ ثُمَّ سَلَّمَتْ فَاسْتَهَى

نَ فَأَغْرَقْتَ فِي دَمْقَسٍ وَخَزَّ
وَرْقِيقٍ مِنْ تَسْتَرِيٍّ وَقَرَّ
—وَمِنْ حَامِضِ الْمَذَاقِ وَمَرَّ

فَدَخَلَنَا الدَّهْلِيَّةُ فَابْتَدَرَ الْإِذْ
بَيْنَ دَسَّتْ وَسَلَّةٍ وَدَوَّاهُ
وَدُعَا بِالطَّعَامِ فَاخْتَرَتْ مِنْ حَلَّ

وَيَمْضِي أَبْنَى مُنْيَرٍ فِي قَصِيدَتِهِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ مِنْ وَصْفِ مَا رَأَاهُ فِي بَيْتِ
هَذَا الْقَاضِي مِنْ مَظَاهِرِ الْبَذْخِ وَالْتَّرْفِ. وَحِينَ يَأْسِي فَتَيَانُ الشَّاعُورِيِّ لِمَوْجَاتِ
الْغَلَاءِ الَّتِي تَوَالَتْ عَلَى بَلَادِ الشَّامِ، يَلْقَتُ إِلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ احْتَجَنُوا الْأَمْوَالَ،
وَسَكَبُوهَا فِي دُورِهِمْ، بَيْنَمَا تَعْانِي الرُّعَيَاةُ مِنَ الْجُوعِ وَالضَّنكِ. يَقُولُ^(٨٧):

عَنْ طَرْفِ رَخْصِ بِالْغَلَاءِ مَقْتَدٍ
إِلَّا كَفْلَوْهُ سَهْمَ رَامِ جَيْدٍ

هُمْ أَطْلَقُوا طَرْفَ الْغَلَاءِ فَجَاءُنَا
مَا بَيْنَ جَدْبِ نَحْنٍ فِيهِ وَرَخْصِهِمْ

وَقَالَ أَبُو شَامَةَ الْمَقْدَسِيُّ قَصِيدةً طَوِيلَةً صَوَرَ فِيهَا فَسَادَ الْقَانِمِينَ عَلَى أَمْوَالِ
الْوَقْفِ فِي دَمْشَقَ لِعَصْرِهِ، وَوَجَدَ عَلَيْهِمْ مُوجَدَةً شَدِيدَةً، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَصَرَّفُونَ فِي
هَذِهِ الْأَمْوَالِ عَلَى غَيْرِ هُدَىٰ، وَيَنْفَعُونَهَا حَسْبَ أَهْوَانِهِمْ وَرَغْبَاتِهِمْ، وَيَحْرِمُونَ مِنْهَا
مُسْتَحْقِيَّهَا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، وَمَا قَالَهُ فِيهَا^(٨٨):

طَالِبُ الْعِلْمِ، إِنَّ لِلْعِلْمِ ذَكْرًا

اتَّخَذَ حِرْفَةً تَعِيشُ بِهَا يَا

فَ، فِيمَضِي الزَّمَانُ ذَلِيلًا وَعَسْرًا
— رَمَنَ الْعِلْمَ مِبْرًا
— بَرَحَ فِي خَدْمَةِ مَدْحَوْبٍ إِطْرَا^{٨٩}
— مِنْ وَلَاهِ الْوَقْوفِ هَجَرَ وَهَجَرَا
— لَا تُهْنِهِ بِالْأَكْتَالِ عَلَى الْوَقْفِ
— إِنَّمَا تَحْصُلُ الْوَقْفَ لِشَرِيكِ
— أَوْ لِمَنْ يَلْزَمُ الْأَكَابِرَ لَا يَيْهَى
— وَالضَّعِيفُ الْمَشْغُولُ بِالْعِلْمِ يَلْقَى

وعمل سيف الدين السامرِيَّ أرجوزة سماها السامرية، أولها^(٩٠):

يَا سَاقِ الْعِيسَى إِلَى الشَّامِ وَقَاطَعَ الْوَهَادِ وَالْأَكَامِ

"حَطَّ فِيهَا عَلَى الْكِتَابِ، وَأَغْرَى النَّاصِرَ بِمَصَادِرِهِمْ"، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْأَجْوَزَةَ
لم تصل إلينا.

ييد أنَّ ابن عينين كان أكثر الشُّعراً جرأةً في الحديث عن بعض العَمَالِ
والمُسْتَخدِمِينَ الَّذِينَ أَطْلَقُوا أَيْدِيهِمْ فِي أَموَالِ الرَّعْيَةِ وَلَا سِيَّما فِي دُولَةِ الْمُلْكِ
الْمُعْظَمِ عِيسَى، فعندما أمرَ هَذَا الْمُلْكَ بِأَنْ تَسْلُسلَ أَبْوَابُ الْجَامِعِ الْأَمْوَيِّ بِدِمْشَقِ،
الْتَّمَسُ ابْنُ عِينِينَ تَعْلِيَّاً لِذَلِكَ، لِيَطْعُنَ بِهِ فِي أَمَانَةِ سَدْنَةِ الْمَسْجِدِ الَّذِينَ نَهَبُوا
أَمْوَالَهُ. يَقُولُ^(٩١):

مَأْكُولَةٌ مَا بَيْنَ نَوَابِهِ لَمَّا رَأَى الْجَامِعَ أَمْوَالَهُ
مَسْلَسْلاً مِنْ كُلِّ أَبْوَابِهِ جُنَاحِنَ فِيمَنْ خَوْفُ عَلَيْهِ غَدَا

وَلَمَّا أَمَرَ الْمُلْكُ الْمُعْظَمُ عِيسَى بِنَزْحِ مَاءِ خَنْدَقِ الْقَلْعَةِ بِدِمْشَقِ، وَنَالَ النَّاسُ
مِنْ ذَلِكَ جَهْدَ عَظِيمٍ، انتَهَى ابْنُ عِينِينَ ذَلِكَ لِيَلْمِزَ أَحَدَ الْقَاضِيَّةِ وَيَطْعُنَ فِي أَمَانَتِهِ،
فَاقْتَرَحَ عَلَى الْمُلْكِ الْمُعْظَمِ أَنْ يَضْعُفَ هَذَا الْقَاضِيَّ بِيَدِهِ فِي الْمَاءِ فَيُنْزَحَهُ، وَلَا يَبْقَى
مِنْهُ شَيْئًا^(٩٢):

أُرِحْ مِنْ نَزْحِ مَاءِ الْبَرْجِ يَوْمَاً
مِنْ الْقَاضِيِّ بِوَضْعِ يَدِيهِ فِيهِ
فَقَدْ أَفْضَى إِلَى تَعْبٍ وَعَيْنٍ
وَقَدْ أَضْحَى كِرَاسِ الدَّرْلِعِيَّ

ويقترب ابن عين من الروح الشعبية اقترباً شيداً في ألفاظه وأساليبه، حين يهجو صاحب خزانة الملك المعظم عيسى، ويجرده من كل فضيلة، ولا سيما من الأمانة على، أموال الخزانة^(١٢):

وكان كثير من القضاة في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية عرضة لهجاء الشعراء ونقدتهم، مع أنَّ عدداً منهم كان مشهوداً له بالعدل والنزاهة، فقد انتقد ابن دينير القاضي حجة الدين الشهقروري، وشهر به، ونعته بالجهل والظلم والفسق والفجور، وذلك في قوله^(١٣):

قاض غدا في الويل والثبور
من قبح ما يأتي من الأمور
في بخله ولؤمه المشهور
والظلم والجحود وقول السذور
 وجهه المركب الموفور
مع ترف بالفسق والفحور

وتذكر المصادر أن القاضي شرف الدين بن الزكيَّ كان تزهداً... عفيفاً^(٩٤)، إلا أنه لم يسلم من لسان ابن عينين الذي كتب إلى الملك المعظم عيسى أبياتاً يتهم فيها هذا القاضي بالميل إلى النساء، ويدعوه إلى اتخاذ الإجراءات بحقه^(٩٥):

أقولها لو بلغت ما عسى
قاضيك إن لم تقصره فاختصه
فالطبل لا يضرب تحت الكسي
أولاً فلا يحكم بين النساء

وعندما لا يجد ابن عينين ما يطعن به في نزاهة القاضي ابن أبي عصرون يستحيل نقه له ضرباً من العبرة، كما يقول هو نفسه^(٩٦):

وما هجوت ابن عصرون أروم به
لكن أجرَّب فيه خاطري عثاً
فضلاً، ولا نلت من فخر ومن شرفٍ
كما تجرب بيض الهند في الجيف

وقد توالى على منصب قاضي القضاة في دمشق في النصف الثاني من القرن السابع الهجري عدد من القضاة الذين لم يتحرروا العدل في أحکامهم، ومن هؤلاء، أحمد بن هبة الله الملقب بالصدر بن سنن الدولة، الذي "كان مراعياً لأرباب الجهات كثيراً"^(٩٧)، فاستشهد النجيب بن الشقشقة "لأجل جاءه كان النجيب متصلأً به، وميزه بأن جعله عaculaً للأنكحة بباب جامع دمشق، فعجب الناس منه، وأنكروا ما فعله"^(٩٨)، لأن النجيب "كان مشهوراً بالكذب ورقة الدين وغير ذلك". وقد قال أحد الشعراء الشاميين ثلاثة أبيات أنكر فيها بشدة على القاضي صدر الدين أن يولي رجلاً موصوفاً بانحلال العقيدة والجهل بأحكام الشرع عقد الأنكحة للMuslimين والأبيات هي^(٩٩):

جلس الشقشقة الشقئ ليشهدنا
بأبيكما ماذا عدا ممَا بدا؟!
هل زلزل الزلزال أم قد أخرج الد
جال أم عدم الرجال ذروه الهدى؟!

وعندما عُذِّل القاضي الصدر بن سني الدولة جمال الدين بن اليزدي، وخلع عليه خلعة بطليسان، وأحضره مجلسه مع العدول، وأشهد عليه، قال الشاعر سيف الدين السامرِيَّ قصيدة زفَّ فيها إلى الناس، بأسلوب تهكميٍّ، نباً تعديل ابن اليزديَّ وجلوسه للنظر في أمورهم، عاداً ذلك فرصة سانحة للمجاهرة بالمعاصي والانغمس في اللهو والمجون، لأنَّ ابن اليزديَّ نفسه يفعل ذلك.

واصطفاف العيدان عند الأذان
— وترك الصلاة بالقرآن
م يطوف الحانات بالطليسان
لائق واللانطين بالمردان
ويكون الصديق لى التمساني
ضي لأصحابه بنيل الأمانى
وافسقا والحدوا إذن بأمان
فق فلا حاجة إلى كتمان

وقد كانت هذه الطريقة في النقد باللغة التأثير، فعندما بلغت الأبيات القاضي صدر الدين عز عليه، وأعرض عن اليزدي، ومنعه من الشهادة^(١٠٢).

وذكر أبو شامة المقدسي في كتابه (الذيل على الروضتين) أنه تولى القضاء في زمانه ثلاثة مشهورون بالفسق والظلم، هم النجم بن الصدر سني الدولة، وكان "حاكمًا جائزًا فاجراً ظالماً متعدياً"^(١٠٣)، وابن الجمال المصري الذي "لم تكن طريقة مستقيمة"^(١٠٤)، والرقيع الجيلي الذي " فعل بالناس الأفاعيل"^(١٠٥).

وقد قال أبو شامة ثلاثة أبيات حصر فيها هؤلاء القضاة ونوابهم، مصوّراً فظاظتهم، واستشراء فسادهم، وابتلاء الناس بهم^(١٠٦):

من القضاة بجهال وأوقاح
والأربالي وخياط وفللاح
ضعاف، أحزانهم أضعاف أفراج

دمشق في عصرنا مع فضلها بليت
بأعجمين ومصري وصانغهم
هم ضعف سنة والنواب كلهم

ولما كثُر تعدى النجم بن الصدر سني الدولة عزل، وأرسل إلى مصر. وقد صور أبو شامة المقدسي ردود الفعل الشعبية بعد أن سمع الناس بعزل القاضي ومغادرته دمشق، فقال: *يَمْ سافرُ الْحَاكِمِ الْمَعْزُولُ إِلَى مِصْرَ كَثِيرٌ... وَالدَّاعِإِلَيْهِ كَثِيرٌ، وَالتَّظَلَّمُ مِنْهُ شَانِعٌ، وَالدَّاعُوإِلَيْهِ كَثِيرٌ*^(١٠٧). وقد قال العmad داود بن الحموي في ذلك قصيدة تمثل فيها مشاعر الدمشقيين الغاضبة إزاء هذا القاضي المخلوع الذي فتق الشرع، واحتال على الخلق، وبدد الأموال، مصوّراً شماتة الناس به، وكراهيتهم له، وتنتنهم في ذمه، وممّا ورد فيها^(١٠٨):

وراح في لحج الإبار قد غرقا
وعرقته صروف الدهر ما اختلت
بأنه لا يرى بعد النعيم شقا
وفتق الشرع والتقوى وما رتقا

نجم أتاه ضياء الشمس فاحترقا
ناخت عليه الليالي وهي شامنة
وحذته الأماني وهي كاذبة
وجاد بالمال كي تبقى رئاسته

لكنهم قد غدوا في ذمه فرقا
وفرقة حلفت بالله قد فسقا
بأنه من رباط الدين قد مرقا

وألقيت في قلوب الناس بغضنه
فرقة بقبح الظلم تذكره
وفرقة سلبته ثوب عصمته

وَزَادَ أَبُو شَامَةَ مِنْ قَوْلِهِ:

وفرقہ وصفہ بالخلاعة منع خبیث وکبر وکلّ منهم صندقا

وفي سنة ٦٦٣ هـ اجتمع على ولاية القضاء بدمشق، وفي زمان واحد، أربعة قضاة، وجعل كل واحد منهم قاضي القضاة لأحد المذاهب الأربع، وقد استهجن أبو شامة المقدسي ذلك قائلاً: "وهذا شيء ما أظنه جرى في زمان سابق"^(١٠). وكان لقب ثلاثة من القضاة شمس الدين، فاتخذ الشعراء من ذلك مناسبة للتندر والسخرية، كما في قول أحد الظرفاء^(١١):

أهـل دـمـشـق اـسـتـرـابـوا
وـهـم جـمـيـع شـمـسـوسـ

وقول آخر:

أظلم الشام وقد ولـيـ الحـكـمـ شـمـوسـ
ليـسـ فـيـهـمـ مـنـ يـبـتـ الحـكـمـ عـلـمـاـ أـوـ يـسـوسـ

وقد اتسعت دائرة النقد الاجتماعي في الشعر الشاميَّ زمان الحروب الصليبية، فشملت الفقهاء والمنصوفة والوعاظ وأئمة المساجد. فقد استرعى انتباه ابن عينين ما كان يدور في ردهات المسجد الأمويَّ بدمشق من جدل بين بعض الفقهاء، وما صاحب ذلك من انفعالات وارتفاع أصوات، فصورَ ذلك تصويراً ساخراً، وذلك أذ يقول (١١):

البلغ والجاموس في جديدهما قد أصبحا عجباً لكلِّ مناظر

هذا بقرينه هذا بالحافر
للقى جدال المرتضى بن عساكر
كالعقل في عبداللطيف الناظير
إلا رقاعة مدلويته الشاعر

برزا عشيئه يومنما لتجادل
ما أتقى غير الصياح كائنا
لفظ طويل تحت معنى قاصر
اثنان مالهما وحقك ثالث

وقد سخر شهاب الدين بن غانم، وهو متصوف، من الفقهاء الذين يعتقدون
في المساجد في رمضان، فيسبّهم بالشياطين التي تغلّ في ذلك الشهر^(١١١):

بل لحكم قضى به رمضان
سين، ولا شك أنه شيطان

ما اعتكاف القبيه أخذذا بأجر
هو شهر تغل في الشياطين

أما الشاعر حوبان القواس فقد سخر من حالات الوجود التي يزعم
المتصوفة أنهم يمرّون بها، فقال على طريقتهم متوكلاً بهم^(١١٢):

ففؤادي من فراقى في عننا
أنا من وجدى مني في فنا
قللت والله ولا أدرى أنا

مت في عشقى، ومعشوقي أنا
غبت عنى فمتنى أجمعنى
أيها السامع تدري ما الذي

وكان في ظاهر دمشق خان قد جمع أنواع أسباب الملاذ، ويجري فيه من
الفسق والفحور ما لا يحده ولا يوصف، فهدمه الملك الأشرف، وعمره جاماً،
وسماه الناس "جامع التوبة". وقد ولّ الأشرف الجمال السبتي إماماً للجامع،
وكان يلعب في صباح "بشيء من الملاهي"، وهي التي تسمى الجغانة، فلما توفي
تولى موضعه العماد الواسطي "وكان يتهم باستعمال الشراب"^(١١٤)، وكان صاحب
دمشق آنذاك الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، فكتب إليه ابن الزويتينة الشاعر
أبياتاً، على لسان المسجد، يذم فيها أخلاق الإمام، ويشرح له ما أصابه من ضر،

حاتاً، بأسلوب ساخر، على رده إلى حالته الأولى (١١٥):

قَ لَدِينَا وَأَبَانَة
يَ مِنْكَ أَمَانَة
لَحْ أَعْلَى اللَّهُ شَانَة
حَمْدُ النَّاسِ زَمَانَة
رَ وَبَرْؤُسُ وَإِهَانَة
يَعْشَقُ الْخَمَرَ دِيَانَة
لَ يَغْنِي بِجَغَانَة
ا، وَمَا نَبْرَحْ حَانَة
لَ، وَاسْ تَبْقَ ضَمَانَة

يَا ملِكَ الْأَوْضَاحِ
جَامِعَ التَّوْبَةِ قَدْ قَدَنَ
قَالَ: قُلْ لِلْمَلَكِ الصَّا
يَا عَمَادَ الدِّينِ يَا مَنْ
كَمْ إِلَى كَمْ أَنَا فِي ضَدِّ
لِي خَطِيرٌ بَّوْسَطِي
وَالَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ
فَكَمَا نَحْنُ فَمَا زَلْنَا
رَئِنَّا، لِلَّهِ طَالِبُ الْأَوْ

الدراسة الفنية

اتخذ كثيرون من شعر الماء في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية شكل مقطوعات قصيرة تعبر عن فكرة واحدة بإحكام، بحيث يشعر القارئ عند الانتهاء منها بالاكتفاء. وهذه المقطوعات ليست أجزاء من قصائد ضاع أكثرها، أو اختيارات من قصائد طويلة، وإنما هي مقطوعات في صورتها الأصلية التي قالها الشعراء.

وتتخذ هذه المقطوعات صورتين رئيسيتين، الأولى أن تكون المقطوعة في بيتهن لا يمكن الفصل بينهما، ويعبران عن معنى تام لا يقبل التطوير، كما في قول ابن المسجف العسقلاني يسجل بعض الظواهر التي أنكرها الناس في عصره في دمشق (١١٦):

والصورة الثانية أن تكون المقطوعة في ثلاثة أبيات أو أكثر تتطور حتى تبلغ نهاية مرسومة لا تتجاوزها ل تمام المعنى بها، كما في الأبيات التالية التي كتبها شهاب الدين بن غانم إلى جمال الدين يشكوا له رجلاً يدعى السيف بن المغزيل^(١١٧):

له على العبد ألف مائة
بليت منه بآلف مائة
أغمده فالسيف سيف فاتحة

مولاي قاضي القضاة يامان
إليك أشك وقريرن سوء
شهرته بيننا اعتداء

وقد لا ياتي السياق مكتملاً في المقطوعة، وإنما يترك الشاعر للقارئ إتمامه، كما في قول ابن الساعاتي في هجاء ابن سناء الملك^(١١٨):

أَتَبْثِ بِي غَايَةً يَا سَعِيدَ
وَلَسْتُ أَقُولُ هَجَاءَ يَشِينَ
أَمَّا لَوْ حَضَرْتَ لَأَبْتَ جَنَّكَ
يَكْفِيكَ عَلَمَكَ يَا مَجْدَ أَنَّكَ....

وقول ابن المها في الأبيات التالية التي أنفذها إلى قاضي حلب يشكو فيها ناته وكاتبه^(١١٩):

لَا عَجَبٌ أَنْ خَرَبَ الشَّامَ أَوْ
قَدْ أَصْبَحَ الْمَجْدُ بِهِ حَاكِمًا
مَوْلَايُ، مَحِيَّ الدِّينِ، غَيْرَهُمَا
أَقْوَتَ مَغَانِيهِ وَلَا غَرَزَوْ
وَأَصْبَحَ الْمَنْشِيَ لِهِ صَنْوَ
عَنَّا، فَتَحُوا شَكْرَنَا أَوْ....

وقد تكتفي المقطوعة بالإيماء إلى المعنى دون ذكره، فترى في نفس القارئ أثراً مسترسلأً، كما في قول ابن عين يخاطب الملك المعظم عيسى وقد أرهق الناس بنزح ماء خندق القلعة بدمشق^(١٢٠):

أَرَحَّ مِنْ نَزْحِ مَاءِ الْبَنْزِ يَوْمًا
مِرْ القَاضِي بِوْضُعِ يَدِيهِ فِيهِ
فَقَدْ أَفْضَى إِلَى تَعْبٍ وَعَيْ
وَقَدْ أَضْحَى كَرَأْسِ الدَّوْلَعِيَّ

وتمتاز المقطوعات الهجانية بالإيجاز والتکثيف مما يمنحها حدة لاذعة، كما في قول سيف الدين السامرائي يهجو أهل دمشق^(١٢١):

قَبَحَ اللَّهُ كُلَّ مَنْ بَدْمِشَقَ
فَهُوَ عَلَى شَحَّهُ وَمَا يَنْعَطُّ
مِنْ أَصْبَحَابِنَا سَوْىِ ابْنِ سَعِيدٍ
هُوَ مِنْ الْلَّؤْمِ أَصْلَحَ الْمَوْجُودِ

وستعين بعض المقطوعات بالسخرية القائمة على مفاجأة القارئ بمعنى طريف أو صورة طريفة، كما في قول ابن عينين يتهكم بشرف الدين يعقوب الذي كان يسمع الحديث بجامع دمشق^(١٢٢):

رأت النبي عليه السلام
قال: أيعقوب يروي الحديث

فَمَتَّ إِلَيْهِ وَقَبَّلَهُ
ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا قَاتَهُ

وقد تتخذ المقطوعة شكل دعابة يحرض الشاعر على إيهانها بطريقة فكاهية ترسم على شفتي القارئ إذا ما انتهى من قراءتها، ابتسامة خفيفة، كما في قول شهاب الدين التلعربي في صديق له يدعى سليمان، وقد رمته بغلته وداسته^(١٢٣):

سمعت لابن سليمان وبغلته
قالوا: رمته وداست بالتعال على
لأنها فعلت في حق والدها

أصحوكة، خلتها إحدى قصائدِ
فقاء، قلت: هذا من عواندهِ
ما كان يفعله في حق والدهِ

وتبدو بعض المفاكهات نكتة بسيطة ساذجة، ولكنها هادفة، كما في قول ابن المسجف في رجل يلقب بدر الدين، ويستطرد إلى نفسه^(١٢٤):

قالوا: تلقب بدر الدين مفتخرا
قلت: لا تعجبوا منه، فذا لقب

نجل الجنوبي من قد زين الأمان
وقف على كل نحس، والدليل أنا

ولابن عين مقطوعات كثيرة تشتمل على الفكاهة الحلوة، والنكتة البارعة، وقد أدرك الأقدمون ذلك، فأشاروا إلى أن ابن عينين كان يقصد من بعض هجائه "الذعابة والإحماض، لا الغيبة وثلب الأعراض"^(١٢٥)، كما في الأبيات التالية التي أضيفت عليها التورية لونا هزلياً خفيفاً، وقد قالها في الشريف الكحال الذي أحب

غلاماً ينجز بـ "الجمل" (١٢٦):

وإن شاط غيظاً فلا تحفل
بانَ يزيداً إمام عدل
ي، وأنت تحبُّ الجمل !!

فديتك قل للشريف الشهابِ
تولي الحنابلة القائلين
وتزعم أنك من عترة الوصـ

وقد تكون المقطوعة لدى ابن عنين في صورة حكاية بسيطة تسم بالحركة الصناعية التي تصل إلى نهاية محددة تقف عندها، ويتم المعنى بها، كما في الآيات الآتية التي قالها في بدر الدين مودود شحنة دمشق (١٢٧):

فطافت أطلب دار بدر الدينِ
فيذا يواصل زفراة بائنِ
في قلبه تربى على سجينِ
سعف عرته الریح في شرينِ
رى، فيصرع صرعة المجنونِ
لقتنه عمداً بلا سكينِ
بقرؤن حاجه الزكي ابن القيني

جاء الشتاء وليس عندي جبة
فتصفحت لما فراها حبة
وشكانياط فؤاده وحرارة
وغضت فرائصه تهز كأنها
ينسى فيسكن ما به وتعوده الذكـ
فسكرت ربـي لو فراها جبة
وخرجت أمشي القهقري متستراً

أما الهجاء الذي كان في قصائد طويلة فهو قليل في الشعر الشامي زمان الحروب الصليبية، ومن أمثلة ذلك قصيدة لأبي شامة قالها في هجاء القائمين على أموال الوقف في دمشق، وقد مررت بنا بعض أبياتها، وقصيدة لابن دنيير قالها في هجاء القاضي حجة الدين بن الشهريوري، وقد استشهد ببعض أبياتها في الحديث عن هجاء القضاة، وقصيدة ابن عنين التي وسماها بـ "مغراض الأعراض"، وهجا بها عدداً من وجوه دمشق. غير أن ابن منير قد فاق هؤلاء في قدرته على إطالة قصائده الهجائية، ولعل هذا يرتبط بموهبة الشاعر، بالإضافة

إلى الهدف الذي كان يرمي إليه من هذا الهجاء المطول. من ذلك تصريحه التي قالها في هجاء القاضي الأعز، ومطلعها (١٢٨):

يا وزير الشام دعوة مظلوم
م رجا من علّاك كشف الظلمة

وقد طال نفس الشاعر في هذه القصيدة، إذ بلغ عدد أبياتها منة وأربعة وعشرين بيتاً. ولعلَّ ميل الشاعر إلى الأسلوب الوصفي هو الذي أتاح له هذا التطويل، كما أتاح له أن يحافظ على وحدة القصيدة ويدفع عنها التشتت، فالقصيدة على طولها، فيها قدر كبير من الحيوية المستمدَّة من تدرج الشاعر في الأفكار والمعاني، والبراعة في التصوير وإيثار اللغة البسيطة الواضحة. وبعد أن استهلَ ابن منير القصيدة بأبيات تظلم فيها إلى وزير الشام آنذاك من القاضي الأعز، يأخذ في وصف عمة القاضي التي كانت مزينة ببعض الرسوم. بيد أن ابن منير لم يقف عند حدود ما كان مرسوماً فعلاً، وإنما راح يستدعي أصنافاً شتى من هذه الصور، ويُخيّل للقارئ أنها مرسومة على العمرة. وقد استغرق ذلك حوالي ستين بيتاً من القصيدة، تفنَّن فيها ابن منير تفتقراً يدلُّ على براعته في استغلال ثقافته المتنوعة في تشكيل معانٍ شعرية وصورية. أجزئى من ذلك قوله:

عمة تملأ الفضاء على وجه ضئيل
لو تخذنا البحر المحيط مداداً
لم تمثل معشار ما صنورت بيه
من وحوشٍ رواتع وظباء
وصنوف العشاقِ من عاهر تشكـ
مثل قيس عشيق لبني وعبـا
وملوكِ البلاد في الشرقِ والغرـ
والتبنيون كلَّ من أظهرَ الحـ

ض دار الدنيا بدار المقامـة
 ل وقد بـاءَ بعده بالندامة
 لـك وأبـدـي فـي بـنـيـها إـحـكـامـة
 رـإـلـهـ السـمـاءـ يـبـغـيـ كـلـامـة
 بـنـيـهـ وـبـثـهـ وـغـرـامـةـ
 فـعلـيـهـاـ أـبـوـ الـخـلـانـقـ قـدـ غـوـ
 وـعـلـيـهـاـ قـابـيلـ يـدـفـنـ هـايـرـ
 وـعـلـيـهـاـ نـوحـ وـقـدـ صـنـعـ الفـ
 وـعـلـيـهـاـ مـوسـىـ يـنـاجـيـ مـنـ الطـوـ
 وـعـلـيـهـاـ يـعـقـوبـ يـشـكـوـ إـلـىـ اللهـ

ويمضي ابن منير في قصيـدـتـهـ عـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ،ـ فـيـذـكـرـ إـبـرـاهـيمـ الـخـلـيلـ وـهـ
 يـكـسـرـ الـأـصـنـامـ،ـ وـشـعـيبـاـ وـقـدـ أـقـعـدـهـ الـمـرـضـ،ـ وـيـوـسـفـ وـقـدـ جـدـ فـيـ الـهـرـبـ مـنـ اـمـرـأـةـ
 الـعـزـيزـ...ـ إـلـىـ غـيـرـ ذـلـكـ مـنـ الصـورـ الـمـسـتوـحـةـ مـنـ الـقـصـصـ الـقـرـآنـيـ وـالـتـارـيخـ
 الـإـسـلـامـيـ وـغـيـرـ الـإـسـلـامـيـ...ـ وـمـعـ أـنـ هـذـاـ التـكـثـرـ مـنـ الصـورـ كـانـ يـصـدرـ عـنـ
 رـغـبـةـ فـيـ السـخـرـيـةـ مـنـ القـاضـيـ الـأـعـزـ،ـ فـبـاهـ كـذـلـكـ يـدـلـ عـلـىـ رـغـبـةـ اـبـنـ مـنـيرـ فـيـ
 اـسـتـعـراـضـ تـقـافـتـهـ الـمـتـوـعـةـ.

وبعد أن انتهى الشاعر من تصوير القاضي الأعز في هيئة لا تصلح أن تكون لقاض، يخلص إلى تصوير استخفاف الناس بهذا القاضي، وتملقهم إيهام بالمدح الكاذب، لعلهم ينالون الحظوة عنده:

سـفـلـ يـدـعـونـ فـيـهـ الإـمامـةـ
 خـاصـصـاـ رـاكـعـاـ ذـلـيـلـاـ أـمـامـةـ
 نـيـ فيما يـولـيـ وـكـعبـ بنـ مـامـةـ
 سـ،ـ وـيـاـ أـحـسـنـ الـبرـيـةـ قـامـةـ
 سـتـ،ـ لـيفـنـواـ خـلـقـانـهـ وـطـعـامـةـ
 بـهـ عـلـيـهـمـ وـسـطـوـةـ وـعـرـامـةـ
 لـيـرـىـ ذـاـ إـهـانـةـ وـكـرامـةـ

مـكـنـ اللـهـ درـتـيـ مـنـ أـعـالـيـ
 كـلـ فـسـلـ إـذـاـ رـأـهـ تـرـدـيـ
 قـائـلـاـ يـاـ عـذـيرـ حـاتـمـ الطـاـ
 يـاـ مـلـيـعـ الشـيـابـ يـاـ أـنـضـرـ النـاـ
 كـلـ هـذـاـ نـصـنـبـ عـلـىـ الـخـربـ الـبـيـ
 وـهـوـ إـذـ ذـاكـ لـاـ يـرـيدـ سـوـىـ تـبـ
 يـصـطـفـيـ بـعـضـهـمـ وـيـبـعـدـ بـعـضاـ

وإذا كان ابن منير قد تناول في الأبيات السابقة صوراً من العلاقات الظاهرة بين القاضي الأعزز ومن يأتي إلى مجلسه، فإنه تحدث في الأبيات التالية عن طائفة من العلاقات الشاذة الخفية بين هذا القاضي وبعض حاشيته، بله علاقتهم بأخته، مقدعاً في الهجاء، مستعملاً عبارات وصوراً فاحشة، يجلّ المقام عن ذكرها، وقد ترّجَ الشاعر في هذا الهجاء ترّجاً يشعر بالوصول إلى نهاية القصيدة، فمازج بينه وبين ذم الدهر الذي قدم أمثال هؤلاء، وأخرجه على فضله، شاكيناً من الحاجة وقدان الصديق، محذراً القاضي، وأنبأه بأنَّ الأيام دول:

ع يلِيك البطين منكم لجامة
ر فما زال مُسْهراً من أنامة
ذ تمام فالنقص يتلو تمامة

وهكذا كانت قصيدة ابن منير الطرايلسي، كغيرها من القصائد الهجائية، تجمع بين الطول ووحدة الموضوع، فالقصيدة ذات موضوع واحد هو السهراء، وهدف واحد هو السخرية من القاضي الأعزز وبيان بطلان أحكامه، ويسري فيها شعور واحد هو التنّقمة على هذا القاضي وأمثاله، لهذا أنهى الشاعر قصيده كما بدأها، ولم تخالف نهايتها بقية أجزائها، فاطرد فيها النسق، وتولى المعنى، ليحقق الغاية المرسومة لها.

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن لغة الهجاء وأساليبه، فإنه يلاحظ أنَّ الشعراء، حتى يكفلوا لأهاليهم سرعة التأثير والذِيوع بين الناس، نظموها في لغة سهلة بسيطة واضحة، تقترب من اللغة المحكية اقترباً شديداً، من ذلك قول ابن الساعاتي يهجو رجلاً يدعى صالحأ، مستعملاً الصيغة النثرية في بناء بيته^(١٦٩):

وإن نال حظاً من على وتقديم
وكدية صوفية، وعقل معلم

أسئلتي عن صالح بن صالح
له إفوك مذاخر، وأبنية كاتب

ويقترب العرقلة الكلبي في أهاجيه من اللغة المحكمة اقتراباً شديداً، حتى
لتخلو - أحياناً - من الفن، كما في قوله يهجو وحيشاً الأسد (١٢٠):

لَا بارك اللَّهُ فِي وَحِيشٍ
كَمْ قَالَ، لَا قَلْقَلْ غَيْرَ نَابِهِ
فَإِنَّهُ مَكْدُرْ لِلْعِيشِ
أَلْيَاتْ شِعْرِ كَبِيُوتِ الْخِيشِ

وتكثر الألفاظ العامية في هجاء ابن عنين، مثل "العونى"، والعلق، ودق
حنك، وما فصر (بمعنى أصاب وأحسن)، والصفعان، والتجممس" (١٢١). كما
استعمل بعض التعبيرات التي تستعملها العامة في دمشق مثل "اسكتي يا فلانه" في
قوله (١٢٢):

زَعَمُوا أَنَّهُ حَفِظَ عَلَى الْمَا
لِأَمِينِ، قَلْتَ: "اسْكُتِي يَا فَلَانِهِ.."

ولا تكاد تخرج عبارة "يا ابن الدجاجة" عن الشتائم التي تتردد على ألسنة
ال العامة، وذلك في قوله (١٢٣):

يَا ابْنَ الدَّجَاجَةِ كُلَّ النَّاسِ كَانَ لَهَا
دِيكَأَ، فَأَنْتَ ابْنُ مَنْ حَتَّى أَنْادِيكَا؟!

ويردد ابن المسجف العسقلاني في هجائه بعض الشتائم البذينة التي تلقاها
ال العامة في عصره، كما في الشطر الثاني من البيت الأخير (١٢٤):

قَالُوا: عَلَامْ رَضِيَتِ الشِّعْرُ مَطْرَحاً
لَا المَدْحُ يُورْشِي مَالَا أَسْرَ بِهِ
هَتَّى يَقَالُ أَدِيبُ شَاعِرُ فَطْنِ
فَقَلْتَ: مِنْ قَلَّةِ الْإِنْصَافِ فِي زَمْنِي
وَلَا الْهَجَاءُ إِلَى سُؤْلِي يَقْرَبُنِي
جِرِّ امْ كَلَّ أَدِيبٌ شَاعِرٌ فَطْنِ

وكما في عبارة "لا يساوون نعلاً" في قوله يهجو جماعة في دمشق^(١٣٥):

خمس تيجان لا يساوون نعلاً
رث في قيمة ولا مقدار
الشحيرير والأغبور والقصنا

ولا يخفى على القارئ الخطأ الذي وقع فيه الشاعر، إذ ذكر العدد مع المعدود المذكور في البيت الأول.

ومع أن لغة الهجاء تميل بوجه عام إلى البساطة والوضوح، والاستثناء من التعبير الشعبية، فإن بعض الشعراء استغلوا معارفهم وثقافاتهم في التعبير عن معانيهم، وتصوير مهجوبيهم. فقد استوحى الشعراء بعض آيات القرآن الكريم، ووجهوها على نحو يخدم مقاصدهم الهجائية، كما في قول كمال الدين بن الأعمى يذم أحد الحمامات، ويتدمر من القائم عليه^(١٣٦):

كلما قلت: قد أطلت عذابي
قال لي: احسأ فيه ولا تتكلّم
قلت لمّا رأيتـه يتلظـى
ربـنا اصرف عنـا عذـاب جـهنـم

ويفيد ابن عينين من القصص القرآني حين ينتقد الأوضاع في مدينة دمشق لما فتحها الملك الكامل محمد بعد الملك المعظم عيسى، وأعطاه الملك الأشرف موسى، وذلك إذ يقول^(١٣٧):

وكان نرجـي بعد عـيسـى مـحمدـا
لينـقـذـنا مـن لـاعـجـ الضـرـ والـبلـوى
حـيـارـى، وـلا مـن لـديـنـا وـلا سـلوـى
فـأـوقـعـنا فـي تـيـهـ مـوسـى فـكـانـا

ويتصرف شهاب الدين بن خاتم بالحديث النبوى الشريف الذى يتحدث عن فضائل شهر رمضان حين يهجو أحد المتصوفة في قوله^(١٣٨):

ما اعتكاف القبيه أخذـا باجرـ
هو شهر تغلـ فيـ الشـيـان

و ضمنـ الشـعـراء أحـاجـيـهم بـعـضـ الـأـبـيـاتـ الـتـيـ قالـهاـ شـعـراءـ سـابـقـونـ،ـ كـمـاـ فـيـ
أـبـيـاتـ الـعـرـقـلـةـ الـكـلـبـيـ الـتـيـ هـجـاـ بـهـ أـبـاـ الـحـكـمـ الـأـنـدـلـسـيـ،ـ حـيـثـ ضـمـنـ مـقـطـوـعـتـهـ بـيـتـاـ
لـلـمـتـبـيـ،ـ وـوـضـعـهـ فـيـ مـوـضـعـهـ الـمـنـاسـبـ مـنـ الـمـقـطـوـعـةـ،ـ وـقـدـ سـبـقـ أـنـ اـسـتـشـهـدـ بـهـاـ
فـيـ الـحـدـيـثـ عـنـ التـهـاجـيـ بـيـنـ الـشـعـراءـ.

ويـسـتـعـيرـ ابنـ عـنـينـ بـيـتـيـنـ لـجـمـيلـ بـنـ مـعـرـ العـذـريـ،ـ وـيـجـعـلـهـمـاـ عـلـىـ لـسـانـ
الـمـهـجوـ كـمـالـ الدـيـنـ الشـهـرـزـورـيـ إـمـعاـنـاـ فـيـ السـخـرـيـةـ مـنـهـ،ـ وـذـلـكـ فـيـ قـوـلـهـ^(١٣٩):

وقد أغلقت دون الوزير المغالق
وينشدـهاـ والـخـدـ بالـدـمـ غـارـقـ
سوـيـ أـنـ يـقـولـواـ إـنـيـ لـكـ عـاشـقـ
إـلـيـ،ـ وـإـنـ لـمـ تـصـفـ مـنـكـ خـلـائقـ"

دخلـتـ عـلـىـ اـبـنـ الشـهـرـزـورـيـ لـلـيـلـةـ
فعـاـيـنـتـهـ وـلـهـاـ يـرـطـلـ فـيـشـةـ
وـمـاـ عـسـيـ الـوـاـشـوـنـ أـنـ يـتـحـدـثـواـ
نـعـ صـدـقـ الـوـاـشـوـنـ أـنـتـ حـبـيـةـ

ويـتـكـيـ اـبـنـ منـيرـ الطـراـبـلـسـيـ عـلـىـ تـقـافـتـهـ بـالـعـرـبـيـةـ:ـ نـحـواـ وـصـرـفـاـ وـإـمـلاـءـ
وـعـروـضاـ حـيـنـ يـهـجـوـ القـاضـيـ الـأـعـزـ فـيـ قـصـيـدـتـهـ الـزـانـيـةـ،ـ وـمـاـ وـرـدـ فـيـهـ قـوـلـهـ
يـتـحـاـوـرـ مـعـ هـذـاـ القـاضـيـ،ـ وـيـفـحـشـ فـيـ ذـمـهـ وـثـلـبـهـ^(١٤٠):

رـزـتـ عـلـمـ الإـعـرـابـ فـيـ غـيـرـ حـرـزـ
(....) نـصـبـ،ـ فـلـمـ تـخـفـ هـمـزـيـ
عـبـتـ مـاـ كـانـ مـنـ مـعـمـيـ وـلـغـزـ
عـلـيـ (...) وـأـنـتـ كـالـمـشـمـنـزـ
كـ تـيـهاـ،ـ وـقـالـ كـالـمـسـتـهـزـيـ

صـاحـ،ـ يـاـ نـصـفـ سـيـبـوـيـهـ لـقـدـ أـحـ
أـنـاـ خـفـضـ،ـ وـأـنـتـ رـفـعـ،ـ وـذـاـ
قـدـ صـحـبـتـ النـحـاءـ قـبـلـكـ وـاسـتوـ
وـأـرـاهـمـ قـدـ دـخـلـوـاـ أـلـفـ الـوـصـلـ
قـلـتـ:ـ هـذـاـ لـلـضـرـورـةـ،ـ فـاسـتـضـحـ

فاحسّبناها ضرورة واتبع القو
م، فقد بان فيك معنى التنزّي

وقد استعمل الشعراء الشاميون التصوير البصريّ وغير البصريّ في التعبير عن معانيهم وأفكارهم، وتهدف هذه الصورة بصورة عامة إلى التشويه، لذلك كثُرت الصور المنفّرة والقبيحة، كما في قول نصر الهيتي يهجو قوماً لم يجزلوا له العطاء، ويصف رقاعهم التي تضمنت مرسوم ذلك، مستعيراً لها طائفة من الصور التي ينفر منها الذوق السويّ^(١٤١):

ملاً من المين والبهتان والزور
في كف كل سخين العين معرور
فيها، لفائف ميت غير منشور
عن كل أعجف غث اللحم معقور
إلا مناديل ربّات المواخير
نعماء، ولكن لترقيع الطنابير

رقاعهم تملأ الدنيا بما رحبت
تطوى وتشعر والأدنس شملها
كأنها، وعطيها مسطرة
أو ما يقلّعه البيطار من خرق
فما لها مشبه في كل مخزية
لا تطرحها إذا جاءت فإن لها

و واضح أنَّ الصور في الأبيات السابقة صور جزئية تحقق الازدراء بالمهجوّ، وقد استردد الشاعر هذه الصور من مصادر تحقق له هذا الهدف، فصور رقاع هؤلاء القوم تمتلئ كذباً وبهتاناً وزوراً، وجعلها ملطخة بالأدنس والأوساخ، وشيّهها بلفائف ميت، وبالخرق التي يعالج بها البيطار حيواناته المريضة، وبمناديل ربّات المواخير ..

وقد تعددت المصادر التي استردد الشعراء صورهم منها، فقد استوحى فتیان الشاغوريَّ التفصي القرآنيَّ في الأبيات التي انتقد فيها الملك الأَمْجَد بهرام شاه، وأخذ عليه استیزاره مهذب الدين السامریَّ، وقد سبق الاستشهاد بها. واستوحى ابن عین قوله تعالى "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها

رجوما للشياطين^(١٤٢) في البيتين التاليين اللذين هجا بهما الرشيد النابليسي^(١٤٣):

شكا شغري إلى وقال تهجو
بمثلي عرض ذا الكلب اللثير
فقلت له: نسل فرب نجم
هو في إثر شيطان رجيم

واستمدَّ الشعراء بعض صورهم من أحداث التاريخ الإسلامي، فقد التقت العرقفة الكلبي، مثلاً إلى الأحداث التي جرت بين عليَّ ومعاوية، وذلك حين تبرم من البواب الذي منعه من الدخول على أقرباء الملك الصالح بن رزيك^(١٤٤):

قتوغ كفاء منكم الود والبشر
على بابكم يا آل رزيك شاعر
"كما ردها يوماً بسواعته عمرو"
وقد ردَّ البواب جهلاً بوجهه
زوى وجهه عنِّي كأنني الشمير
وحتى حسين، وهو سيد مذهبى

واستعار الشعراء بعض صورهم من التاريخ الأدبي، كما في قول ابن الساعاتيَّ يصوَّر حبَّ أحد الأمراء لل مدح والثناء، وأسفه على ما يذهب من ماله أو طعامه إذا زاره أحد، فيقرنه - على سبيل التهكم والسخرية - بعروة بن حرام ومجنون ليلي^(١٤٥):

نأت باريح عروة بن حرام
مظهر بالمدح وإن كان مجا
ساعة الإذن أو غداة الطعام
وهو يبكي بكاء مجنون ليلي

وانتقاصاً من أقدار المهجوين أكثر الشعراء من صور الحيوانات والحيشات، إذ شبَّهُهم بالبهيمة والتبَّيس والكلب والعجل والذئب.... من ذلك قول ابن الساعاتي يُزري بأحد الحكماء ويفضَّل عليه القرد في الهينة والتكونين^(١٤٦):

لو كنت في زمان تقادم عهده
لذكرت في طه وفي ياسين
وتوظن أنك نو جمال بارع
والقرد أحسن منك في التكوين

ويشبه ابن الساعاتي أحد التقلاء بالعجل في الجهل وقلة العقل، والذبابة في التنفل، والنمل في نقل الحديث. يقول^(١٤٧):

تجاوز نَيَّاتِ الْعَجِيلِ وَجَهَهُ
أَحَطَ عَلَى مَا كُولَهُ مِنْ نَبَابَةٍ

وتكثُر الصور المستمدَة من الطبيعة في شعر الهجاء، فعندما هجا ابن المسْقَف العسقلاني جماعةً من أصحابه شبّههم بالسراب في قلة النفع، وانعدام الفائدَة. يقول (١٤٨):

هم في الرَّخاءِ إِذَا ظَفَرَتْ بِنَعْمَةٍ
أَلَّا، وَهُمْ عَنِ الدُّشَائِدِ أَلَّا

ويقرن ابن منير الطراطيسى طباع أهل دمشق بجبارتهم في الغلظة والقسوة.
يقول (١٤٩):

وطباء هم كجبال جبلت وقدت من حجز

ويشّبه كمال الدين بن الأعمى صحن حلاوة أهداه إليه أصحابه بأرض السماوة في الييس والصلابة. يقول^(١٠٠):

واستغلَ الشعرا العيوب الخلقيَّة لمهجويهم، واستخرجوا منها صوراً طريفة على شاكلة ابن دنينير في القاضي حجة الدين بن الشهريزوري^(١٥١):

وكنا علنا للمظفر دعوة
ليحضر فيها عننا يوم الاثنين
فجاء، ولكنّي رأيت عجيبة
أتنى أنفه من قبل ذاك بيومين

وقد تبيّن ابن عنين بطريقة في التصوير لم توجد عند غيره من الشعراء، إذ كان يشبه بعض مهجويه ببعض، ويقارن بينهم مقارنة هزلية، كما في قوله يهجو الخطيب الدولعي، وبعارض بينه وبين أحد المفسرين^(١٥٢):

طولت يا دولعي فقصّر
خطابة كأنها خطّوب
تظل تهذى ولست تدرِّي
وأنت في غير ذا مفسّر
وبعضها للسُورى منفّر
كأنك المغربي المفسّر

والصورة في شعر الهجاء تتّوّع بين صور جزئية تقوم على تطلب التشابه الظاهري بين طرف الصورة، وصور كلية ترسم منظراً متكاملاً، أو تستقصي ملامح مشهد محدد. والصورة الجزئية هي الغالبة على هذا الشعر، وقد منّا كثير منها، وأمّا الصور الكلية فهي قليلة، وقد توسل الشعراء إلى رسمها بالحركة والتجسيد، كما في قول ابن خروف يهجو الطبيب الدخوار، ويجسد طبّه سيفاً راح يحمله ويهاجم به العياد الذين أمعنوا في الهرب والتخفّي منه، ولكن أبواب النجاة سدت في وجوههم^(١٥٣):

طبع المذهب طبّه
باب السلام لا يُسرى
سيفاً وصال على المهج
منه ولا بباب الفرج

وقد نجد بعض الشعراء يستعمل التشخصيـن في رسم صوره، فقد مررت بـنا الأبيات التي رفعها ابن الزويـتينـة إلى الملك الصالـح يشـكـو فيها فسـادـ القـائـمـينـ علىـ أحدـ الجوـامـعـ، وقدـ شـخـصـ الشـاعـرـ هـذـاـ الجـامـعـ وصـورـهـ إـنـسانـاـ يـتـظـلـمـ ويـشـكـوـ إـلـىـ الـمـلـكـ، ويرـجـوهـ أـنـ يـدـفـعـ الـفـسـادـ عـنـهـ، أوـ يـعـيـدـهـ إـلـىـ مـاـ كـانـ عـلـيـهـ. وـهـذـاـ إـبـنـ عـنـيـنـ يـصـورـ الجـامـعـ الـأـمـوـيـ، وـقـدـ سـلـسـلـتـ أـبـوـابـهـ، بـإـنـسانـ أـصـابـهـ مـسـ، فـشـدـ بـالـوـثـاقـ^(٤٥):

لـمـارـأـيـ الجـامـعـ أـمـوالـهـ
مـاـكـولـةـ مـاـيـبـنـ نـوـابـهـ
جـنـ فـمـنـ خـوفـ عـلـيـهـ غـداـ
مـسـلـسـلـمـنـ كـلـ أـبـوـابـهـ

والصورة في شـعـرـ الـهـجـاءـ عـامـةـ بـسـيـطـةـ وـاضـحةـ قـرـيبـةـ الـمـتـنـاـولـ، تـقـعـ فـيـ حدـودـ مـدـرـكـاتـ النـاسـ وـحـوـاسـهـمـ، ولـعـلـ هـذـاـ يـعـودـ إـلـىـ طـبـيـعـةـ الـمـوـضـعـ، فالـهـجـاءـ، ولاـ سـيـماـ إـذـاـ كـانـ فـيـ شـكـلـ مـقـطـوـعـاتـ، يـرـمـيـ إـلـىـ التـأـثـيرـ الـمـباـشـرـ فـيـ نـفـوسـ الـمـهـجـوـيـنـ، وـمـنـ ثـمـ فـإـنـ التـقـنـنـ فـيـ الصـورـةـ قدـ يـحدـ منـ هـذـاـ التـأـثـيرـ، لأنـ الصـورـةـ الشـعـرـيـةـ بـحـاجـةـ إـلـىـ قـدـرـ مـنـ التـأـمـلـ لـفـهـمـ دـلـالـاتـهـ وـاستـيـعـابـ مـعـناـهـاـ.

خاتمة

تمَّ في الصفحات السابقة دراسة شعر الهجاء في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، وقد بيَّنت هذه الدراسة أنَّ هذا الشعر نماً وتکاثر، وأنَّ بواعث القول فيه تعددت، وأتجاهاته تتَوَعَّت.

وأبْرَزَت الدراسة الدور الذي اضطَلع به الشعراء الشاميُّون في تطهير المجتمع الشامي من مظاهر الفساد الخلقي والاجتماعي، وذلك بتقريع هذه المظاهر، وإبرازها في صور تدعُّو إلى إنكارها والابتعاد عنها.

وأوضحت الدراسة أهمية شعر الهجاء في دراسة بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، فهو يصوَّر التناقض بين الشعراء وبواعثه الشخصية والمذهبية، ويصف فقر بعض الشعراء وسوء أحوالهم الاقتصادية، ويرسم صوراً طريفة لبعض مظاهر السلوك اليومي في المدن الشامية، ويكشف عن طائفة من التعديات التي كانت تصدر عن بعض الحكام والقضاة وغيرهم من القائمين على شؤون الرعية.

وأخيراً، بيَّنت الدراسة أنَّ جلَّ شعر الهجاء كان في مقطوعات قصيرة، وأنَّ هذا الشعر أثر اللغة السهلة القرية، والصورة الواضحة الدانية.

الحواشي:

- (١) مسالك الأبصار، (ميكروفلم) ١٥: ٣٠٥، وانظر الأدب في بلاد الشام: ٢٠٥.
- (٢) عقود الجمان (ميكروفلم) ٣: ١٨٩.
- (٣) العmad الأصفهاني، الخريدة (قسم العراق) ١/٣: ١٣٦.
- (٤) عقود الجمان (ميكروفلم) ٦: ١٩٩، وانظر الأدب في بلاد الشام: ٣٥٧.
- (٥) المصدر السابق ٦: ٥٣٦.
- (٦) المصدر السابق ٧: ٤٤.
- (٧) المصدر السابق ٧: ٢٤٣.
- (٨) المصدر السابق ٣: ٦٧.
- (٩) فوات الوفيات ١: ١٣٤.
- (١٠) المصدر السابق ٢: ٢٨٢.
- (١١) ثمة شريط مصور (ميكروفلم) في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية يحتوي على بعض أشعار ابن منير، وهو صورة عن مخطوط رقم ٢١٠ بمكتبة أمبروزيانا.
- (١٢) الكواكب الدرية: ١٧٠.
- (١٣) انظر: الوافي بالوفيات ١: ٤٢٧-٤٢٨، الذيل على الروضتين: ١٨١.
- (١٤) فوات الوفيات ٢: ١٩٤.
- (١٥) انظر الذيل على الروضتين: ١٤٨، ٢١١، فوات الوفيات ٢: ٣٥٢.
- (١٦) الخريدة، قسم الشام ١: ٧٦، ٧٩.
- (١٧) المصدر السابق ١: ٧٦.
- (١٨) شعر ابن القيسرياني: ٩٠.
- (١٩) الحشرية: هم الذين يباشرون مال من يموت، وليس له ولد. صبح الأعشى ٣: ٤٦٠.
- (٢٠) جمهرة الإسلام (ميكروفلم) ١: ٨٢.
- (٢١) شعر ابن منير (ميكروفلم): ١٥٠.
- (٢٢) ديوان ابن منير: ١٣٧.
- (٢٣) الخريدة قسم العراق ١/٣: ١٣٦.

- (٤٤) عيون الأنبياء: ١٦٥.
- (٤٥) المصدر السابق: ٦١٥.
- (٤٦) المصدر السابق: ٦١٦.
- (٤٧) المصدر السابق: ٦١٤.
- (٤٨) المصدر السابق: ٦٢٥.
- (٤٩) عيون التواريخ: ١٢ : ٤٨٢.
- (٥٠) عقود الجمان (ميكروفلم) ١ : ٣٨٣.
- (٥١) ديوان ابن عين: ١٨٨.
- (٥٢) انظر فصولاً من هذه الرسالة في معجم الأدباء: ٥ : ٢٢١٨.
- (٥٣) فوات الوفيات: ٣ : ١٩٤.
- (٥٤) الوافي بالوفيات: ٢٢ : ١٩٦.
- (٥٥) ديوان العرقلة: ٩٤.
- (٥٦) فوات الوفيات: ٢ : ٢٨٣.
- (٥٧) المصدر السابق: ٢ : ٢٨٤.
- (٥٨) ديوان ابن الساعاتي: ٢ : ١٥٤.
- (٥٩) فوات الوفيات: ٢ : ٢٨٤.
- (٦٠) بغية الطلب: ٧ : ٢٠٥.
- (٦١) ديوان العرقلة: ٦٣.
- (٦٢) انظر الخريدة قسم الشام: ٢ : ١٨٥.
- (٦٣) عيون الأنبياء: ٧١٧.
- (٦٤) فوات الوفيات: ٢ : ٣١٨.
- (٦٥) عيون الأنبياء: ٦٥١.
- (٦٦) المصدر السابق: ٦٥٢.
- (٦٧) ديوان ابن عين: ١٧٩.
- (٦٨) عيون الأنبياء: ٦٥٣.
- (٦٩) ديوان ابن عين: ١٩٤.

- (٥٠) الواقي بالوفيات ٩: ٤٠.
 (٥١) ديوان ابن عين: ١٣٣.
 (٥٢) فوات الوفيات ١: ١٣٥.
 (٥٣) الخريدة، قسم الشام ٢: ٣٨٧.
 (٥٤) عيون التواريخ ١٢: ٣٣٦.
 (٥٥) المصدر السابق ١٢: ٣٣٦.
 (٥٦) ديوان ابن عين: ٢٣٩.
 (٥٧) ديوان العرقلة: ٣٥.
 (٥٨) فوات الوفيات ٢: ٢٨٥.
 (٥٩) انظر حديثاً عن مدح المدن في كتاب: الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري: ٢٨٨.
 (٦٠) ديوان ابن منير: ١٦٧.
 (٦١) ديوان ابن عين: ٢٣٠.
 (٦٢) الخريدة، قسم العراق ١/٣: ١٢٤.
 (٦٣) ديوان ابن ندينير: ٦٠٦، ٥٩، ١٩٨، ٦٥٦.
 (٦٤) ديوان ابن الصاعاتي ٢: ٧٠.
 (٦٥) معجم الأباء ٤: ١٧٠٣.
 (٦٦) فوات الوفيات ٣: ٨٧.
 (٦٧) المصدر السابق ٣: ٩١.
 (٦٨) المصدر السابق ١: ٣٠٧.
 (٦٩) بغية الطلب ٩: ٤٢٤٣.
 (٧٠) ورد ما بين علامتي التصيص في بغية الطلب هكذا 'عشوا يمنع' فلا يستقيم به الوزن والمعنى، والتصحيف من كتاب: شذرات من كتب مفقودة: ٣٩٩.
 (٧١) فوات الوفيات ٣: ٣٥٨.
 (٧٢) المصدر السابق ١: ١٣٩.
 (٧٣) عيون الأنباء: ٧٢١.

- (٧٤) ديوان فتيان: ٣٥٩.
 (٧٥) تالي كتاب وفيات الأعيان: ١٤٢.
 (٧٦) فوات الوفيات: ٢: ١٢٣.
 (٧٧) الخريدة، قسم الشام: ٢: ٢٧٣.
 (٧٨) ديوان ابن دينير: ٥١٦.
 (٧٩) المصدر السابق: ٦٠٩.
 (٨٠) عقود الجمان (ميكروفلم) ٣: ٢٣٣.
 (٨١) ديوان ابن الصاعاتي: ١: ١٤١.
 (٨٢) ديوان ابن عنين: ٢٠٨.
 (٨٣) المصدر السابق: ٢٠٣.
 (٨٤) المصدر الساب: ٢٣٦.
 (٨٥) المصدر السابق: ٩٤.
 (٨٦) ديوان ابن منير: ١٤٦.
 (٨٧) ديوان فتيان: ١٣١.
 (٨٨) الذيل على الروضتين: ٢٢٢.
 (٨٩) فوات الوفيات: ١٣٤.
 (٩٠) ديوان ابن عنين: ١٤٣.
 (٩١) المصدر السابق: ٢٣٥، وتنسب الأبيات كذلك إلى ابن المسجف العسقلاني: فوات الوفيات: ٢: ٢٨٥.
 (٩٢) المصدر السابق: ٢٢١.
 (٩٣) ديوان ابن دينير: ٥٧٧.
 (٩٤) الذيل على الروضتين: ١١٠.
 (٩٥) ديوان ابن عنين: ١٣١.
 (٩٦) المصدر السابق: ١٩١.
 (٩٧) الذيل على الروضتين: ٢٠١.
 (٩٨) المصدر السابق: ٢٠١.

.٢٠١) المصدر السابق: ٩٩.

(١٠٠) المصدر السابق: ٢٠١، ولم يذكر أبو شامة اسم الشاعر.

(١٠١) فوات الوفيات ١: ١٣٨.

(١٠٢) المصدر السابق ١: ١٣٩.

(١٠٣) الذيل على الروضتين: ٢١٤.

(١٠٤) المصدر السابق: ١٤٨.

(١٠٥) فوات الوفيات ٢: ٣٥٢.

(١٠٦) الذيل على الروضتين: ٢١٤.

(١٠٧) المصدر السابق: ٢١٤.

(١٠٨) المصدر السابق: ٢١٥.

(١٠٩) المصدر السابق: ٢٣٦.

(١١٠) المصدر السابق: ٢٣٦.

(١١١) ديوان ابن عين: ٢٠٥.

(١١٢) فوات الوفيات ١: ١٢٧.

(١١٣) المصدر السابق ١: ٢٠٣.

(١١٤) وفيات الأعيان ٥: ٣٣٤-٣٣٥.

(١١٥) فوات الوفيات ٢: ٣١٩.

(١١٦) فوات الوفيات ٢: ٢٨٤.

(١١٧) المصدر السابق ١: ١٠٣.

(١١٨) ديوان ابن الصاعاتي ٢: ١٣.

(١١٩) الخريدة، قسم الشام ٢: ٩٨.

(١٢٠) ديوان ابن عين: ٢٢٥.

(١٢١) فوات الوفيات ١: ١٣٦.

(١٢٢) ديوان ابن عين: ١٣٧.

(١٢٣) فوات الوفيات ١: ١٤٧.

(١٢٤) فوات الوفيات ٢: ٢٨٤.

-
- (١٢٥) عقود الجمان (ميكروفلم) :٦ ٢٠٣ .
(١٢٦) ديوان ابن عنين: ١٣٥ .
(١٢٧) المصدر السابق: ٢٠٣ .
(١٢٨) شعر ابن منير (ميكروفلم): ١٧٦ .
(١٢٩) ديوان ابن الصاعاتي ٢: ١٠ .
(١٣٠) ديوان العرقلة: ٥٦ .
(١٣١) ديوان ابن عنين (المقدمة): ٢٦ .
(١٣٢) المصدر السابق: ٢٢١ .
(١٣٣) المصدر السابق: ٢٠١ .
(١٣٤) فوات الوفيات ٢: ٢٨٦ .
(١٣٥) المصدر السابق: ٢٨٦:٢ .
(١٣٦) المصدر السابق ٣: ٩١ .
(١٣٧) ديوان ابن عنين: ١٣٢ .
(١٣٨) فوات الوفيات ١: ١٢٧ .
(١٣٩) ديوان ابن عنين: ١٩٧ .
(١٤٠) ديوان ابن منير: ١٤٧ .
(١٤١) الخريدة قسم الشام ١: ٢٣١ .
(١٤٢) الملك، آية: ٥ .
(١٤٣) ديوان ابن عنين: ١٨٨ .
(١٤٤) ديوان العرقلة: ٤٨ .
(١٤٥) ديوان ابن الصاعاتي ٢: ١٢ .
(١٤٦) المصدر السابق ٢: ٩ .
(١٤٧) المصدر السابق ٢: ٧٢ .
(١٤٨) فوات الوفيات ٢: ٢٨٤ .
(١٤٩) ديوان ابن منير: ١٦٧ .
(١٥٠) فوات الوفيات ٣: ٩١ .

- .٥٧٥) ديوان ابن نثنيير: ١٥١)
.١٨٨) ديوان ابن عذين: ١٥٢)
.٣١٨ فوات الوفيات ٢: ١٥٣)
.١٥٤) ديوان ابن عذين: ١٥٤)

المصادر مرتبة هجائياً حسب عنوان الكتاب

أولاً: المصادر المخطوطة:

- ١ جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام، مسلم بن محمود الشيزري، ميكروفلم رقم ٩٢٢٣ أدب، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة.
- ٢ شعر ابن منير الطرابليسي، مخطوط رقم ٢١٠، مكتبة أمبروزيانا، وعنده شريط مصور في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية.
- ٣ عقود الجمان من شعراء هذا الزمان، أبو البركات مبارك بن أبي الشعارات الموصلي، ميكروفلم رقم ٣٣٩ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة.
- ٤ مسالك الأبصار في أخبار ملوك الامصار، ابن فضل الله العمري، ميكروفلم رقم ٣٦٥، الجامعة الأردنية.

ثانياً: المصادر والمراجع المطبوعة:

- ٥ الأدب في بلاد الشام، عصور الزنكيين والمماليك، د. عمر موسى باشا، دار الفكر المعاصر، بيروت ودمشق، ١٩٨٩.
- ٦ تاريخ دمشق، ابن القلنسى: أبو علي حمزة بن أسد، تحقيق د. سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ١٩٨٣.
- ٧ تالى كتاب وفيات الأعيان، فضل الله بن أبي بكر الصقاعي، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٧٤.
- ٨ تراث رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، أبو شامة المقدسي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٧٤.

- ٩- تهذيب تاريخ دمشق الكبير، الحافظ ابن عساكر، هذبه عبدالقادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.
- ١٠- خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهاني، (قسم شعراء الشام) تحقيق د. شكري فيصل، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٥.
- ١١- خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهاني، (قسم شعراء العراق) تحقيق محمد بهجت الأثري، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٤.
- ١٢- ديوان ابن دنينير، ابراهيم بن أحمد (رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة) تحقيق ودراسة محمود شاكر سعيد، جامعة الأزهر، ١٩٨١.
- ١٣- ديوان ابن الساعاتي، أبو الحسن علي بن رستم، تحقيق أنيس المقدسي، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٨.
- ١٤- ديوان العرقلة الكلبي، حسان بن نمير، تحقيق أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٠.
- ١٥- ديوان ابن عنين، تحقيق خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ط٢، ?.
- ١٦- ديوان فتيان الشاغوري، تحقيق أحمد الجندي، مجمع اللغة، دمشق، ١٩٧٦.
- ١٧- الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري د. شفيق محمد الرقب، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٣.
- ١٨- شذرات من كتب مفقودة في التأريخ، استخرجها وحققتها د. إحسان عبد آنس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨.
- ١٩- صبح الأعشى في صناعة الإنسا، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.
- ٢٠- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصبيعة، تحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ٢١- عيون التوارييخ، محمد بن شاكر الكتبى، تحقيق د. فيصل السامر ونبيله

- عبدالمنعم، وزارة الاعلام العراقية ١٩٧٧.
- ٢٢ - فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبى، تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣.
- ٢٣ - الكواكب الدرية في السيرة النورية، تقي الدين أبو بكر بن أحمد ماضي شهبة، تحقيق د. محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١.
- ٢٤ - معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت ١٩٧٩.
- ٢٥ - وفيات الاعيان وأنباء الزمان، ابن خلكان، تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

عبدالله بن أيوب التَّيْمِيُّ

حياته وشعره

الأستاذ الدكتور رشدي علي حسن

يقع هذا البحث في قسمين أساسين هما:

الشاعر عبدالله بن أيوب التَّيْمِيُّ، وشعره. فأما الشاعر فيعرض البحث بعض جوانب حياته: اسمه وكنيته ولقبه ونسبه، ومولده ووفاته، وثقافته، وغير ذلك. وأما شعره فيدرس البحث شعر الشاعر دراسة موضوعية وفنية، ثم يوضع هذه الدراسة بين يدي الشعر؛ إذ إنَّ البحث ينهض بجمع شعر عبدالله بن أيوب التَّيْمِيُّ وتحقيقه وتخرجه، ومقابلة روایاته، والتعریف بالأعلام وبخاصة غير المشهورين، وشرح الغريب من الألفاظ، وما يحتاج إلى شرح من الشعر، وتوضیح بعض المعانی.

أولاً: الشاعر

اسمه ولقبه وكنيته ونسبة:

هو عبدالله بن أيوب من بني تيم اللات بن ثعلبة^(١)، وفي رواية أخرى مولى بني تيم ثم مولى بن سليم^(٢)، وهو عربي من أهل اليمامة في معظم الروايات أو تيمي بالولاء في بعضها. وهو من شعراء الدولة العباسية.

ويكتفى أبا محمد في أكثر الروايات، وأبا موسى في رواية واحدة^(٣)، ويقال له التيمي نسبة إلى أحد أجداد عشيرته تيم اللات بن ثعلبة نسبة أو لاء. ونسب إلى تيم إذ قيل إنه تميمي، ووردت هذه الرواية في الوزراء والكتاب، وجاء فيها: "يقول التيمي الشاعر وهو عبدالله بن أيوب"^(٤). ولعل ذلك من أخطاء النسخ، فهو تيمي لا تمييمي.

مولده ووفاته:

لم تذكر المصادر التي أوردت بعض أخباره، وقصائد أو أبياتاً من أشعاره شيئاً عن ولادته ومكانها، أو عن نشأته وشيوخه.

ولعل الأمر الذي لا يكتفيه غموض، هو أن التيمي شاعر كوفي عاش في العصر العباسي في القرن الثاني الهجري، وعاصر الخلفاء العباسيين: الرشيد والأمين والمأمون. فقد أوردت المصادر أن الرشيد كان يحب شعره^(٥)، وأنه

(١) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٤١١، وشرح التبريزى ج ٣ ص ٥، والنجمون الزاهرة ج ٢ ص ٢٣٥.

(٢) الأغاني ج ٢٠ ص ٥١، ومختار الأغاني ج ٨ ص ١٣٧.

(٣) الأغاني ج ٢٠ ص ٥١ و ص ٥٦، والعقد الفريد ج ٣ ص ٢٩٣ وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٤١٢، وشرح التبريزى ج ٣ ص ٥، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٢٨، والنجمون الزاهرة ج ٢ ص ٢٣٥.

(٤) الوزراء والكتاب، للجهشياري ص ٢٣٠.

(٥) انظر: الأغاني ج ٢٠ ص ٥٦، ومختار الأغاني ج ٨ ص ١٣٨.

كان ينادم الأمين ويحضر مجالسه، وأنه كان من مذاхи المأمون^(١). وروى له ابن عبد ربه، وأبو علي القالي، وأبو الفرج الأصفهاني وابن خلكان، وابن تغري بردي، وغيرهم، قصيده الدالية في مرثية يزيد بن مزيد الشيباني المتوفى سنة ١٨٥هـ، وأثبتت له بعض المصادر مدائح في الفضل بن الربيع المتوفى سنة ٢٠٩هـ. والباحث في شعره يلاحظ أنَّ أخباره تكاد تتقطع في أشاء خلافة المأمون، وتخلو المصادر كلَّها من إيراد شيء من أخباره أو أشعاره بعد سنة ٢٠٨هـ. ويلاحظ كذلك أنَّ أول شعر عُرف به وشاع له قيل في عهد الخليفة الرشيد غنى به إسحق الموصلي:

طاف طيفَ في المنامِ بمحبِّ مسْتَهَامِ

ويروي أبو الفرج الأصفهاني أنَّ الرشيد سأله إسحق عن قائل الشعر، فقال له: صديق لي شاعر ظريف يعرف بالتنمي^(٢).

ونعلم أنَّ الرشيد قد ولَّى الخلافة من سنة ١٧٠هـ إلى سنة ١٩٣هـ، وأنَّ الأمين قد خلفه من سنة ١٩٣هـ إلى سنة ١٩٨هـ، وأنَّ المأمون امتدت خلافته من سنة ١٩٨هـ إلى سنة ٢١٨هـ، وأنَّ الوزراء والكتاب الذين عملوا في خدمة هؤلاء الخلفاء من اتصل بهم الشاعر مادحًا، كان آخرهم الفضل بن الربيع (ت ٢٠٨هـ).

وأما شعر الشاعر فلا يكشف في ثنايا أبياته شيئاً عن المسائل التي تتعلق بولادته ومكانها ونشاته، ولكن يُستفاد منه أنَّ الشاعر عاش أكثر من خمسين سنة؛ فولَّ الشباب وظهر المشيَّب، وأنَّ أبناء جيله قد رحلوا إلى الدار الآخرة؛

(١) انظر المصدررين السابقين على التوالي ج ٢٠ ص ٥٨ و ج ٨ ص ١٤٠، والنجم الزاهرة ج ٢ ص ٢٣٥.

(٢) انظر الشعر وتنصيل هذه الحكاية الأغاني ج ٢٠ ص ٦٥.

فرأى نفسه غريباً على نحو ما نرى في قوله^(٨):

بيان الشياب و الشياب حبيب

جز عت اپن تیم ان اتاک مشیب

قوله (١):

وَخَلَقْتَ فِي قَرْنَبْ فَانَّتْ غَرِيبَ
إِلَى مَنْهَلِ مَنْ وَرَدَهُ لَقْرِيبَ

إذا ذهب القرنُ الذي أنتَ فيهِ
وإن امرأ قد سارَ خمسينَ حجةً

وعلى الرغم من ذلك فإن الوقوف عند الروايتين التاليتين يفيد في كشف هذه المسألة؛ أولاهما ما رواه أبو الفرج الأصفهاني من أن التئمی مرّ بالحیرة على خمارٍ كان يالله و قد أسن التئمی وأرعش و ترك النبيذ، فقال له الخمار: ويحك! أبلغ بك الأمر إلى ما أرى؟ فقال: نعم والله، لو لا ذلك لأكثرت عنك^(١٠). والأخرى ما ثبته ابن تغري بردي في أهم أحداث سنة ٢٠٩هـ، يقول: وفيها (أي في سنة ٢٠٩هـ) توفي عبدالله بن أيوب التئمی^(١١).

ولعل الروايات والإشارات التي أوردتها المصادر، والأبيات التي وقفت
عندها في شعره، تقود إلى ما يلي:

- أن الشاعر يعد من شعراء القرن الثاني الهجري، وأنه اتصل بخلفائه من عاصرهم ووزرائهم وكتابهم وقادتهم.
- أن الشاعر نضجت شاعريته في عهد الخليفة الرشيد أي بعد سنة

- أنه كان شاعراً معروفاً في زمن نفوذ البرامكة إلى أن نكبهم الرشيد

(٨) المقطعة رقم ٤ في هذا البحث.

(٩) المقطعة رقم ٣ في هذا البحث.

(١٠) الأغانى، ج ٢٠، ص ٦٨.

(١١) النجم الراهن ج ٢ ص ٢٣٥، والاعلام للزر كلي، ج ٤، ص ٧٢.

سنة ١٨٧هـ.

- أنه لا يعد من المعربين ولكنه أسن وأرعش.
- أنه توفي سنة ٢٠٩هـ على ما أخبرنا به أبو المحاسن بن تغري بردي في النجوم الظاهرة.

إذن فتحديد الفترة الزمنية الواقعة بين ٤٥-١٤٠هـ تاريخاً لولادته، والوثق برواية النجوم الظاهرة في أن سنة ٢٠٩هـ تاريخ وفاته، أمران يمكن الاطمئنان إليهما، والأخذ بهما.

شخصيته:

يمكن التعرف على شخصية الشاعر، مما تناقلته المصادر القديمة، من أقوال القدماء عنه، ومما حمله شعره من ملامح شخصيته لأن الشعر هو النتاج المعيّر عن شخصية الشاعر.

فمما تناقلته المصادر القديمة، ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني من أن التئمي أحد الخلاء المجان الوصافين للخمر، وأنه كان صديقاً لإبراهيم الموصلي وابنه اسحق، وأنه كان نديماً لهما، وجعله أبو الفرج الأصفهاني يستند شعره أو أكثره في وصف الخمر^(١٢). وما أورده الأصفهاني والخطيب البغدادي من أنه كان يجالس الأميين، ويتنفني بالخمر^(١٣).

ويكاد الجانب اللاهي يشكل ملامح شخصيته كما رسمها القدماء في أقوالهم. ولعل ما بقي من شعره يكشف عن ملامح أخرى من شخصيته؛ فشعره

(١٢) الأغانى ج ٣ ص ١٥ وما بعدها.

(١٣) انظر : الأغانى ج ٢٠ ص ٥٨ و ص ٦٠، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٤١٢، وختار الأغانى ج ٨ ص ١٤١.

يشير إلى أنه جاد في حياته، سديد في آرائه، شديد الشكيمة، مقدم في الحروب، حافظ للأمانات، على نحو ما نرى في قوله^(١٤):

أَنَّمَنْ قَذْ بلوتَ فِي سَالِفِ الْدَّهْ رِمْضَنْ شِرْتَى وَلَمْ تَقْنَ سَنَى
فَاصْطَنْعُنِي لَمَا يَنْوِبُ بِهِ الدَّهْ رِفَانْ أَجْزُوزُ فِي كُلِّ فَنِ
أَنَّا لَيْثَ عَلَى عَدُوكَ سَلَمَ لَكَ فِي الْحَرْبِ فَابْتَلَنِي وَصَلَنِي
أَنَّا سِيفَ يَوْمَ الْوَغْىِ وَسَنَانَ وَمِجَنَ إِنْ لَمْ شَقَ بِمَجَنَ
أَنَّا طَبَّ فِي الرَّأْيِ فِي مَوْضِعِ الرَّأْيِ مَعِينَ عَلَى الْخَصِيمِ الْمَعْنَى
وَأَمِينَ عَلَى الْوَدَائِعِ وَالسَّسَّ رِبَّ إِذَا مَا هُوَيْتَ أَنْ تَلْتَمِينِي

وشعره يبرز - إلى جانب ما رأيناه من ملامح جادة في شخصيته - جانبًا مهمًا من شخصيته، وهوإيمانه بالله، وأنه قادر على كل شيء، وتمثله بقوله تعالى^(١٥) إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، على نحو ما نرى في قوله^(١٦):

لَا تَخْضُنَ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ فَإِنْ ذَاكَ مَضَرٌ مِنْكَ بِالْدِينِ
وَارْغَبَ إِلَى اللَّهِ مَا فِي خَزَانِيهِ فَبِنَمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالْلُّؤْنِ

علاقاته الاجتماعية:

يشير ما وصل إلينا من أخباره، وما بقي من أشعاره إلى أنَّ الشاعر كانت له علاقات طيبة، واتصالات وثيقة بخلفاء عصره: الرشيد والأمين والمأمون،

(١٤) انظر: القصيدة رقم ١٧ في هذا البحث.

(١٥) سورة آل عمران الآية ٤٧.

(١٦) انظر: القصيدة رقم ١٦ في هذا البحث.

وأنه مدحهم وأصبح من نمائهم، ومن يترددون على مجالسهم^(١٧). ويوضح ذلك ما روي عن الشاعر أنه قال: "وصرت في جملة من يدخل إليه (يعني الرشيد) بنوية، وأمر أن يدون شعري^(١٨)".

وكانت له اتصالات وثيقة بوزراء عصره وقادته وكتابه، إذ اتصل بالبرامكة ومدحهم، واتصل بيزيد بن مزيد الشيباني، وانقطع إليه حتى مات يزيد، والفضل بن الربيع، والفضل بن سهل الملقب بذى الرياستين في عهد المأمون، والحسن بن سهل وزير المأمون ووالد زوجته بوران.

وارتبط بعلاقات طيبة مع مشاهير الغناء في عصره: إبراهيم الموصلي، وابنه إسحق الموصلي، وحكم الوادي؛ إذ كان ينادهم، وكانوا يصنعون الألحان لشعره ويشدون به في المجالس؛ فعرف اسمه وشاع شعره.

(١٧) انظر: الأغاني ج ٢٠ ص ٦٥ و ص ٦٦، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٤١٢.

(١٨) الأغاني ج ٢٠ ص ٦٦.

ثانياً: شعره
(دراسة موضوعية وفنية)

م الموضوعات شعره^(*):

المديح والرثاء والفخر والحكمة من الموضوعات التقليدية البارزة في شعره والمجنون بما فيه من شعر خمري وتهنك وتغزل بالغلمان من أبرز موضوعاته الجديدة. والمديح فيما بقى من شعره خصّ به خلفاء عصره وزرائهم، إذ مدح من الخلفاء الرشيد والأمين والمأمون، ومدح من الوزراء الفضل بن الريبع، والفضل بن يحيى البرمكي. وهو في مدائنه يتناول المعاني القديمة التي وقف عندها الشعراء القدماء، ويركز عليها، ويولد فيها، ويسبغ عليها شيئاً من المبالغة، و يجعل من المدح شعراً سياسياً يعتمد على الأدلة الدينية في إثبات أحقيّة العباسيين في الخلافة، وهو أمر كانوا يرغبون في سماعه من الشعراً لمواجهة خصومهم من أبناء عمومتهم الشيعة الذين كانوا يناظرونهم أيامه، على نحو ما نرى في قوله مدح الأمين:

خليفة الله خير منتخب لخير أم من هاشم وأب
أكرم بأصلين أنت فرعهما من الإمام المنصور في النسب
خلافة الله قد توارثها أباوه في سوالف الكتب
 فهي له دونكم مورثة عن خاتم الأنبياء في الحقب

ويلخص في مدحه للمأمون على المثل العربية والقيم الإسلامية من شجاعة نادرة، وعلو همة، وعفة في النفس، وطهارة في الخلق، وایمان مقرن بالتنقى، وخوف من الله سراً وعلانية، على نحو ما نرى في قوله:

(*) ينظر في مصدر الشعر وصحّته القسم الثالث من هذا البحث.

ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهر وأحسن منه ما أسر وأضنرا
 ينادي له نفساً تربيع بهمة إلى كل معرف وقلباً مطهراً
 ويخشى لبار الله كل ناظر ويابي لخوف الله أن يتكبراً
 طويل نجاد السيف مضطمر الحشا طواه طراد الخيل حتى تحسراً
 رفل إذا ما السلم رفل ذلة وإن شئت يوماً له الحرب شمراً

والرثاء في شعره يظهر فيه البكاء والتقطيع والتأبين والعزاء، وأما البكاء
 والتقطيع ففي قصidته السينية في مرثية ابنه حبان (حيان) على نحو ما نرى في
 قوله:

لما رمنة المنايا إذ قصّدنَ لَهْ أصبَنَ مني سواد القلب والرأسَا
 فبُتْ أرْعَى نجوم الليل مكتبَاً إدخال سنته في الليلِ قِرْطاسَا

وأما التأبين والعزاء ففي قصidته الدالية في مرثية يزيد بن مزيد الشيباني،
 وفي مرثية منصور بن زياد؛ إذ يشيد بمناقبهم، وينوه بما خلفاه من مآثر، على
 نحو ما نرى في قوله في رثاء يزيد بن مزيد:

لقد عزَّ ربيعة أنَّ يوماً علىها مثلُ يومك لا يعودُ

وقوله في رثاء منصور بن زياد:

عمَّتْ فواضله فعمَّ هلاكُه فالناسُ فيه كُلُّهم مُسَاجُورٌ

والقصيدتان تحملان في أسطر أبياتهما كثيراً من معانٍ التأبين والعزاء.
 وتخلل هذه المعانٍ دفقات من عاطفة البكاء والتقطيع والحزن.

وشعره في الفخر جاء متدخلاً مع الاستعطاف والعتاب، ولم يفرد له قصيدة بذاتها، ويخلو فخره من الإشادة بالقبيلة أو المباهاة بالنسـب، وينحصر فخره في الاعتزاد بالنفس، والتباهـي بمكارم الأخلاق، والتغـنـي بالشجاعة والقوـة والإقدام، وسداد الرأـي، وصون الأمانـة، على نحو ما نرى في قوله:

أنا سيفُ يومَ الْوَغْىِ وسـنـانُ
ومنـجـنـ إنْ لـمـ شـقـ بمـجـنـ
أـنـ طـبـ في الرـأـيـ في مـوـضـعـ الرـأـيـ
يـ معـنـ عـلـىـ الـخـصـيمـ الـمـعـنـ

والحكمة يستمد معانيها من قيمـةـ الإـسـلـامـيـةـ، وتجربـتـهـ الذـاتـيـةـ على نحو ما نرى في قوله:

لـاـ تـخـضـعـنـ لـمـخـلـوقـ عـلـىـ طـمـعـ
فـاـنـ ذـاكـ مـضـرـ مـنـكـ بـالـدـيـنـ
وـارـغـبـ إـلـىـ اللـهـ مـاـتـهـ فـاـنـمـاـ هوـ بـيـنـ الـكـافـ وـالـنـوـنـ
أـمـاـ تـرـىـ كـلـ مـنـ تـرـجـوـ وـتـأـمـلـهـ مـنـ الـخـلـانـقـ مـسـكـيـنـ بـنـ مـسـكـيـنـ

وأما موضوعـاتـ شـعـرـهـ الجـديـدـةـ، فـتـكـادـ تـحـصـرـ فـيـ الـمـجـونـ وـماـ يـتـفـرـعـ مـنـهـ منـ تـغـنـ بـالـخـمـرـ، وـتـعـزـلـ بـالـغـلـمـانـ، وـتـعـلـقـ بـالـجـوـارـيـ. وـتـحـتلـ هـذـهـ المـوـضـوعـاتـ مـجـمـوعـةـ مـنـ مـقـطـعـاتـهـ الشـعـرـيـةـ، وـبـخـاصـةـ الـخـمـرـ الـتـيـ اـسـتـفـدـ شـعـرـهـ أـوـ أـكـثـرـهـ فـيـ وـصـفـهـ كـمـاـ ذـكـرـ أـبـوـ الـفـرـجـ (١١). وـأـظـهـرـ اـفـتـانـهـ بـهـاـ، وـحـبـهـ لـيـاـهـاـ، عـلـىـ نـحـوـ ماـ جـاءـ فـيـ قـوـلـهـ:

وـلـنـ أـنـتـهـيـ عـنـ طـبـ الرـأـحـ أـوـ يـرـىـ بـوـاديـ عـظـامـيـ فـيـ ضـرـيـحـيـ لـاحـذـ
أـضـعـتـ شـبـابـيـ فـيـ الشـرـابـ تـلـذـذاـ وـكـنـتـ اـمـرـأـ غـرـ الشـبـابـ أـكـابـذـ

ويدور مـعـظـمـ شـعـرـهـ الغـزلـيـ حـولـ التـغـزـلـ بـالـغـلـمـانـ، عـلـىـ نـحـوـ ماـ نـرـىـ فـيـ

(١١) الأـغـانـيـ جـ ٢٠ـ، صـ ٥١ـ.

ولى على أغيد مكـور وساحر ليس بمسـحور
تـؤثره الحـور علينا كـما تـؤثره نـحن على الحـور

خصائصه الفنية:

عد القديمـاء الذين رووا أخبارـه وأشعارـه الشاعـر التـيني من الفـصـحـاء،
وأشادـوا به واستحسـنـوا شـعرـه؛ فقد ذـكر التـبرـيزـي أنه فـصـيـحـ كـلامـي^(٢٠) ، وـأوردـ
أبو الفـرجـ الأـصـفـهـانـيـ استـحسـانـ الرـشـيدـ شـعرـهـ، وتـفضـيلـ ما قالـهـ التـينـيـ في رـثـاءـ
يزـيدـ بنـ مـزـيدـ علىـ ما قالـهـ مـروـانـ بنـ أـبـيـ حـفـصـةـ فيـ مـعـنـ بنـ زـانـةـ^(٢١). وـتـوقـفـ
الـخطـيبـ الـبغـدـادـيـ عـنـ إـعـجـابـ الـمـأـمـونـ بـشـعـرـ التـينـيـ؛ إذـ يـروـيـ خـبـراـ يـقـولـ فـيهـ:
كانـ الـمـأـمـونـ يـعـصـبـ لـلـأـوـاـلـ مـنـ الشـعـرـاءـ، ويـقـولـ انـقـضـيـ الشـعـرـ معـ مـلـكـ بـنـيـ
أـمـيـةـ، وـكـانـ الـفـضـلـ بـنـ سـهـلـ يـقـولـ لـهـ: الـأـوـاـلـ حـجـةـ وـأـصـولـ، وـهـؤـلـاءـ أـحـسـنـ
تـقـرـيـعاـ، إـلـىـ أـنـ أـنـشـدـهـ يـوـمـاـ عـبـادـهـ بـنـ أـبـيـ تـينـيـ شـعـرـاـ مـدـحـهـ فـيـهـ، فـلـمـاـ بـلـغـ قـوـلـهـ:

ترـىـ ظـاهـرـ الـمـأـمـونـ أـحـسـنـ ظـاهـرـ وـأـحـسـنـ مـنـ مـاـ أـسـرـ وـأـضـمـرـاـ

إـلـىـ آخرـ الـقصـيـدةـ... فـقـالـ لـلـفـضـلـ: مـاـ بـعـدـ هـذـاـ مـدـحـ، وـمـاـ أـشـبـهـ فـرـوعـ
الـإـحـسـانـ بـأـصـولـهـ^(٢٢).

ولـعـلـ مـاـ حـمـلـتـهـ أـقـوـالـ الـقـدـمـاءـ وـرـوـاـيـاتـهـمـ، وـدـرـاسـةـ مـاـ بـقـيـ منـ شـعـرـهـ مـنـ
حـيـثـ شـكـلـ الـقـصـيـدةـ وـبـنـاؤـهـ، وـلـغـتـهاـ وـمـعـانـيـهـ، وـأـفـكـارـهـ، وـأـوـزـانـهـ، وـقـوـافـيـهـ.
يـسـاعـدـ فـيـ التـوـصـلـ إـلـىـ الكـشـفـ عـنـ خـصـائـصـهـ الـفـنـيـةـ.

(٢٠) شـرـحـ دـيوـانـ الـحـمـاسـةـ لـلـتـبرـيزـيـ جـ ٣ـ صـ ٥ـ.

(٢١) انـظـرـ هـذـهـ الـحـكاـيـةـ فـيـ الـأـغـانـيـ جـ ٢٠ـ صـ ٥٥ـ وـمـاـ بـعـدـهـ.

(٢٢) تـارـيخـ بـغـدـادـ جـ ٩ـ صـ ٤١٢ـ .

شكل القصيدة وبناؤها:

جاء ما بقي من شعره في عشرين قصيدة ومقطعة، يقع أقصرها في بيت واحد، ولعله مطلع قصيدة مدحية طويلة، ويقع أطولها في خمسين بيتاً. وتتوزع المقطوعات على ثمانى عشرة مقطعة، مكونة من بيت أو بيتين أو ... إلى ثمانية أبيات. أما الطويلة فهما قصيدتان، أحدهما تقع في سبعة عشر بيتاً، والأخرى في خمسين بيتاً.

إذن، فشعره موزع على شكلين من أشكال التعبير الشعري هما المقطوعة والقصيدة. والمقطوعة ظاهرة من الظواهر التجديدية التي تحقق في شعر الشعراء العباسيين لتناسب لمتطلبات حاجات الشاعر النفسية، وللتلاعُم مع ذوق العصر. وشعره يخلو من المقدمات التقليدية، إلا أنها نجد مقدمة خمرية في بداية مقطعته البائية المدحية التي يمدح فيها الأمين.

اللغة والأسلوب :

يبدو التّيّمي فيما بقي من شعره حريصاً على أن يتخيّر الألفاظ الملائمة لمعانٍه وأفكاره، ويوفّر لها التلائم والانسجام، ويعبر عما يحسّ به من مشاعر؛ لذلك نراه في شعره الثنائي مثلاً يأتى بالألفاظ المنسجمة مع معانٍ التّابين والعزاء والبكاء والتّفجع، من مثل قوله:

أبعـد يـزـيد تـخـتنـ الـبـواـكـي دـمـوعـاً أو تـصـانـ لـهـا خـدـودـ

فهو يختار الألفاظ الموحية بالحزن والأسى في موضوع الرثاء، ويختار الألفاظ القوية الفخمة في موضوع المدح، ويختار الألفاظ السهلة الرقيقة في موضوعات المجنون من خمر وغزل وغناء متاثراً بقيم عصره الفني، ومتمشياً مع الذوق الحضاري الجديد، على نحو ما نرى في قوله:

طاف طيف في المنلام بمحبِّ مُنْتَهِيام
زورة أبقت سقاماً وشفت بعض السقام
لم يكن ما كان فيها من حرام بحرام
لم تكون إلا فوائعاً وهي في ليل التمام

ومن مظاهر اهتمام الشاعر بالفاظه استعماله بعض الصور البديعية من جناس ناقص ونام، كما رأينا في أبياته السابقة؛ إذ جناس بين (طاف وطيف)، (سقام وسقام) و (حرام وحرام). ومن طباق على نحو ما نرى في قوله:

وصلة حلوة ولكن مجرة مرّ كريمة

تطابق بين (وصله ومجره) و (حلو ومر). والجناس التام والناقص والاشتقافي ينتشر في شعره وفي موضوعاته كلها.

ومهما يكن من أمر، فإن من أهم الظواهر الفنية التي اتسم بها في لغته وأساليبه ظهور السهولة والوضوح في اللغة، مع بعد عن السهولة المفرطة، وتجنب الأنفاظ العامية الدارجة، والبساطة في الصياغة والتركيب، والاستعانة بالألوان والصور البلاغية وصدورها عن طبعه.

٣ - الأفكار والمعاني :

يعد التّيني واحداً من شعراء القرن الثاني الهجري، وهو القرن الذي يتميز شعراً وله بالموازنة في المعاني بين الموروث العربي الإسلامي، والمتذكر الذي أوجده واقع الحياة المتحضرة، لذلك كان شعره وليد عصره وثقافته؛ فاستمد معانيه وأفكاره وصوره من مخزونه الثقافي العربي الإسلامي، وأضاف إليها ما اكتسبه من بيته العباسية المتحضرة.

ف ERAH يزأو ج في مداحه بين ما ورثه من معانٍ عربية وإسلامية؛ كالشجاعة، والبأس، والتقوى، والتواضع، وما اكتسبه من قيم عصره كالمبالغة التي يضفيها على معانيه وصوره، على نحو ما نرى في قوله:

ويخشع إكبار الله كل ناظر ويابي لخوف الله أن يتكبرا
طويل نجاد السيف مضطمر الحشا طواه طراد الخيل حتى تحسرا

ويستمد معاني التأيین والعزاء في رثائه من المثل العربية والقيم الإسلامية.

ويعتمد في افتخاره بنفسه على المعانى الموروثة التي تظهر في إبراز معاناته الشخصية الطويلة، والحديث عن شمائل نفسه المتعددة التي تدور في دائرة الاعتزاد بالشجاعة وسداد الرأي.

ويستلهم في حكمه المعانى القرآنية، ويشيع فيها ما استقر في نفسه من المثل العليا الإسلامية.

ويتسم غزله وشعره في الخمر بالمجون؛ لأنَّه عاش في عصر انتشرت فيه مجالس اللهو والعبث؛ لذلك نرى شعره يتربى في مجالس الغناء من خلال ألحان إبراهيم الموصلي وابنه إسحق الموصلي وحكم الوادي وغيرهم، من مثل قوله:

لا بد من سكرة على طرب لعل روحًا يديل بها من كرب

وقوله:

طاف طيف في المنام بمحب مس نتهام

٤- الأوزان والقوافي:

جاء معظم ما بقى من شعره في بحور الوافر والبسيط والطويل والكامل، وهي من الأوزان الأكثر شيوعاً في الشعر العربي القديم (٢٣). ولعل استعمال هذه البحور كان استجابة لمعاني الرثاء والمدح التي حشدتها الشاعر في مرتيناته لابنه حبان (حيان) ويزيد بن مزيد، ومنصور بن زياد، وفي مدائحه المأمون، والفضل بن الريبع، والفضل بن يحيى. ووّقعت بعض مقطعاته الشعرية في مجزوء الرمل استجابة لموجة الغناء واللهو التي شاعت في العصر العباسي، وهو في أوزانه يزاوج بين التمسك بالمالوف والشائع في الشعر العربي القديم، والخصوص للتجديد الذي خضع له معظم شعراء عصره في أوزانهم الشعرية من ميل إلى الأوزان القصيرة البسيطة والمجزوءة الخفيفة.

واستعمل في شعره قوافي الدال والراء واللام، والنون، والباء، والميم، والعين، والهاء. ووقوع معظم هذه الحروف روتياً في الشعر العربي كثير وشائع، وتقع في المرتبة الأولى من حيث الشيوع (٢٤). ومال الشاعر إلى القوافي المطلقة، وهي تصلح في البحور الطويلة كالبحر البسيط، والطويل، والوافر، والكامل.

وإلى جانب الأوزان والقوافي التي استعملها، وفر الشاعر إيحاءات موسيقاً الشعر الداخلية لمقطعاته الشعرية؛ إذ بثَ هذه الإيحاءات في ألفاظه؛ في حسن اختياره لها، وملامعتها للمعنى، وفيما عمد إليه من محسنات الجنس الناقص والناتم والاستيقافي والطباق، وغير ذلك، على نحو ما نرى في ميماته الغنائية وبانيته في مدح الأمين، وعيينيته في مدح الفضل بن الريبع (٢٥).

(٢٣) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر العربي ص ١٩١

(٢٤) المصدر السابق، ص ٢٤٨ وما بعدها.

(٢٥) انظر هذه القصائد في القسم الثالث من هذا البحث.

ثالثاً : ما بقى من شعره

مصادر شعره:

لم يصل إلينا شعر عبدالله بن أيوب التيني مجموعاً في ديوان؛ إذ لم يشر أحد من الذين ترجموا له وتحتلو عنه من القدماء إلى أنه صنع ديواناً في حياته، أو أنَّ أحداً صنع له ديواناً بعد وفاته. ولعلَ الرواية الوحيدة التي وردت حول شعر التيني هي رواية ابن النديم في كتابه الفهرست التي عرض فيها مقدير أشعار الشعراة المحدثين في المقالة الرابعة من الفن الثاني؛ إذ ذكر أنَّ شعر عبدالله بن أيوب التيني يقع في مائة ورقه^(٢٦)، وأشار في بداية مقالته إلى أنَّ الورقة سليمانية وأنَّ مقدار ما فيها عشرون سطراً^(٢٧).

وبعبارة ابن النديم تبين بأنَّ التيني ليس من الشعراة المقللين، بل توحى بأنه يقترب من الشعراة المكثرين؛ لأنَّ رواية ابن النديم عن مقدار شعره تعني أنَّه خلفَ شعراً يصل إلى ألفي بيت، ولكنني لم أتعذر على هذا المقدار من الشعر في المصادر التي عدتُ إليها، ولم أهتمَ إلى أكثر مما اهتديتُ إليه في هذا البحث.

وشعر التيني لم يجمع في ديوان، ولم يحقق تحقيقاً علمياً، ولعلَ هذا البحث هو المحاولة الأولى التي يجمع فيها ما بقى من شعره. وقد تناول شعره في المجاميع والمظان الأدبية والتاريخية واللغوية، فحفظ ما بقى من شعره من الضياع والتبعثر. ولعلَ أهم مجموعات المصادر التي حفظت شعره هي:

- كتب الترجم والطبقات: وهذه الكتب من أهم مصادر الشعر العربي القديم، وقد عنى بعضها بالشاعر وشعره، فذكر له عدداً من قصائد ومقاطعاته،

(٢٦) الفهرست ص ١٨٦.

(٢٧) المصدر السابق ص ١٨١.

أو اعتنی برواية قصيدة بعينها. وأكثرها احتفالاً بشعره كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهانی، ومختار الأغاني لابن منظور، ووفيات الأعيان لابن خلکان.

- كتب الأدب واللغة: اهتمت هذه الكتب بإيراد شيء من شعر التئمی، وبخاصة دالیته في رثاء يزید بن مزید لشهرتها؛ ومن هذه الكتب الأمالی لأبی علی القالی، والعقد الفريد لابن عبد ربه.

- كتب التاريخ: أورد أصحاب هذه الكتب الشعر ليستدلو به في كتابة التاريخ، ولعل أكثر هذه الكتب عنایة بشعره، تاريخ بغداد للخطیب البغدادی، والکامل في التاريخ لابن الأثير.

- كتب الاختیار: لهذه الكتب أهمیة كبيرة في حفظ الشعر العربي، وهي تأتي في المرتبة الثانية بعد الدواوین الشعریة، وقد حفظ بعضها شيئاً من شعر التئمی، ومن أكثرها احتفالاً بشعره؛ دیوان الحماسة لأبی تمام بشرح المرزوقي وشرح التبریزی.

منهج التحقيق:

يشمل تحقيق النص ما يلي:

أ- ضبط النص: عنيت بضبط النص ضبطاً دقیقاً، مستعيناً بضبط كتب اللغة أو الأدب والاختیار، مرقماً أبیات القصيدة الواحدة.

ب- تخریج النص: يقوم المنهج في تخریج القصائد على إيراد - عقب كل قصيدة أو مقطعة - المصادر التي روت أبیات القصيدة كلها أو بعضها، مجموعة أو مقرقة، وذكر أرقام الأبیات الواردة في كل مصدر، وتسجيل المصدر الذي تعتمد روایته للأبیات أساساً لعرض الروایات المختلفة عليه في بداية التخریج، وتقدیمه على المصادر الأخرى، ومراعاة الترتیب التاریخي لوفاة أصحاب

المصادر التي تروي أبيات القصيدة كلها أو بعضها، وتدوين اسم المصدر ومؤلفه، ورقم الجزء والصفحة، وإرجاء تفصيلات المصدر وصاحبه إلى قائمة المصادر في نهاية البحث، والاقتصار على ذكر بعض المصادر دون أسماء مؤلفيها لشهرة المؤلف كالأغاني، والعقد الفريد، ووفيات الأعيان.

ج- التعريف بالأعلام: ورد في تقديم بعض القصائد أو في أبياتها أو في تخريجها أسماء بعض الأعلام القاده، والولاه، والأمراء، والوزراء، والكتاب، والشعراء، فعرفتها بليجاز، وذكرت بعض مصادر دراستها.

د- اختلاف الروايات: عنيت بإثبات الروايات المختلفة في كل بيت من أبيات القصيدة، مشيراً إلى مصادره، وذاكراً الفروق التي بينها.

هـ- الشروح: شرحت من النصوص الشعرية ما احتاج بيان غرض الشاعر منه، أو تفسير روایاته إلى شرح، وقد حرصت على أن أورد ما وجده في مختلف الكتب العربية من تعليقات وشروح وتفسير لشعر التّنمي، وذكرت المصادر التي استقيت منها هذه الشروح.

و- ترتيب القصائد والمقطوعات:

- رتبت القصائد والمقطوعات ترتيباً هجائياً بحسب حرف الروي.

- رتبت القصائد والمقطوعات التي تلتقي في حرف الروي وفق حركة الروي؛ أبدأ بالمحرك بالكسرة، فالضمة، فالفتحة فالسكون، وإذا تشابهت قافيةتان فينظر إلى البحر، وتقدم ما هو بحرها أحق في التقديم، وذلك حسب ترتيب بحور الشعر المعتمد الذي وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي في الدواين العروضية. وإذا تطابقت قصيدتان أو أكثر في القافية والبحر؛ فتقدم المجردة ثم المؤسسة ثم المردوفة، وتقدم ما هو عدد أبياتها أكثر في صنوف هذا الترتيب.

- أُعطيت كل قصيدة أو مقطعة رقماً في بداية كل قصيدة، وذكرت بعد ذلك بحراها.

"١٠

عشق التئمي جارية لبعض النخاسين، فشكا وجذه بها إلى أبي عيسى بن الرشيد، فقال أبو عيسى للمأمون: يا أمير المؤمنين: إن التئمي يجد بجارية لبعض النخاسين، وقد كتب إليَّ بيتين يسألني فيما ثمنها، فقال: وما كتب به إليك فأنشده: (من الرمل)

١- يا أبا عيسى إليك المشتكى وأخو الصابر إذا عين شكا
٢- ليس لي صبر على فقدانها وأعاف المشرب المشتركا

فأمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها.

التخريج:

البيتان في الأغاني ج ٢٠ ص ٦٣، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٤١٢، ومخترار الأغاني ج ٨ ص ١٤٢.

الروايات:

١- في تاريخ بغداد: إذا عيل اشتكتي.
٢- في تاريخ بغداد: على هجرانها.

"٢٠

وأنشد الأمين أول ما ولَّ الخلافة:

(من المنسرح)

١- لا بد من سكرٍ على طربٍ لعل روحًا يبلُّ من كربٍ

- ٢- فعاظنِها صهباء صافية
 تضحك من لولو على ذهب
 لخَيْرِ أُمٍّ مِنْ هاشمٍ وَلِبِ
 من الإمام المنصور في النسب
 أَكْرَمْ بِالصَّالِينِ أَنْتَ فَرَعَاهَا
 خَلَاقَةُ اللَّهِ قَدْ تَوَارَثَهَا
 فَهَيْ لَهُ دُونَكُمْ مُورَثَةٌ
 عَنْ خَاتَمِ الْأَسْيَاءِ فِي الْحَقَبِ
 سِيَا بْنُ الْذِي فِي ذُوائبِ الْشَّرْفِ الْأَقْدَمِ أَنْتُمْ دُعَائِمُ الْعَرَبِ

التخرّج:

الأبيات كلها في الأغاني ج ٢٠ موزعة على الصفحتين ٥٠ و ٥٩ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٩. والأبيات ١، ٢، ٣ في تاريخ بغداد ج ٩ ص ٤١٢. والأبيات ١، ٣، ٤، ٥، ٧ في مختار الأغاني ج ٨ ص ١٤١.

الروايات والشروح:

- ١- في تاريخ بغداد، لعل روحًا تdal.
- ٢- ويديل وتدال : ينقلب من حال إلى حال.
- ٣- في تاريخ بغداد : أنت منتجب. وفي الأغاني (في رواية أخرى) : أنت منتخب.
- ٤- في الأغاني (في رواية أخرى) : أكرم بغرفين يجريان به إلى وفي مختار الأغاني: أكرم بغرفين يجريان به إلى ...)
- ٧- في مختار الأغاني : يا ابن الذي في ذوابن

وقال:

(من الطويل)

١- إذا ذهبَ الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ وَخَلَقْتَ فِي قَرْنٍ فَانْتَ غَرِيبٌ
٢- وَإِنْ امْرًا قد سارَ خَمْسِينَ حَجَةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرِدِهِ لِقَرِيبٍ

التخريج:

البيتان في الأغاني ج ٢٠ ص ٦٤، الأغاني ج ٨ ص ١٤٣.

"٤"

وقال:

(من الطويل)

١- جَزَعْتَ ابْنَ تَيْمٍ أَنْ أَنْتَكَ مُشِيبٌ وَبَانَ الشَّبَابُ وَالشَّبَابُ حَبِيبٌ

التخريج :

البيت في الأغاني ج ٢٠ ص ٥٩، وعده أبو الفرج الأصفهاني أول بيت في
قصيدة أنشدها الشاعر في مدح المأمون، ولكنه أغفل القصيدة التي أشار إليها،
ولم يذكر إلا مطلعها. والبيت وحكياته في مختار الأغاني ج ٨ ص ١٤١.

وقال:

(من الطويل)

- ١- ولن أنتهي عن طيبِ الرأحِ لو يرى نوادي عظامي في ضريحِ لاجد
- ٢- أضفتْ شبابِي في الشَّرَابِ تلذُّذاً وكتَّ امراً غيرَ الشَّبابِ أكباد

التخريج:

.٥٢ ص ٢٠ ج الأغاني البيتان في

وقال في رثاء يزيد بن مزيد الشيباني:

(من الوافر)

تَسْنِي إِلَيْهَا النَّاعِي المَشِيد
بِهِ شَفَقَكَ وَلَرَكَ الصَّعِيد
فَمَا الْأَرْضُ وَنَحْكَ لَا تَمِيدُ
دَعَائِمَةُ وَهَلْ شَابَ الْوَلِيدُ
وَهَلْ وَضَعَتْ عَنِ الْخَيْلِ الْبُرُودُ
بِرَئَاهَا وَهَلْ يَخْضُرُ غَودُ
بَلِّي وَتَقْوَضُ الْمَجَدُ الْمَشِيدُ
طَرِيفُ الْمَجْدِ وَالْخَسْبُ الْتَّلِيدُ
ثَوَى وَخَلِيفَةُ اللَّهِ الرَّشِيدُ
لَمْهَكَهُ وَغَيْثَتِ اللَّهُوَدُ
وَأَشْرَعَتِ الرَّمَاحَ لِمَنْ يَكُونُ
غَدَاهُ مَضَى وَأَنْ لَمْ يَتَقَبَّلْ

١- أَحْقَافَهُ لَوْدَى يَزِيدُ
٢- لَتَزَرِي مِنْ نَعْيَتِ وَكِفَفَاهَتْ
٣- أَحَلَّمِي الْمُلْكُ وَالْإِسْلَامُ لَوْدَى
٤- تَمَلَّنْ هَلْ تَرَى الإِسْلَامُ مَالَتْ
٥- وَهَلْ شَيْمَتْ سَيُوفَ بَنِي نَزارٍ
٦- وَهَلْ سَقَيَ الْبِلَادُ عَشَارُ مَرْزَنْ
٧- أَمَا هَذَتِ الْمَصْرُعَهُ نَزارٌ
٨- وَحَلَّ ضَرِيحَهُ لَذِ حَلَّ فِيهِ
٩- وَهَذَلِ الْعِزُّ وَالْإِسْلَامُ لَمَّا
١٠- لَقَدْ لَوْقَيَ رَبِيعَةَ كُلُّ نَخْسِ
١١- وَلَتَصْلِتَ الْأَسِنَةَ مِنْ قَاهَما
١٢- نَعَيَ يَزِيدَ لَمْ يَتَقَبَّلْ

- عَبُوسُ الْوَجْهِ زَيْشَهُ الْحَيْد
 وَسَيْفُ اللَّهِ وَالغَيْثُ الْحَمِيد
 يَذْبَعُ عَنِ الْمَكَارِمِ لَوْ يَنْتُدُ
 يُخَافُ وَكُلُّ مُعْضَلَةٍ تَرْوَدُ
 يَقُومُ لَهَا إِذَا اعْوَجَ الْعَنْيد
 بِحِيلَةِ نَفْسِهِ الْبَطَلُ النَّجِيد
 وَلَيْنَ تَحْطُطُ لِرَحْلَاهَا الْوَفُودُ
 عِيْدَ مَا يَقْسِسُ بَهْ عِيْدَ
 بِمَهْجِيْهِ الْمَسْوَدُ وَالْمَسْوَدُ
 نَمْوَاعَاً وَتَصْلَانِ لَهَا خَنْدُود
 عَلَيْهِ بَنْمَعِهَا بَدَأْجَوْد
 فَلِيسَ لِمَنْعِ ذِي حَسْبِ جَمْود
 لَقَدْ لَوْدِيْ وَلَيْسَ لَهُ نَيْد
 قَلَدِيْ مِنْ مَخَاقِهِ الْأَسْوَد
 فَرِيسَ لِلْمَيْتَةِ لَوْ طَرِيد
 سَلْتَرَهُ فَكَانَ لَهَا الْخَأْوَد
 لَوْلَرِشُ وَمَكَارِمِ لَرِمَ لَتَيْد
 غَدْرَنَ بَهْ وَهَنَ لَهُ جَهْوَد
 إِذَا مَا الْخَرْبُ شَبَلَهَا الْوَقْفُود
 إِلَى الْأَبْطَلِ وَالْخَلَانِ حَيْد
 لَلَّا قَاهَا بَهْ حَنْفَ عَيْد
 تُرَى فِيهِ الْحُسْنَوْفُ لَهَا وَعِيد
- ١٣- نَعِيْلَبِي لِزُبِيرِ لَكْلَيْوَم
 ٤- الْوَدِيْ عَصْنَهَ الْبَلَدِي بِزِيد
 ٥- فَمَنْ يَخْضِي حَمَى الْإِسْلَامِ لَمْ مَنْ
 ٦- وَمَنْ يَنْتَعِرُ الْإِلَامُ لَكْلَ خَطَبِ
 ٧- وَمَنْ تَجْلِي بِهِ الْفَرَكُ لَمْ مَنْ
 ٨- وَمَنْ يَحْمِي لِلْخَيْسِ إِذَا تَعْلَمَا
 ٩- وَلَيْنَ يَرْدُمَ مَشْجَعَ وَلَاجِ
 ١٠- لَقْرَزَتْ بِزَلَزِ يَوْمَ لَوْدِي
 ١١- قَلُوْقِيلَ الْفَدَاءِ فَدَاهُ مِنَا
 ١٢- لَبَدَ يَزِيدَ تَخْتَرَنَ لِلْبَوَاكِي
 ١٣- لَمَا وَلَهُ لَا تَنْفَكُ عَيْيَيِ
 ١٤- وَإِنْ تَجْمَدْ نَمْوَعُ لَيْمَ قَوْنِ
 ١٥- وَلَيْنَ يَكَ غَلَهُ حَيْنَ فَلَوْدِي
 ١٦- وَلَيْنَ يَعْشَرَ بَهْ دَهْرَ فَكَمْ قَدِ
 ١٧- وَلَيْنَ يَهَلَكَ يَزِيدَ فَكُلُّ خَيِّي
 ١٨- فَلَيْنَ يَكُ عنْ خَلُودَ قَدْ دَعَنِه
 ١٩- فَمَا لَوْدِي لَمَرْزُ لَوْدِي وَلَبَقِي
 ٢٠- لَمْ تَعْلَمَ أَخِي لَنِ الْمَلِيَا
 ٢١- قَصَنَنَ لَهُ وَكُنَ يَجِنَنَ عَنْهِ
 ٢٢- فَهَلَأِ يَوْمَ يَقْتَلُهَا يَزِيد
 ٢٣- وَلَوْ لَاقَ الْحُسْنَوْفَ عَلَى سِواه
 ٢٤- لَضَرَابَ الْفَوَارِسِ كَلُّ يَوْمٍ

- لَمْ يَأْتِ مَا فِي الْأَرْضِ
 وَهُنَّ أَعْلَمُ بِآيَاتِنَا
 إِنَّمَا يَرَوْنَا مَا أَنْشَأْنَا
 وَهُنَّ لَا يُشَاهِدُونَ
 ١٨- مَنْ يُرَضِي اللَّهَ يُنْهَى
 إِلَيْهِ الْمَرْءُ مَنْ يُرَضِي
 اللَّهَ يُنْهَى إِلَيْهِ
 ١٩- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٢٠- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٢١- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٢٢- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٢٣- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٢٤- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٢٥- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٢٦- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٢٧- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٢٨- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٢٩- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٣٠- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٣١- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٣٢- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٣٣- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٣٤- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٣٥- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٣٦- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٣٧- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٣٨- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٣٩- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٤٠- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٤١- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٤٢- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٤٣- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٤٤- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٤٥- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٤٦- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٤٧- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٤٨- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٤٩- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ
 ٥٠- وَمَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَقِيقَةِ
 فَمَا يَعْلَمُ

التخريج:

الأبيات كلها في العقد الفريد ج ٣ ص ٢٩٣-٢٩٥، والأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٦، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٣٠، ٣٦، ٣٩، ٤٥ في الأمالي لأبي علي القالي ج ٢ ص ٨٤ مشكوك في نسبتها، فهي مرة لمسلم بن الوليد، وأخرى للشاعر التيني، ولذلك جعل شارح ديوان صريغ الغاوي ص ١٤٧ الأبيات التي أوردها القالي قصيدة تحمل الرقم ١٨. والأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥،

الأعلام:

يزيد بن مزيد : هو يزيد بن مزيد بن زاندة الشيباني (ت ١٨٥هـ / ٧٠١م)، أمير وقائد من القادة الشجاعان في زمن هارون الرشيد، كان ولدًا بأرمنية وأندريجان، وانتدبه الرشيد لقتال الوليد بن طريف الشيباني عظيم الخوارج في عهده؛ فقتل ابن طريف سنة ١٧٩هـ، وعاد إلى أرمنية، وكان فيما ولد إليه اليمن. (الأعلام ج ٨ ص ١٨٨).

الروايات والشرح:

- في الأمالى وديوان صريع الغواني، والأغانى، ومختار الأغانى: أحق. وفي الأمالى وديوان صريع الغواني: تأمل بدلاً من تبيّن.
 - في ديوان صريع الغواني: تأمل بدلاً من أتدرى. وفي الأمالى: فكيف فاھت. وفي الأمالى: كان به الصعيد. وفي ديوان صريع الغواني والوفيات والكامل في التاريخ: كان بها. وفي الأغانى، ومختار الأغانى: كان بك. الصعيد : الأرض، وقيل الأرض الطيبة، وقيل هو التراب.
 - في الكامل في التاريخ: أحامي المجد.
 - أودى الرجل ليداء: هلك فهو مود، وهو مأخوذ من ودى النخل، أودى

به الموت: ذهب به.

٥- في الكامل في التاريخ: وهل مالت.

شام سيفه يشيمه شيئاً: أغمهه. واللبد: جمعه ألباد ولبود، وهو ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج.

٦- في الوفيات: نقال مزن.

العشار (في الأصل): النوق الحديثات النتاج. وعشار مزن: سحب ممطرة.

٧- التليد: التقديم، وعكسه الطريف.

٨- يعني أن الرماح أشرعت خالية من أستتها.

٩- أبو الزبير: كنية يزيد بن مزيد، ويكنى أبا خالد أيضاً.

١٠- البداي: الذي يخرج إلى الباية طلباً للقرب من الكلأ.

١١- في الأمالي وديوان صريح الغواني والأغاني ومختر الأغاني والكامل في التاريخ: فمن ... ينوب بدلاً من يخاف. وفي الأمالي: الأنام بدلاً من الإمام. •

١٢- تزود: تشق وتعي.

١٣- تعايا: عي وعجز. والخميس: الجيش.

١٤- ولاج: أي ولاجيء: سهل، حذف الياء كما تحذف من المتنوّص.

١٥- في الأمالي، وديوان صريح الغواني، والأغاني، ومختر الأغاني والوفيات، والكامل في التاريخ: ما تنفك ... عليك.

١٦- في الأمالي، وديوان صريح الغواني، والأغاني، ومختر الأغاني، والكامل في التاريخ: فإن.

١٧- في الأمالي: فإن تهلك . وفي الأغاني، ومختر الأغاني، والوفيات : فإن ...

١٨- في الأمالي، والأغاني، ومختر الأغاني، وشرح العكري، والكامل في التاريخ:

ألم تعجب له أنَّ المنايا فتكن

وفي الحيوان:
ومن عجب قصدين لـه المنايا على عمد وهن له جنود

- أي أن الموت لا يدفع بقوة ولا يمتنع منه برفعه.
- ٣١ في الأغاني، ومختار الأغاني : ... وهن يحدن ... وقد.
- ٣٦ الطنب : حبل طويل يشدَّ به البيت والسرادق، يبين الأرض والطرائق،
والجمع أطناب وطنبة (من لسان العرب مادة طنب).
- ٣٧ إبالة : كثيرة. ومجدول : صريح.
- ٣٩ في الوفيات : وبيكى شاعر والتشب : العقار أو المال الأصيل. I
- ٤٠ محلاة : محبوسة.

"٧"

كان الشاعر التئمي يهوى غلاماً، وكان الغلام يهوى جارية من جواري
القيان، فكان بها مشغولاً عنه، وكانت القينة تهوى الغلام أيضاً فلا تفارقنه، فقال
في ذلك:

(من السريع)

وساحر ليس بمسحورِ
نُؤثِّره نحن على الخُورِ
منتظم الألفة مغمورِ
مقْلُوب صفة مفْسُورِ

- ١ - ويلي على أغيند مكورِ
- ٢ - تؤثِّره الخُورُ علينا كما
- ٣ - علقَ منْ علقَ فيه هوى
- ٤ - وكلَّ منْ تهواه في أمره

الأبيات في الأغاني ج ٢٠ ص ٦٩.

الشروح:

- الأغيد : الناعم المتنثى ، وغيد الغلام : لانت أعطافه فهو أغيد وهي
غيداء والجمع غيد. والممكور: الحسن املاء الساقين، وامرأة ممكورة الساقين
أي خدلاء، وقيل: ممكورة مرتبية الساق خدلة، شبهت بالمكر من النبات،
والمكر: نبت سمى بذلك لارتوائه ونحوه السقى فيه (من لسان العرب مادة
مكر).

"٨"

وقال في رثاء منصور بن زياد :

(من الكامل)

يَنْفِي جِوارِكَ حِينَ لَنْسِ مُجِيرُ
بِجِوارِ قَبْرِكَ وَالدِّيَارِ قُبُورُ
فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُ مَاجُورُ
خَيْرًا لَأَنَّكَ بِالشَّاءِ جَنِيرُ
فَكَانَهُ مِنْ نَشْرِهَا مِنْشُورُ
فِي كُلِّ دَارِ رَنَّةٍ وَزَفَيرٍ
فِي جُوقِهَا جَبَلٌ أَشَمُّ كَبِيرٍ

- ١- لَهَقَ عَلَيْكَ لَهَقَةٌ مِنْ خَائِفٍ
- ٢- أَمَا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنْ أَوَانِسٌ
- ٣- عَمَّتْ فَوَاضِلَةٌ فَعَمِّ هَلَكَةٌ
- ٤- يَثْبِي عَلَيْكَ لِسَانٌ مِنْ لَمْ تُولِيهِ
- ٥- رَدَّتْ صَنَاعَةً إِلَيْهِ حَيَاةٌ
- ٦- فَالنَّاسُ مَأْتَمُهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ
- ٧- عَجَباً لِأَرْبَعِ أَذْرُعٍ فِي خَمْسَةٍ

التخريج :

الأبيات كلها في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ٢ ص ٩٥٠ وما بعدها،

وفي شرح ديوان الحماسة للتبريزى ج ٣ ص ٥. والأبيات ٢، ٣، ٥ في العقد الفريد ج ٣ ص ٢٩١ منسوبة لمسلم بن الوليد.

الأعلام:

• منصور بن زياد : أحد وجوه الدولة العباسية، وكان كاتباً لـ يحيى بن خالد البرمكي، وكان يحيى يقربه ويختص به، ونكتب مع البرامكة (انظر بعض أخباره: الوزراء والكتاب للجهشياري ص ١٨٠ ومواطن أخرى).

الروايات والشرح:

١- في شرح التبريزى : لهما.

• يقول : لي عليك حسرة شديدة من أجل حسرة رجلٍ نابهٍ من حوادث الدهر ما اخترن لي؛ فطلب جوارك ، والاستعادة بفنائك ، وقت لا مجير له ثم لا يجدىك . (من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ٢ ص ٩٥٠).

٢- يقول : فارقت الأحياء ، وفي كل فرقة من فرقهم غم شامل ، وزفرة متصلة ، فاختلطت بالأموات ، فالأنس الذي كان في الأحياء انتقل بانتقالك إلى الأموات ، فديار الأحياء ذات وحشة ونفور ، فهي كالقبور لما حصل فيها من الفجع بك ، وفارقها من نسيم الروح والراحة بفارقك ، وقبور الأموات ذات أنس وقرار بمحاورتها لقبرك ، ولما يغدو ويروح إليها من زوارك . (من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ٢ ص ٩٥١).

٣- في العقد الفريد: عمت فواضله وعمّ مصاباه.

• يقول: إن إحسانه عمُّ الخلق ، وصنائعه شملتهم ، فبحسب ذلك عمّهم الفجيعة به ، فالناس كلهم مصابون مأجورون قد استوت أقدامهم ، وتناسبت أحوالهم فيما نالهم من الحسرة فيك ، وأضر بهم من الخلل الواقع في عيشهم بك (من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ٢

٠ يقول: عرف الناس على اختلافهم، وتبادر أوطانهم فضلك وفواضلك، فانتفقت ألسنتهم في الثناء عليك والحمد لك، فمن لم تُسْدِ إليه خيراً منك، ولم تشركه في النعمة عندك، صار مقتدياً بغيره في اطرافك ومدحك؛ لأنك عندهم كلّهم جدير بذلك. (من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ٢ ص (٩٥١)).

٥- يقول: تذاكر الناس بعوارفك لديهم، ونشرروا محامدك فيهم، فكانك حي لـ يوارك قبر، ولم يقُرَّ بك موت (من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ٢ ص (٩٥١)).

٦- أصل المأتم النساء يجتمعن في الخير والشر. والشاعر جعله ها هنا المصيبة نفسها. والرنين: الصوت، والرننة: الفعلة من الرنين. (من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ٢ ص (٩٥٢)).

٧- الجبل الأشم: الطويل الرأس، ويقال عز أشم: يراد به الارتفاع. (من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ٢ ص (٩٥٢)).

"٩"

وقال في مدح الخليفة المأمون:

(من الطويل)

وأحسن منه ما أسرَ وأضنرا
إلى كل مغروف وقبأ مطهرا
ويلي لخوف الله أن يكبرا
طواه طرداً لخيلاً حتى تخسرا
ولإن شمرت يوماً له الحرب شمرا

١- ترى ظاهر المأمون لحسن ظاهر
٢- يُلْاجِي لَهُ نفْسَ أَتْرَى يُبَهِّهُ
٣- ويخشى إِكْلَالَهُ كُلُّ ناظر
٤- طَوَيلُ نجادِ السَّيْفِ ماضِمُ الْحَشَا
٥- رِقْلٌ إِذَا مَا السَّلْمَ رَفَلَ ذِيله

التاريخ:

الأبيات كلها في تاريخ بغداد ج ٩ ص ٤١٢.

الشروح:

٢- تربيع : تعود وترجع.

٣- نجاد السيف: حمائل السيف، وهي تعلو العائق، ويقال: طويل النجاد: أي أنه طويل القامة. ومضطمر: منضم. !

٤- رفل : واسع في معيشته، عظيم في قومه، سيد عليهم. ورفل إزاره: إذا أسلبه وتختهر فيه.

"١٠"

وكان للشاعر ابن يقال له حبان، مات وهو حديث السن؛ فجزع عليه، وقال

يرثيه:

(من البسيط)

- ١- يا بير هنـد لـذ أصـبحـتـ لي أـنسـا وما عـهـدـكـ لـيـ يا بـيرـ مـتنـاسـا
- ٢- لـوـدـىـ بـحـبـانـ ما لـمـ يـتـرـكـ النـاسـاـ فـامـنـخـ فـوـانـكـ مـنـ أـحـبـلـكـ الـيـاسـاـ
- ٣- لـمـأـرـمـةـ المـنـايـاـ إـذـ قـصـنـنـ لـهـ أـصـبـنـ مـنـيـ سـوـادـ الـقـلـبـ وـالـرـاسـاـ
- ٤- وـإـذـ يـقـولـ لـيـ الـعـوـادـ إـذـ حـضـرـواـ لـاـ تـأـسـ أـبـشـرـ أـبـاـ حـبـانـ لـاـ تـأـسـىـ
- ٥- فـبـتـ أـرـعـىـ نـجـوـمـ الـلـيـلـ مـكـتـبـاـ إـخـالـ سـنـتـهـ فـيـ الـلـيـلـ قـرـنـطـاسـاـ
- ٦- وـالـمـوـتـ دـانـ لـهـ وـالـهـمـ قـارـنـهـ حـتـىـ سـقاـهـ الـتـيـ لـوـدـىـ بـهاـ الـكـاسـاـ
- ٧- رـزـتـهـ حـينـ باـهـيـ الرـجـالـ بـهـ وـقـدـ بـتـيـتـ بـهـ لـلـدـهـرـ آـسـاسـاـ
- ٨- خـلـفـنـسـ مـنـ مـاتـ مـرـدـوـاـ لـنـاـ لـبـداـ حـتـىـ يـرـدـ عـلـيـاـ قـبـلـهـ نـاسـاـ

التخريج:

الأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥ في الأغاني ج ٢٠ ص ٥٢ وما بعدها، ومختار الأغاني (ما عدا الأول) ج ٨ ص ١٣٧، وابن الشاعر في مختار الأغاني اسمه؛ "حيان" بالياء المشددة، والأبيات ١، ٣، ٤، ٦، ٧، ٨ في مروج الذهب للسعدي ج ٣ ص ٤٢٣ منسوبة لزبيدة أم جعفر زوجة الخليفة هارون الرشيد قالتها بعد أن قتل ولدها محمد الأمين، ولعل نسبة هذه الأبيات لزبيدة فيها ضعف؛ لأنَّه لم يؤثِّر عنها أنها شاعرة، ولأنَّ البكاء والتقطيع والحسرة لم يظهر في هذه الأبيات وهي سمات تنسُّم بها المرأة وبخاصة الأم. وقد رأيت أنَّ الحق ما رواه السعدي من أبيات بما رواه أبو الفرج الأصفهاني وابن منظور لتشكل الأبيات جميعها قصيدة واحدة.

الروايات والشروح:

- ١ دير هند : دير بالحيرة يقارب خطبة بنى عبدالله بن دارم بالковفة مما يلى الخندق في موضع نزه، وهي دير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحرقة (ت ٥٧٤هـ/٩١٣م)، وكان كسرى قد غضب على النعمان ابن المنذر فحبسه فأعطيت بنته هند عهداً الله إن رده إلى ملكه أن تبني ديراً تسكنه حتى تموت، فخلَّى كسرى عن أبيها النعمان، فبنت الدير، وأقامت به إلى أن ماتت ودفنت فيه. (انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٢ ص ٥٤١، والأعلام للزرکلي ج ٨ ص ٩٨).
- ٢ في مختار الأغاني : ببيان . وفي مروج الذهب: أودى بالفَك ... فؤادك عن مقتولك ...
- ٣ في مروج الذهب : لما رأيت المنايا قد قصدن له ... أصبن منه ...
- ٤ في مروج الذهب : فبت متكتأً أرعنى النجوم له ...

◦ السُّنَّةُ: الوجه أو دائنته والجمع سُنَّةٌ.

"١١٠

وقال يمدح الفضل بن يحيى:

(من الطويل)

- ١- لعْزُكَ مَا الْشَّرَافُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَلِنَعْظُمُوا لِلْفَضْلِ إِلَّا صَنَاعَةٍ
- ٢- تَرَى عَظِيمُ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشْعًا إِذَا مَا بَدَا وَلِلْفَضْلِ لِلَّهِ خَائِشٌ
- ٣- تَوَاضَعَ لِمَا زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً وَكُلُّ جَلِيلٍ عَنْهُ مَوَاضِعٌ

التخريج :

الأبيات في الأغاني ج ٢٠ ص ٦٣، وشرح ديوان الحماسة للتبزيزي ج ٣ ص ٥، ومختر الأغاني ج ٨ ص ٤٣، والبيتان ١، ٢ في الوزراء والكتاب للجهشياري ص ٣٢٠، وما في مدح الفضل بن سهل.

الأعلام:

الفضل بن يحيى: هو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد وأخوه في الرضاع، كان من أجود الناس، استوزره الرشيد مدة قصيرة، ثم ولأه خراسان سنة ١٧٨هـ وأقام إلى أن فتك الرشيد بالبرامكة سنة ١٨٧هـ، وكان الفضل عنده بي بغداد فقبض عليه وعلى أبيه يحيى وأخذهما معه إلى الرقة فسجنهما واستصنفى أموالهما، وتوفي الفضل في سجنه بالرقة سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م).

الروايات:

- ١-في الوزراء والكتاب : ... وأن عظُموا إلَّا لفضلِ صنائع.
- ٢-في الوزراء والكتاب : ... إذا ما دنا.
- ٣-في شرح ديوان الحماسة : ... وكلَّ ربيع.

"١٤"

دخل الشاعر إلى الفضل بن الربيع في يوم عيد فأشده :

(من الطويل)

ألا إنما آل الربيع ربيعٌ وغيثٌ حيَا للمرمليين مريئٌ
إذا ما بدل آل الربيع رأيَّهم لهم درجٌ فوق العبادِ رفيعٌ

التخريج:

البيتان في الأغاني ج ٢ ص ٦٣، ومخترق الأغاني ج ٨ ص ١٤٢.

الأعلام:

الفضل بن الربيع: هو الفضل بن الربيع بن يونس، يُكَنِّى أبا العباس (ت ٢٠٨هـ/٨٢٤م)، وزير أبيه حازم، كان أبوه وزيرًا للمنصور، واستحبه لما ولَّى أبوه الوزارة، فلما آلت الأمْر إلى الرشيد، واستوزر البرامكة كان الفضل من كبار خصومهم حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة، وكانت نكباتهم على يديه.

وقال في الخمر :

(من المقارب)

شربتُ من الخمر يوم الخميس بالكأس والطاس والقتيل
 فما زالت الكأس تغتالنا ونذهب بـ بـ الأول الأول
 إلى أن تؤافت صلاة العشاء ونحن من السكر لـ نـ قـ ولـ
 فمن كان يعرف حـ قـ الخميس وحق المدام فلا تجـ هـلـ
 وما إـن جـ رـتـ يـ تـنـتـ ماـ زـ حـ ةـ تـهـيـخـ مـ رـاءـ عـلـىـ السـ لـ سـ لـ

التاريخ:

الأبيات كلها في الأغانى ج ٢٠ ص ٥٢، ومخترار الأغانى ج ٨ ص ١٣٧
 منسوبة لعبد الله بن أيوب التميمي : والأبيات ٢، ٣، ٤، ٥ في طبقات الشعراء
 منسوبة لعوف بن محلم الخزاعي.

الأعلام:

عوف بن محلم الخزاعي: شاعر عباسي عاش في النصف الثاني من
 القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث الهجري، وكانت وفاته
 سنة ٢٢٠هـ/١٨٣٥م، ويكنى أبا محلم، وهو من أهل حـ رـانـ. انظر: طبقات
 الشعراء ص ١٨٥، ومعجم الأدباء ج ١٦ ص ١٣٩، والديارات الشابستي
 ص ١٣٥، وشرح شواهد المغني للسيوطى م ٢ ص ٨٢٢، وعوف بن محلـ
 الخـ زـاعـيـ حـيـاتـهـ وـشـعـرهـ لـدـكـتـورـ رـشـديـ حـسـنـ (ـمـجـلـةـ مـؤـتـأـةـ لـلـبـحـوثـ وـالـدـرـاسـاتـ مـ ٨ـ). عدد (٢).

الروايات والشروح:

١- القَنْقَلُ : المِكَالُ الضَّخْمُ.

٢- فِي طَبَقَاتِ الشِّعْرَاءِ : ... حَقُّ النَّعِيمِ، وَحَقُّ الْمَدَامِ

٥- مَرَاءُ : مَنْ مَرَأَ : سَاغُ، وَالسَّلْسُ : السَّلْسُ : الْمَاءُ الْعَذْبُ الصَّافِي مِنَ السَّلْسِ
السَّهْلِ، إِذَا شَرَبَ تَسْلُسُ فِي الْحَلْقِ، وَيَقَالُ شَرَابُ سَلْسٍ وَمَاءُ سَلْسٍ : جَرَتْ
فِي مَنْتَهِ الرِّيحِ فَصَارَ وَجْهُهُ كَالسَّلْسَلَةِ.

"١٤"

وقال :

(من الخفيف)

هَلْ إِلَى سَكَرٍ بِنَاحِيَةِ الْحِيرِ ——————
وَأَبُو التَّيْحَانِ فِي كَفَهِ الْقَرَرِ ——————
وَعَرَارٌ كَاهٌ بِيَذْقَ الشَّطَطِ ——————
رَنْجٌ يَقْنَنُ فِيهِ قَالٌ وَقَيْلٌ ——————
رَبَّةٌ يُومًا قَبْلَ الْمَمَاتِ سَبِيلٌ ——————
وَأَبُو التَّيْحَانِ فِي كَفَهِ الْقَرَرِ ——————
وَعَرَارٌ كَاهٌ بِيَذْقَ الشَّطَطِ ——————
رَنْجٌ يَقْنَنُ فِيهِ قَالٌ وَقَيْلٌ ——————

التَّخْرِيجُ:

الأبيات في الأغاني ج ٢٠ ص ٦٨ و ص ٦٢ ، والرواية المعتمدة ص ٦٨.

الروايات والشروح:

١- فِي الْأَغَانِيِّ (ج ٢٠ ص ٦٢) : ... شَنْعَاءُ يَا قَبِيصُ سَبِيلٍ.

- وَقَبِيصُ هُوَ قَبِيصَةُ ابْنِ عَمِ الشَّاعِرِ كَانَ يَشْرُبُ مَعَهُ فِي حَانَةٍ حَتَّى
سَكَرٌ.

٢- أَبُو التَّيْحَانِ : هُوَ أَخُو الشَّاعِرِ.

"١٥"

وقال :

(من مجزوء الرمل)

محبٌ مُشَاهِدٌ
وشفقتُ بعْضَ الشَّقَاءِ
من حرامٍ بحرامٍ
وهي فِي لَنْيلِ التَّمَامِ

١- طافَ طَيْفَ فِي الْمَنَامِ
٢- زَوْرَةً أَبْقَتْ سَاقَامَا
٣- لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ فِيهَا
٤- لَمْ تَكُنْ إِلَّا فُوَاقًا

التَّخْرِيج:

الأبيات في الأغاني ج ٢٠ ص ٦٥.

"١٦"

وقال :

(من البسيط)

لَا تَخْضَعْنَ لِمَخْلوقٍ عَلَى طَنْبِعِ فَإِنْ ذَاكَ مُضِيرٌ مِنْكَ بِالْأَذِينِ
وَارْغَبَ إِلَى اللَّهِ مَمَّا فِي خَزَانَتِهِ فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ
أَمَا تَرَى كُلُّ مَنْ تَرْجُو وَتَأْمُلُهُ مِنَ الْخَلَاقِ مُسْكِنٌ ابْنَ مُسْكِنٍ

الأبيات في الأغاني ج ٢٠ ص ٧٠، وختار الأغاني ج ٨ ص ١٤٣.

الروايات والشرح:

- يشير في الشطر الثاني إلى قوله تعالى في سورة آل عمران الآية ٤٧؛ «إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون»، وفي غيرها من سور القرآن الكريم.

- في مختار الأغاني: ترجو وتسأله.

二二

وقال پستعطف عمرو بن مسعة ويعاتبه ويُفخر بنفسه:

(من الخفيف)

- ١- يا أبا الفضلِ كيْفَ تُقْتَلُ عَنِي
٢- أنسنتَ الإخاءَ والغَهْدَ والو
٣- أنا منْ قَدْ بَلَوْتُ فِي سَالِفِ الْأَذْهَـ
٤- فَاصْطَبَّتْنِي لِمَا يَنْوِبُ بِهِ الْأَذْهَـ
٥- أَنَا لَيْثٌ عَلَى عَنْوَكَ سَلْمٌ
٦- أَنَا سَيفٌ يَوْمَ الْوَغْىِ وَسَنَانٌ
٧- أَنَا طَبٌ فِي الرَّأْيِ فِي مَوْضِعِ الرَّأْـ
٨- وَأَمِينٌ عَلَى الْوَدَائِعِ وَالسـ
٩- وَإِذَا مَا أَرِيدْتُ حَجَـاً فَرَحـا
١٠- وَلَيْبٌ عَلَى مَقَالِ أَبِي الْعَـ
١١- وَهُوَ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ وَلَكِنْ
١٢- وَظَرِيفٌ عَنْدَ الْمَزَاحِ خَفِيفٌ

- ١٣- كَيْفَ بَاعْدَتْ أَوْ جَفَوْتْ صَدِيقًا
 لَا مُلْوَأً، لَا لَا ، وَلَا مَتَجَنَّ
 ١٤- صَرَتْ بَعْدَ الْإِكْرَامِ وَالْأَنْسِ أَرْضَى
 مِنْكَ بِالْتَّرَهَاتِ مَا لَمْ تَهْنِي
 ١٥- لَمْ تَخْنَى وَلَمْ أَخْنَكَ وَلَا وَلَلَّا
 لَهْ رَبِّي لَا خَنَّتْ مَنْ لَمْ يَخْنَى
 ١٦- إِنْ أَكْنَتْ نَبْتَأْ أَوْ هَجَرْتَ الْمَلَامِي
 وَسَلَاقًا يَجْنَّهَا بَطْنَ دَنَّ
 ١٧- فَحَدِيشِي كَالْتَرْ فَصَلَّ بِالْيَا
 قَوْتَ يَخْرِي فِي جَيْدَ ظَبِّيْ أَغْنَ

التخرير:

الأبيات في الأغاني ج ٢٠ ص ٦٧ وما بعدها.

الأعلام:

عمرٌو بن مساعدة: هو عمرو بن مساعدة بن سعد بن صول، وكنية أبو الفضل الصولي، وزير المأمون، وأحد الكتاب البلغاء، كان يوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، واتصل بالمأمون؛ فرفع مكانته وأغناه، وكان جواداً ممتحناً فاضلاً نبيلاً، توفي سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م.

الشروط:

- ١- أبو الفضل : كنية عمرٌو بن مساعدة.
 ٣- الشرة : الحدة والنشاط والطيش.
 ٥- ابتدل : يقال ابتدل في عمل كذا، وكذا ابتدل نفسه فيما تولاه من عمل،
 والمُبَتَّدِلُ والمُبَتَّدِلُ من الرجل الذي يلي العمل بنفسه (من لسان العرب مادة بذل).
 ٧- طب : خبير.
 ٩- الضيفن : الأحمق.
 ١٦- السلاف : من أسماء الخمر. يجنها : يسترها، يخفيها.

وقال :

(من مجزوء الرمل)

- فِي هِذِهِ الْأُنْيَا تَتَنَزَّلُ
هُجْرَةُ مُرُوكَرِيَّةٍ
كَلَّ عَلَيْهِمْ حَسَدُهُ
نَمَّ بِالْمُلْكِ أَخْرَوْهُ
- ١- مَا لَمْنَ أَهْوَى شَيْءَةٌ
٢- وَصَلَّهُ خَلْوَةٌ وَلَكُنْ
٣- مِنْ رَأْيِ النَّاسِ لِهِ الْفَضْلُ
٤- مِثْلُ مَا قَدْ حَسَدَ الْقَوْمُ

التخريج:

الأبيات كلها في الأغاني ج ٢٠ ص ٥٨، ومختر الأغاني ج ٨ ص ١٤٠،
والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٠٢ و ص ٢٣٥.

وقال يمدح الخليفة العامون :

(من مجزوء الرمل)

- لَمْ يَظْلِمْهُو
نَسَا قَدِيمًا أَكَذَّبُوهُ
بِالذِّي أَوْصَنَى أَخْرَوْهُ
- ١- نُصِيرُ الْمَأْمُونَ عَبْدُ اللَّٰهِ
٢- نَقْضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانُوا
٣- لَمْ يَعْمَلْنَهُ أَخْرَوْهُ

التخريج:

الأبيات في الأغاني ج ٢٠ ص ٥٩، ومختر الأغاني ج ٨ ص ١٤٠-١٤١.

أمر الخليفة محمد الأمين للشاعر بجائزه عشرة آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائنه، فاشترى بها ضبيعة بالبصرة، وقال بعد ابتياعه إياها:

(من الكامل)

- ١- إِنِّي أَشْتَرِيتُ بِمَا وَهَبْتَ لِيْهُ أَرْضًا أَمْوَانَ بِهَا قَرَابَتِيْهُ
- ٢- فَبِحُسْنَ وَجْهِكَ حِينَ أَسْأَلُ قُلْ يَا بْنَ الرَّبِيعِ أَحْمَلُ إِلَيْهِ مِيْهَ

التاريخ:

البيتان في الأغاني ج ٢٠ ص ٦٢، ومخترار الأغاني ج ٨ ص ١٤٢.

الشروح:

١- أمون : من مانه يمونه : احتمل مزونته وقام بكفایته.

الخاتمة

ما الذي انتهى إليه هذا البحث؟ وما الجديد الذي أضافه إلى الدراسات الأدبية؟

انتهى هذا البحث إلى أنَّ الشاعر عبدالله بن أيوب التَّنْمِي شاعر يمثل ظاهرة فنية، وهي ارتباطه بالموروث الفني العربي الإسلامي في موضوعات المدح والرثاء والفخر والحكمة من ناحية، ومحاولته مزج ما ورثه بالجديد المبتكر في عصره من ناحية أخرى.

وأما الجديد الذي أضافه إلى الدراسات الأدبية فهو ما قام به من جمع

وتحقيق علمي، ودراسة شعر عبدالله بن أيوب التئممي دراسة موضوعية وفنية. وشعر التئممي لم يرد مجموعاً في ديوان، ولم يصنعه صانع من عرفاً بصناعة الدواوين. وجمع شعر هذا الشاعر المغمور وتحقيقه ودراسة شعره دراسة موضوعية وفنية يندرج تحت مفهوم الجدة والابتكار في الدراسات الأدبية.

مصادر البحث ومراجعه الأساسية

- د. إبراهيم أنيس (معاصر): موسيقى الشعر العربي، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٥ م.
- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرييم ت ١٢٣٢ هـ / ١٩٠١ م): الكامل في التاريخ، تحقيق د. محمد يوسف الدقاقي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧ م.
- الأصبهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب ت حوالي ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م): محاضرات الأباء، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦١ م.
- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين ت ٥٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م): الأغاني ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦ م.
- البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م): تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت [دون تاريخ].
- التبريزي (أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني ت ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م): شرح ديوان الحماسة، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة حجازي، القاهرة [دون تاريخ].
- ابن تغري بردي (أبو المحسن يوسف ت ٤٦٩ هـ / ١٨٧٤ م): النجوم الظاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢ م.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م): الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٩٦ م.
- الجهشياري (أبو عبدالله محمد بن عبدوس ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م): الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وأخرون، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٨ م.
- ابن خلkan (أبو العباس أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م): وفيات الأعيان

- وأبناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨ م.
- د. رشدي حسن: عوف بن محلم الخزاعي، حياته وشعره، بحث منشور في مجلة مؤته للبحوث والدراسات، مجلد ٨ عدد ٢، جامعة مؤته،الأردن، ١٩٩٣ م.
- الزركلي (خير الدين ت ١٩٧٦ م): الأعلام، ط ٨ دار العلم للملائين، بيروت ١٩٨٩ م.
- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد ت ٥٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م): العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وأخرين، طبع لجنة الترجمة والتأليف والنشر بالقاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت [بدون تاريخ].
- العكברי (أبو البقاء عبدالله بن الحسين ت ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م): ديوان أبي الطيب بشرح العكجري المسمى بالتبیان في شرح الديوان، تحقيق مصطفى السقا وأخرين، طبعة بالأوقست، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨ م.
- القالى (أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عينون ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م): الأمالى، طبعة دار الكتب المصرية، نشر دار الكتاب العربي، بيروت [دون تاريخ].
- د.مخير صالح: رثاء الأبناء في الشعر العربي، ط ١، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن [دون تاريخ].
- المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٩ م): شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون، ط ١، دار الجيل، بيروت ١٩٩١ م.
- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م): مروج الذهب، تحقيق محمد محبي الدين عبدالحميد، ط ٥، دار الفكر، مصر ١٩٧٣ م.
- مسلم بن الوليد (ت ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م): شرح ديوان صريع الغوانى، تحقيق د.سامي الذهان، دار المعارف، مصر ١٩٨٥ م.
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م):

١. لسان العرب، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، مطبع كوستانتوس ماس، القاهرة [دون تاريخ].
 ٢. مختار الأغاني، ط١، على نفقة سمو الشيخ على آل ثاني، المكتب الإسلامي، دمشق [دون تاريخ].
- ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق ت ٤٣٨هـ/٩٩٠م): الفهرست، تحقيق رضا تجدد، إيران ١٩٧١م.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله ت ٦٢٦هـ/١٢٨١م): معجم البلدان، طباعة دار أحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩م.

مع الكتب

إضافات أثرو إلـو كتاب

"شعراء عباسيون"

الأستاذ محمد يحيى زين الدين
سورية

كان المستشرق النمساوي Gustave E. Von Grünebaum قد نشر في مجلة Orientalla عام ١٩٤٨-١٩٥٠ قطعة صالحة مما تبقى من أشعار مطیع بن ایاس وسلم الخاشر وأبی الشمقم في المصادر المختلفة مع دراسة موجزة لحياتهم ولخصائص شعرهم.

ثم كان أن أخرج الدكتور محمد يوسف نجم عام ١٩٥٩ في بيروت ترجمة لتلك الأبحاث، أعاد فيها تحقيق أشعار هؤلاء الشعراء، كما أضاف إليها طائفه من الأبيات التي لم ترد في طبعة المستشرق بلغت نحو ٦٨ بيتاً وملحوظات أخرى قيمة تتصل بتصحيح ضبط بعض الأبيات أو ذكر خلاف الرواية. بين المصادر المعتمدة أو تصويب لما وقع في أشعارهم من تصحيفات، كما تولى الدكتور إحسان عباس مراجعة هذا الكتاب فجاء أقرب إلى الكمال.

ثم نشر الأستاذ حاتم غنيم عام ١٩٧٨ على صفحات هذه المجلة^(١) مقالاً مطولاً عرض فيه بعض ما وقع في هذا الكتاب من هنات أو أوهام، كما تضمن مقاله أيضاً أبياتاً كثيرة - نحو منه بيت - لم ترد في المطبوعة السابقة، وملحوظات أخرى قيمة على بعض ما نسب إليهم من أشعار.

إلا أنني وجدت أشياء أخرى كثيرة يحسن الإشارة إليها، يتصل قسم منها

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني مج ١ العدد ٢ من ٧٩-١٠٠.

بإضافة أبيات لم ترد في الكتاب أو فيما استدرك عليه، وقسم آخر يتصل بتأريخات إضافية لبعض الأبيات من دون أن أشير إلى ما وقع فيها من خلاف في الرواية طلباً للإيجاز، وقسم ثالث يتعلق بما ورد في مقال الأستاذ حاتم غنيم عسى أن ينفع ذلك كله في إخراج طبعة أخرى لهذا الكتاب.

١ - أبيات لم ترد في كتاب "شِعَرُاء عَبَاسِيُونَ" أو فيما استدرك عليه:

أ - مطيع بن إيواس:

من كان تعجبه الأنثى ويعجبها
من الرجال فإنّي شفّني الذّاكِر^(١)
فوق الخامسي لما طرّ شاربة
لم يجف من كبر حتى يرداد به^(٢)

لِهَا لَوْ قَطْرَتْهُ قَطْرًا^(٣)

ب - سلم الخامس:

تَقْنَيْتُهَا حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتُهَا رأيتُ العنايا شرّاعاً قد أظَلَّتْ^(٤)

(١) اللطائف والظرائف ٧١ كما جاءت الأبيات الثلاثة منسوبة إلى أبي نواس في أخبار أبي نواس لابن منظور ٨٨/١، وورد البيت الأول منها منسوباً إلى أبي نواس أيضاً في الصبح المنبي ١٩٢ ولكنها لم ترد في ديوانه.

(٢) كذلك وفي أخبار أبي نواس والصبح المنبي: عما يراد.

(٣) جاءت الأبيات الأربع الأولى من القطعة ٣٤ ص ٩٤ في قطب المسرور ٧٧ يليها البيت السابق كما جاء البيت الرابع منها منسوباً إلى أبي نواس في ديوانه ٥٥٩ وهي أخبار أبي نواس ٦٥/١ لابن منظور وفي محاضرات الأدباء ٢٩٥/٣ وفي ديوان المعاني ٢٣١/١ والرواية ثمة: .. وجهه ..

(٤) المحب والممحوب ٢١٢/٢ كما ورد البيتان الأولى والثانية منها في ديوان العبام بن الأحنف ٦٤ في قطعة في مسيرة أبيات وجاء البيت الثالث ثاني ثلاثة أبيات في ديوان مجرون ليلي ٨٥ كما جاء البيتان ٣، ١ في ديوان كثير عزة ١٠٧، ١٠٢ في كلمة له.

إذا ما رأته أعين الناس كلت
وللقلب وسوسان إذا العين مللت

وَصَدَّتْ بِوْجِهِ يَبْهُرُ الشَّمْسَ حَسَنَةٌ
فَلَلْعِينَ تَهْمَالٌ إِذَا مَا رأَيْتَ هَا

واسقني قبل الصباح^(١)
شرب ذا الماء الفراخ

امزج الراح براح
ليس من ثانٍي فدعني

إِلَيْهِ لَمْ يُخْرَجْ وَلَمْ يَخْنَدْ^(٢)

وَلَا خَيْرٌ فِي الْفَلَازِي إِذَا أَبْسَالَهُ

زها الموت واختالت عليه المقابر^(٢)
كان المانيا يتغى من تفاصير
سالفها والباقيات الغوابر
لكل امرئ من يومه ما يحازر

بِمَوْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ
رَأَيْتَ الْمَلَائِكَةَ يَقْتَذِرُنَّ بِمَوْتِهِ
فَلَوْ بَكَّ الْأَيَّامُ مِنَابَكَتْ لَهُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا لِلْقَنَاءِ مُصْبِرُهُمْ

أوائله عادت إلينا الأواخر^(٤)

حزن كطول الدهر باق إذا مضتْ

شَرِيكَتْ نُومَّا بِسْ هَزْ (٥)
وَبَعْدَتْ طَّولَا يَقْصَدْ زَ

١٧٤) قطب السرور .

١٧٠ / ٣) محاضرات الأدباء .

(٣) الحماية البصرية ٢٤٨/١

٤) محاضرات الآباء ١٦٧

^(٥) دیوان امیر نوایی، ۱۷۲-۱۷۳/۱

ومنها:

و بـ دـ نـ اـ يـ الـ اـ مـ زـ
فـ يـ هـ إـ ذـ اـ مـ تـ دـ زـ وـ زـ

ومنها:

بـ اـ لـ لـ ةـ حـ يـ نـ فـ طـ زـ

طلع الخليفة مطلع الشمسِ
فلا رقاب الجن والإنس^(١)
وعليه مصقول عوارضةٌ
خشن الكريهة لين النفس

وابي لاستحب من الله أن أرى
رديفاً لوصل أو على رديف^(٢)
إذا كثرت ورادة لعيوف

وابي للماء المخالف القذى
يا أيها الملك الذي أضحيتْ وهنته المعالي^(٣)

أنت المنشوه باسمه عند الملمات التقال

(١) الحب والمحبوب ٤٤/١.

(٢) الحب والمحبوب ١٥٦/٢ كما ورد البيتان الأولان (١، ٢) منسوبين إلى يزيد بن

الطيرية في الوحشيات ٣٠٥ بليهما بيت آخر هو:

وأن أرد الماء الموطأ جيزه وأنبع حبلًا منك وهو ضعيف

كما وردت الأبيات الثلاثة السابقة (١، ٢، ٣) منسوبة إلى جميل بشينة في ديوانه: ١٣٩

١٤٠

(٣) جاءت الأبيات الثلاثة الأولى بليها البيت الثالث من القطعة ٤٠ ص ١١٠ ثم البيت الرابع
تلية الأبيات ٢١، ٤ في غير الخصائص ١٧١.

ثُمَّ الَّذِي أَمْوَالَهُ عَنْ الْمَحَامِدِ خَيْرٌ مَا لِ
بَحِيرَى بْنِ خَالِدٍ الَّذِي يُعْطِى الْجَزِيلَ وَلَا يَبْلِي

يُفْوَزُ الْجَوَادُ بِحُسْنِ الثَّيَاءِ وَيُبَقِّى الْبَخِيلُ عَلَى بُخْلِهِ^(١)

مَلَكُ عَزِيزٍ قَاهِرٍ سَلَطَانَهُ^(٢)
عِنْدِي وَلَا يَسِيرُ بِزِيَادَتِهِ إِحْسَانَهُ
ذُرُّ يُساقِطُهُ إِلَيْهِ لِسَانَهُ

يُمسِي وَيُصْبِحُ مَعْرِضًا فَكَانَهُ
لَيْسَ إِسَاعَةً بِنَاقْصَةٍ لَهُ
رَخْصُ الْبَنَانِ كَانَ رَجْعَ كَلَامِهِ

وَأَرَى مَحَاسِنَهَا وَلَسْتُ أَرَاهَا^(٣)
وَكَانَمَا يَعْنِي الْعَذُولُ سَفَاهَةُ

مَالِي عَلَى الْخَطَرَاتِ لَا أَنْسَاهَا
وَيَظْلِمُ يَلْحَانِي الْعَذُولُ سَفَاهَةُ

ج- أبو الشمقمق:

—قَ فَابِطَائِي فِي عَدَادِ الْفَقَاحِ^(٤)
بِمَثَالِ السُّلَاحِ أَوْ بِالسُّلَاحِ

مَنْ يَكُنْ إِبْطَأَةً كَأَبَاطِ ذَا الْخَلَ—
لِي إِبْطَانِ يَرْمِيَانِ جِلِيسِي

(١) جاء البيت مع البيتين، ٢، ٤ من القطعة ٤٥ ص ١١٢ في عيون التوارييخ (ترجمته).

(٢) المحب والمحبوب ١٥٥-١٥٦ كما جاء البيتان الأول والثاني منها في المستطرف منسوبين إلى ابن الرومي (جاء الشطر الثاني من البيت الثالث عجزاً للبيت الثاني) ٢٠/٢ ولكنها لم يردا في ديوانه.

(٣) المحب والمحبوب ١٦٥/٢.

(٤) المثلث ٢٢٢/٢ كما جاءت الأبيات الثلاثة في الكامل ٥١/٣ منسوبة إلى ابن عائشة وجاء البيتان الأول والثاني منها منسوبين إلى ابن عائشة أيضاً في طبقات الشعراء ٣٣٨.

فَكَانَىْ مِنْ بَيْنِ هَذَا وَهَذَا
جَالِسٌ بَيْنَ مُصْعَبٍ وَصَبَاحٍ

وَأَصْبَحَتْ مِنْ عُمْرِهِ وَأَحْمَدَ... وَمَا أَنَا مِنْ سَبِّ الْإِلَهِ بِيَانِسِ^(١)
يَلْقَى أَبَا الْعَبَاسِ أَحْمَدَ عَابِسًا لَا خَيْرَ فِي عُمْرِهِ وَلِيَسْ بِعَابِسٍ

كَتَبَتْ عَلَىْ حِرَاءَ امَّ أَبِي نُواَسِ
أَبَا جَادَ وَهَوَازَ وَخَطَّيِ^(٢)
فَإِنْ هُمْ غَيْرُهُ عَرَفُتُ خَطَّيِ
وَصَيَّرْتُ الْخَتَامَ عَلَيْهِ أَيْرِي

ما الْعِيشُ إِلَّا فِي جَنَوْنِ الْمَدَامِ^(٣)
فَإِنْ تَقْضَى فِي جَنَوْنِ الصَّبَا

- تخريجات وتعليقات:

لم يتخذ المحققان نهجاً محدداً في ذكر مصادر التخريج، فهما بما أن يعتدا
اسم المؤلف حيناً أو عنوان الكتاب حيناً آخر. فمن ذلك مثلاً ما جاء في تخرج
القطعة ١٦ ص ١٠٠ "الجهشياري وزهر الآداب والتورى وطراز المجالس" أو
في تخرج القطعة ٣٠ ص ١٠٦ "الحيوان.. العمدة.. التورى.." أو في تخرج

(١) فوات الوفيات (ترجمته).

(٢) ديوان أبي نواس ٥٧/١ كما ورد في ٤٤/١ منه وفي محاضرات الأدباء ٢٨٠/٣
منسوبيين إلى زبيور بن أبي حماد.

(٣) جاء البيت منسوباً إلى أبي نواس في سرقات أبي نواس ص ٩١ ولكنه لم يرد في ديوانه.
كما ورد في ص ١٤٩ من المصدر السابق منسوباً إلى أبي الشمقق وفيه: "وَقَدْ ذَكَرَ
مَهْلِكَهُ فِي هَذِهِ -أَيْ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى حِمْزَةَ الْأَصْفَاهَنِيِّ- اثْنَيْ عَشَرَ بَيْتاً لَمْ تَقْعُ هِيَ وَلَا
قَصَانِدَهَا عَنِّي، وَهِيَ.. قَالَ مَا ذَكَرَهُ قَوْلُهُ: مَا الْعِيشُ.. فَمَنْ قَصِيدَهُ لَيْسَ لَهُ وَإِنَّمَا هِيَ
لِابِي الشِّمْقَقِ وَتَحْلِلُ إِلَيْهِ". كما ورد البيت منسوباً إلى أبي نواس أيضاً، يليه بيت آخر،
في شرح المقامات ١٥٤/١ وفي المحب والمحبوب ٤/١٩٦ وإلى الطعوي في الصناعتين
٢٠٣-٢٠٤. كما جاء منسوباً إلى أشجع السلمي في كتاب الأوراق ١١٣ في كلمة له.

القطعة ٣٦ ص ١٠٨ "السعودي.. والطبرى...". ومثله أيضاً ما وقع في الترتيب الهجائي للمراجع إذ أنها أثبتنا مثلاً الموازنة بين أبي تمام والبحتري في حرف الألف على أن اسم المؤلف (الأمدي) يبدأ به، وكتاب الوزراء والكتاب في حرف الجيم نسبة إلى مؤلفه (الجهشياري) بينما تجد مثلاً كتاب زهر الآداب في حرف الزاي وكتاب الكامل في حرف الكاف، إلا أنك تجد كتاب القول في البفال للجاحظ في حرب الباء.

كما سها المحققان عن تخریج أبيات كثيرة وردت فيما اعتمداه من مصادر:

- ص ٣٠ (١): جاء البيتان في محاضرات الأدباء ٥٥٤/٢ وثمرات الأوراق ٤٧٣^(١).
- ص ٤٠ (١٨): جاء البيت الرابع منها في محاضرات الأدباء ٥٢٥/٤ كما ورد في المنتحل ٤٦ من دون نسبة.
- ص ٤٢ (٢١): جاء البيتان في قطب السرور ٧٨ باختلاف في القافية (يعتمر، المعتمر).
- ص ٤٩ (٣٣): جاءت الأبيات الثلاثة منسوبة إلى ديك الجن في ديوانه ٤٩.
- ص ٥٢ (٣٨): جاءت الأبيات ٤، ٣، ٥ منها في قطب السرور ٧٦.
- ص ٥٤ (٤٢): جاءت الأبيات ١، ٦-٣ منها في قطب السرور ٧٨.
- ص ٥٧ (٤٧): جاءت الأبيات الثلاثة في ملحقات ديوان بشار بن برد ٧٢-٧١/٤.
- ص ٦٤ (٦١): جاء البيت في غرر الخصائص ٣١٧.

(١) الرقم الأول للصفحة والرقم الثاني للقطعة كما جاءت مرقمة في كتاب "شعراء عباسيون".

- ص ٦٩ (٧١): جاءت الأبيات ١، ٤، ٣، ٥، ٨ في الحماسة البصرية -
.٢٢٤/٢
- ص ٧٦ (٢): جاءت الأبيات بتمامها في قطب السرور ٧٥ -
- ص ٩٣ (٣): جاءت الأبيات ٦-٨ في الحماسة البصرية ١٩٢/١ كما ورد -
البيتان ٧، ٨ في المصنون في الأدب ٦٧، ٩٩-١٠٠.
- ص ٩٤ (٤): جاءت الأبيات بتمامها في المحب والمحبوب ٩٥/١ -
منسوبة إلى ابن المعتر وهي كذلك في ديوانه ٣٢٤/١ كما جاءت أيضاً في
البصائر والذخائر ٥٦٤/٢ وفي حماسة الظرفاء ٧٧/٢ وفي محاضرات
الأدباء ٨٠/٣ وفي معاهد التصصيص ٨٥/٣ وفي الصناعتين ٤٤٦ من
دون نسبة.
- ص ٩٥ (٦): جاء البيتان في المستطرف ١٦٢/١ -
- ص ٩٦ (٩): جاء البيتان في تاريخ الخلفاء ٢٨٢ -
- ص ٩٧ (١٠): جاءت الأبيات الخمسة الأولى في بهجة المجالس ١٥٥/١ -
.٣١٨-٣١٧/٢
- ص ٩٧ (١١): جاء البيت منسوباً إلى مسلم بن الوليد في ذيل ديوانه ٣١١ -
كما ورد في محاضرات الأدباء ٢٨٥/٣ منسوباً إلى عمرو بن أحمر
(شعره: ٤ عن المصدر السابق).
- ص ٩٩ (١٥): جاءت الأبيات ١٥-٧، ١٥-١ تليها الأبيات ١٣-١٥ من -
القطعة (١٥ ب) ثم البيتان ١٧-١٦ في تاريخ الخلفاء ٢٨١.
- ص ١٠٠ (١٦): جاء البيت في خزانة الأدب ٢١١ كما ورد في المخلة
١٢٧ من دون نسبة.
- ص ١٠٠ (١٧): جاءت الأبيات الأربع الأولى (١، ٤، ٢، ٣) في تاريخ -
الخلفاء ٢٩١.

- ص ١٠١ (٢٠): جاء البيتان ٢٣، ٢٤ منسوبين إلى أشجع السلمي يليهما بيت آخر في المستجاد من فعلات الأجواد ٨٦ هو:
- وَصَدَرَ فِيهِ لِلْهَمَّ اتْسَاعٌ إِذَا ضَاقَتْ مِنَ الْهَمِّ الصُّثُورُ
- كما جاء البيت ٢٣ منسوباً إلى أشجع أيضاً في شرح المقامات ٣٧/١.
- جاءت الأبيات الثلاثة السابقة في المحسن والمساوي ٥٥/٢ وهي بهجة المجالس ٥١٤-٥١٥ من دون نسبة. كما جاء البيتان الأول والثالث منها في غرر الخصائص ١٣٣ منسوبين إلى عنان وجاء البيتان الأول والثاني منها في ص ٦٦ من المصدر السابق من دون نسبة.
- ص ١٠٣ (٢٣): جاءت الأبيات ٦-١ (ورد صدر البيت الثالث مع عجز البيت الرابع، وورد صدر البيت الرابع مع عجز البيت الثالث) مع البيت الأول من القطعة (٤) في تتبية الأديب ٢٦٣-٢٦٤.
- ص ١٠٤ (٢٤): جاء البيتان (٢، ١) في بهجة المجالس ١٢٢/١ كما جاء البيت الأول في تتبية الأديب ٢٦٢.
- ص ١٠٦ (٣٠): جاء البيتان في الحماسة البصرية ١٦١/٢ وفيها: "قال سلم الخاسر وقد نسبها الجاحظ إليه ولم يذكر في ديوانه" كما ورد في التذكرة السعدية ٤٨٩/١ وفي المحب والمحبوب ٢٢٥/١ من دون نسبة.
- ص ١٠٧ (٣٢): جاءت الأبيات الثلاثة في الحماسة البصرية ١٤٩/١.
- ص ١٠٨ (٣٥): جاء البيت الثاني في محاضرات الأدباء ١٤٧/٣.
- ص ١٠٨ (٣٦): جاء البيتان في غرر الخصائص ٢٨٢ منسوبين إلى سيف بن إبراهيم.
- ص ١١٠ (٣٩): جاء في تخريج البيتين: "الصناعتين.. والمحاضرات.." وإنما الصواب: جاء البيت الأول في الصناعتين.. وجاء البيت الثاني في المحاضرات. كما جاء البيت الأول منهما في زهر الأدب ١٧٠/١

- وسرقات أبي نواس ١٠٨ منسوباً أيضاً إلى سلم الخاسر، والصواب أنه لمسلم بن الوليد. ديوانه ١٤٢ والمحب والمحبوب ٤/٢٤٤.
- ص ١١٠ (٤٠): جاء البيتان الأول والرابع في بهجة المجالس ١٧٢/١ كما وردما في حماسة الظرفاء ٢/٢٣٠ من دون نسبة وورد البيت الرابع منها في محاضرات الأدباء ٥٧٩/٢ منسوباً إلى مسلم بن الوليد (ذيل ديوانه ٣٣٦ عن المصدر السابق) وفي حماسة البحتري ٢٣١ من دون نسبة.
- ص ١١١ (٤٢): جاء الشطر في ذيل ديوان مسلم بن الوليد ٣٣٥ عن محاضرات الأدباء (٣٠٥/٢، القاهرة ١٢٨٧هـ) والصواب أنه لسلم الخاسر في الموضع المذكور من الكتاب.
- ص ١١٢ (٤٥): جاء البيتان ٢، ٤ في المخلة ١٠٧ من دون نسبة.
- ص ١١٣ (٤٧): جاء البيت المفرد منسوباً إلى الحسين بن الصحاح في كتاب الزهرة ٤٠ وفي أشعاره ٩٦.
- ص ١٢٠ (٦٠): جاء الشطر منسوباً إلى مسلم بن الوليد في ذيل ديوانه ٣٣٥ وتنتهي:
- إذا خَطَرْتُ أَرْمَاحَةً وَمَنَاصِلَةً
- ص ١٣١ (٢): جاءت الأبيات ١، ٢، ٦-٤، ٨ في شرح المقامات ٦٣/١ منسوبة إلى أبي الشقمق كما جاء البيتان ١٢، ١٠ يليهما بيت آخر ثم البيت ١٩ منسوبة جماعها إلى أبي نواس في ديوانه ٢٠/١ وهو:
- وَكَيْفَ تَنَالُ مَكْرُمَةً وَمَجَداً وَخَبِيزُكَ مَحْرِزٌ جَوفُ الْعَبَابِ
- كما جاء البيت التاسع في محاضرات الأدباء ٢٨٨/٣ من دون نسبة والبيت ١٢ في ديوان المعاني ١٨٧/١ من دون نسبة أيضاً.
- ص ١٣٢ (٥): جاءت الأبيات الثلاثة الأولى في شرح المقامات ٦٣/١ من دون نسبة.

- ص ١٣٤ (٨): جاء البيت المفرد في الأغاني ١٠٧/٢٠ منسوباً إلى أبي عيينة المهلبي وقبله بيت آخر هو:
- رأيُ الناسَ همَّهمُ المعالي
وعيسى همة جمع السماد
- ص ١٣٤ (٩): جاءت الأبيات الثلاثة في شرح المقامات ٢٧٣/٢.
- ص ١٣٦ (١٦): جاءت الأبيات ١، ٤، ٢ منسوبة إلى أبي نواس في أخبار أبي نواس لأبي هفان ص ١٠٣. كما وردت الأبيات الثلاثة السابقة في الفكاهة والإيتاس ٣٥ يليها بيتان آخران هما:
- ولو شاءَ إلَّاهِي حملتْ رجلي وأيْرِي
صَرِّيَتْ ذَا فِي غِلَافِ والرجل في جوف سينِي
- ص ١٣٦ (١٧): جاء البيتان ١، ٣ في شرح المقامات ١٦٣/٢ وفي المحسن والمساوي ٢٠١/١ وفي حماسة الظرفاء ١٤٠/٢ من دون نسبة كما ورد البيت الثالث في ديوان المعاني ١٨٦/١ من دون نسبة أيضاً.
- ص ١٤٤ (٣٣): جاءت الأبيات الثلاثة منسوبة إلى أبي نواس في ديوانه ٨٤ بخلاف في الرواية.
- ص ١٤٥ (٣٦): جاء البيت الثاني في غرر الخصائص ١٩٢.
- ص ١٤٥ (٣٧): جاءت الأبيات الثلاثة (٢، ١، ٣) في شرح المقامات ٤٢/٢ كما وردت في المحسن والمساوي ٢١٧/١ من دون نسبة.
- ص ١٤٦ (٣٩): لم ينسب هذا البيت إلى أبي الشمقق في الموضع المذكور من الكتاب وإنما ورد معطوفاً على شعر له.
- ص ١٤٦ (٤٠): جاء البيت في كتاب الورقة ٦٤ وفي المحسن والمساوي ٢٣٤/٢
- ص ١٤٧ (٤١): جاء البيت الأول يليه البيت الذي أورده المحقق في

- الحاشية في المستطرف ١٣٨/٢ منسوبين إلى أبي الشمقمق.
- ص ١٤٧ (٤٢): جاء البيتان في المستطرف ٩٦/٢ كما وردا في الإبانة عن سرقات المتنبي ٢٦١ وفي الصبح المنبي ١٣٥ من دون نسبة.
- ص ١٥٠ (٤٧): جاء في تخریج البيت: "المکتبة الجغرافية.. وياقوت منسوباً إلى محمد بن السري".
- لم يرد هذا البيت في معجم البلدان منسوباً إلى ابن السري وإنما جاء فيه: " وأنشدني محمد بن السري... (البيت)" كما ورد البيت في اللسان والتاج (أرج) من دون نسبة.
- ص ١٥١ (٥١): جاء البيت الثاني في المستطرف ٣/٢ .
- ص ١٥٢ (٥٢): جاءت الأبيات ١، ٣، ٤ في شرح المقامات ١٧٠/١ .
- ص ١٥٢ (٥٣): جاء في تخریج الأبيات: "الثمار.. والمستطرف.." . كذا وإنما الصواب: جاء البيتان ٢، ٣ في المستطرف.

- ٣ - ملاحظات حول ما أورد الأستاذ حاتم غنيم في مقاله من أبيات لم ترد في "شعراء عباسيون":

- ١ - ص (٨٣، هـ): جاءت الأبيات ٤-١ في شرح المقامات ١٧٩/٢ كما جاء البيتان ٤، ١ في محاضرات الأدباء ٢٧٦/٣ (جاء صدر الأول وعجز الثالث) وفي المخلاة ٢١١.
- ٢ - ص (٨٥، أ): جاء البيتان في ملحقات ديوان بشار بن برد ٤/٤ والرواية ثمة: (قبا، سوا، هجا) كما وردا في بهجة المجالس ٥٢٩/١ من دون نسبة. كما ورد البيت الأول في محاضرات الأدباء ١/٩٢، ٧١١/٤ من دون نسبة والرواية ثمة: (قبا، سوا) وفي خزانة الأدب ٧٩، ١٣٥ من دون نسبة أيضاً.

- ٣ ص(٨٧، ط): جاء البيتان منسوبين إلى نعيم النبهاني في التذكرة السعدية ١/٥٣١ كما ورداً في المحب والمحبوب ١٥٥/١ وفي الأشباء والنظائر ١/٢٠٢ وفي البصائر والذخائر ٣٧٨/١ وفي نهاية الأرب ٧١/٢ من دون نسبة.
- ٤ ص(٨٨، ع): جاء البيتان في المحب والمحبوب ٩٥/١ منسوبين إلى سلم الخاسر كما ورداً أيضاً في معجم البلدان (الحلس) منسوبين إلى ابن هرمة في قطعة في ستة أبيات (شعره: ١٣٦-١٣٥ عن المصدر السابق). كما جاء البيت الأول في عيون الأخبار ٤/٢٦ من دون نسبة.
- ٥ ص(٩٠، أ): جاء البيتان ١، ٤ في الأغاني ١٠/٢٥٣-٢٥٢ منسوبين إلى أبي دلامة كما وردت الأبيات ١، ٢، ٣، ٥ في محاضرات الأدباء ٢/٥٥٤ منسوبة إلى أعرابي.
- ٦ ص(٩٢، ز): جاءت الأبيات الثلاثة (١، ٢، ٣ عن الأصمسي) في زهر الأداب ١/١٦٠ من دون نسبة.
- ٧ ص(٩٢، ح): جاءت الأبيات الثلاثة في المحسن والأضداد ٦٥ من دون نسبة.
- ٨ ص(٩٣، ك): جاءت الأبيات ١، ٤، ٥، ٢، ٣، ٦ في غرر الخصائص ٢١٣ من دون نسبة.
- ٩ ص(٩٣، س): جاء البيتان في معجم البلدان (حلوان) من دون عزو وجاء البيت الثاني في شرح المقامات ٢٣٧/٢ من دون نسبة وقبله بيت آخر هو:
 ما كنتُ أحسبَ أنَّ الْخِبْرَ فَاكِهَةً حَتَّى نَزَلتُ عَلَى قَوْمٍ بِمِنِيسَانٍ
 كما ورد البيت الثاني أيضاً في المنتحل ١٥٩ منسوباً إلى بشار بن برد (ديوانه ٤/٢٤٦ عن المصدر السابق).

أهم المصادر:

- | | | |
|---|---------------------------------------|---|
| ١- الإبانة عن سرقات المتنبي
القاهرة ١٩٦٣ | العميدي
القاهرة ١٩٢٤ | ٢- أخبار أبي نواس
أبو هفان
الخالديان |
| ٣- أخبار أبي نواس
الأشباء والنظائر | ٤- أخبار أبي نواس
الأشباء والنظائر | |
| ٥- أشعار الحسين بن الصحاك | | |
| ٦- الأغاني (دار الكتب)
القاهرة ١٩٧٤-١٩٢٧ | الأصفهاني
القاهرة ١٩٣٤ | ٧- الأوراق في أخبار الشعراء المحدثين الصولي |
| ٨- البصائر والذخائر | التوحيدى
دمشق ١٩٦٤ | ٩- بهجة المجالس |
| ١٠- تاريخ الخلفاء | ابن عبد البر
القاهرة ١٩٦٢ | ١١- تنبيه الأديب |
| ١٢- ثمرات الأوراق | السيوطى
القاهرة ١٩٥٢ | ١٣- حماسة البحترى |
| ١٤- الحماسة البصرية | ابن حجة الحموي
القاهرة ١٩٧١ | ١٥- حماسة الظرفاء |
| ١٦- خزانة الأدب | الزوزنى
بغداد ١٩٧٨ | ١٧- ديوان بشار بن برد |
| ١٨- ديوان جميل بثينة | ابن حجة الحموي
القاهرة ١٣٠٤ هـ | ١٩- ديوان ديك الجن |
| ١٩- ديوان ديك الجن | تونس ١٩٧٦ | |
| | القاهرة ١٩٦٧ | |
| | بيروت ١٩٦٤ | |

- | | | |
|--|--|---|
| ١٩٥٤
القاهرة
بيروت ١٩٧١
القاهرة من دون تاريخ
القاهرة ١٩٥٧
القاهرة ١٣٥٢ هـ
القاهرة ١٩٧٧ - ١٩٧٨
القاهرة ١٩٥٨
القاهرة ١٩٥٣
القاهرة ١٩٥٣
بيروت ١٣٥١ هـ
القاهرة ١٩٥٧
القاهرة ١٣١٤ هـ
دمشق ١٩٦٩
دمشق من دون تاريخ
القاهرة ١٩٥٢
القاهرة ١٩١٢
دمشق ١٩٦٩
القاهرة من دون تاريخ | العسكري
العسكري
حمزة الأصفهاني
الحصري
مهلل بن يموت
الشريشي
العسكري
الوطواط
الرقيق النديم
المبرد | ٢٠ - ديوان العباس بن الأحنف
٢١ - ديوان كثير عزة
٢٢ - ديوان مجنون ليلي
٢٣ - ديوان مسلم بن الوليد
٢٤ - ديوان المعاني
٢٥ - ديوان ابن المعتر
٢٦ - ديوان أبي نواس (٤-١)
٢٧ - ديوان أبي نواس
٢٨ - زهر الأدب
٢٩ - الزهرة
٣٠ - سرقات أبي نواس
٣١ - شرح العقامتات
٣٢ - شعر ابن هرمة
٣٣ - شعر عمرو بن أحمر
٣٤ - الصناعتين
٣٥ - غرر الخصائص
٣٦ - قطب السرور
٣٧ - الكامل |
|--|--|---|

٤٨ - الطائف والظرائف	الثعالبي	القاهرة ١٣٢٥هـ
٤٩ - المثلث	ابن السيد البطليوسى	بغداد ١٩٨١
٤٠ - المحاسن والأضداد	الجاحظ	القاهرة ١٣٢٤هـ
٤١ - المحاسن والمساوئ	البيهقي	القاهرة ١٩٠٦
٤٢ - محاضرات الأدباء	الراغب الأصفهانى	بيروت ١٩٦١
٤٣ - المحب والمحبوب	السرى الرفاء	دمشق ١٩٨٦
٤٤ - المخلة	العاملى	القاهرة ١٣١٧هـ
٤٥ - المستجاد من فعلات الأجواد	التوخى	دمشق ١٩٤٦
٤٦ - المستطرف	الأبشيهى	القاهرة ١٩٤٢
٤٧ - المصون في الأنب	العسكري	الكويت ١٩٦٠
٤٨ - معاهد التنصيص	العباسي	القاهرة ١٩٤٧
٤٩ - معجم البلدان	باتوت الحموي	بيروت ١٩٧٧
٥٠ - المنتحل	الثعالبي	الإسكندرية ١٩٠١
٥١ - نهاية الأرب	النويرى	القاهرة ١٩٢٣-١٩٧٦
٥٢ - الورقة	ابن الجراح	القاهرة ١٩٥٣

تعليقات ومناقشات

تقحيم قاعدة نحوية

"إضافة الجهات الأربع"

الأستاذ صبحي البصام

١ - إضافة الجهات الأربع:

يدلني استقرائي للغة العرب الفصحاء ومن اقتدى بهم على أنَّ الجهات الأربع الشرق والغرب والشمال والجنوب، وكلها بفتح أولها، إذا أضيفت فالأكثر أن يلحق بآخرها ياء النسب المشددة. فمثلاً يقال في قرية (هي غرب الموصل)، على أنه يقال أحياناً (هي غرب الموصل) بحذف الياء، ويقال (مات في شرقى بغداد ودفن في غربها)، ويقال أحياناً (مات في شرق بغداد ودفن في غربها)، ويقال (تحولت من شمالي عمان إلى جنوبها)، ويقال أحياناً (تحولت من شمال عمان إلى جنوبها)، فإذا أضيف اسم من أسماء الجهات الأخرى لم يلحق بآخره الياء المشددة، فمثلاً يقال (وقفت أمام الشجرة ثم قعدت تحتها)، ولا يقال: (وقفت أمامي الشجرة ثم قعدت تحتها). وأنا ذاكر هنا شواهد للجهات الأربع تؤيد ما ذهبت إليه:

٢ - مما الحق بآخره ياء النسب:

أ - نحو شرقيَّ:

قول زهير بن أبي سلمى (الديوان):

ثم استمرروا و قالوا إنَّ مشربكم ماءَ شرقيَّ سلمى فِينَدُ أو فَندُ

وقول مالك بن الريب (معجم ما استعجم ج ٤ - المنيفة):

بَيْنَ الْمَنِيفَةِ حِيثُ اسْتَنَّ مَدْفَعَهَا وَبَيْنَ فَرْدَةَ مَنْ شَرَقَهَا قَبْلًا

وقول مطرود بن كعب (معجم ما استعجم ج ٣ ص ٩٩٧):

وَمَيَّتْ أَوْجَعْنَى فَقَدْهَ مَاتَ بَشْرَةَ الْبَنِيَّاتِ

وقول جرير (الديوان ص ٤٩٣):

هَبَتْ شَمَالًا ذَكْرِي مَا ذَكَرْتُكُمْ إِلَى الصَّفَاهَةِ الَّتِي شَرَقَى حُورَانًا

وقول عدي بن الرقاع (الديوان ص ٤٤):

أَتَرَفْ بِالصَّحْرَاءِ شَرَقَى شَابِكِ مَنَازِلَ أَعْرَاهَا الْأَئِسْنُ وَمَلْعَبَا

وقوله أيضًا (الديوان ص ٦٥):

ثُمَّ اكْفَهَرَتْ شَرِيقَى اللَّوِى وَأَوَى إِلَى تَوَالِيهِ مِنْ سُفَارَهُ رَفِقُ

وقول ملبح الهذلي (معجم البلدان - زيزاء):

وَمِنْ دُونَ ذِكْرِهَا الَّتِي خَطَرَتْ لَنَا بَشَرَقَى نَعْمَانَ الشَّرِى وَالْمَعْرَقَ

وقول قيس الجنون (أمالى القالى ١/١٣٦):

سَقَى طَلَ الْدَّارَ الَّتِي أَنْتُمْ بِهَا بَشَرَقَى لَبَنَى صَيْفَ وَرَبِيعَ

وقول الطِّرْمَاح (الشعر والشعراء ٥٦٨/٢):

فخرت بيوم العقر شرقى بابل وقد جنت فيه تميم وفلتـ

وقول إسماعيل بن عمار الأسدى (معجم ما استعجم ٥٩٦/٢ - دير اللج):

ما أنس سعدة والزرقاء يوم هما باللـج شرقـه فوق الدـكـاـكـين

وقال أبو نواس (الديوان):

ولم أدرِ مـن هـم غير ما شـهـدـتـ به بـشـرقـي سـابـاطـ الـدـيـارـ الـبـاسـ

وقول بعضهم في قصر ابن هبيرة (تأريخ الطبرى ٧): (وكان شرقى الكوفة مما يلى بغداد).

وقول الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمданى (صفة جزيرة العرب ص ٤٣٦): (ووادي جلذان منقلب إلى نجد شرقى الطائف يسكنه بنو هلال).

وقول ياقوت الحموي في معجم البلدان في (أسوان): (في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل من شرقـه)، قوله في الكتاب نفسه في (تدمير): (وهي شرقـي قـرطـبةـ).

بـ- وـنـحـوـ غـرـبـيـ:

قول ابن حزم الأندلسى (طوق الحمامـةـ ص ٧٧): (قال لي فـتـرـهـناـ يـوـمـاـ إـلـىـ بعضـ ضـيـاعـنـاـ بـالـسـهـلـةـ غـرـبـيـ قـرـطـبةــ).

وقول الصعاني (التكلـمةـ وـالـذـيـلـ وـالـصـلـةـ ٣١٥/١): (الـزـيـتونـ قـرـيـةـ عـلـىـ

غربيَّ النيل).

وقول أبي الفداء (مجاني الأدب ٢٠٧/١) (وهي في ذيل الجبل من غربيَّه)، قوله (مجاني الأدب ٢١٠/١): (والجبل من غربِ المدينة).

وقول ابن حوقل (صورة الأرض ص ٦٠) (وما الغرب فبعضه ممتد على بحر المغرب من غربيَّه).

وقول القزويني في (إفرنجة) (مجاني الأدب ٢٢٤/١): (في آخر غربِ الإقليم السادس).

وقول أبي عبيد السكوني في (أجا) (تاج العروس ٤٠/١ بولاق): (أحد جبلي طيء وهو غربيَّ فيد).

وقول ياقوت الحموي في (الأنبار) (معجم البلدان - الأنبار): (مدينة على الفرات في غربِ بغداد).

وقول ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون ص ٥٣) (الإقليم الأول وفيه من جهة غربِيَّة الجزر الخالدات).

وقول ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٢٢/٤ بولاق) في نبتة: يقال لها في الأندلس (بيتب): (ويُدبغ بها الجلد بغربيِّ بلاد الأندلس). على أننا سنراه يحذف الياء في موضع آخر من الكتاب.

وقول أحمد المقرى التلمساني في الجزر الخالدات (فتح الطيب): (وهي غربِيَّة مدينة سلا). وسنراه يحذف الياء في موضع آخر من الكتاب.

ج- ونحو شمالى:

قول الصغاني (التكلمة والذيل والصلة ٤٥٩/١): (صهرجت قريتان من قرى مصر شمالى القاهرة).

وقول الفيروزآبادى (القاموس - العمود): (والعمادية قلعة شمالى الموصل).

وقول أبي الفداء في نصيبين (مجاني الأدب ٢١٥/١): (في شماليتها جبل كبير).

وقول ابن خلدون في جزيرة إنجلترا (مقدمة ابن خلدون ص ٧٧): (ووراء هذه الجزيرة في شمالى الجزء الثاني جزيرة رسلاند).

وقول ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٧١/٢): (وقد شاهدت نباته ... بالضياعة المعروفة بكفر السلوان شمالى الضياعة المعروفة).

أما (شمال) بمعنى اليد اليسرى فلا تلحقها ياء النسب المشددة عند إضافتها لأنها ليست من الجهات الأربع، جاء في تتوير المقباس من تفسير ابن عباس: (شمال بنى آدم) وذلك في تفسير قوله تعالى: (عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدَةً) (ق/١٧).

د- ونحو جنوبي:

قول أبي الفداء في الموصل (مجاني الأدب ٢١٤/١): (في جنوبى الموصل يصب الزاب الأصغر إلى دجلة).

وقول ياقوت الحموي في أندريين (معجم البلدان - أندريين): (اسم قرية في

جنوبيَّ حلب). وقوله في معجمه أيضًا في (التبير): (وإليها ينسب الذهب الخالص وهي في جنوبيَّ المغرب).

هـ- النصوص المذكورة آنفًا:

فالنصوص التي ذكرتها آنفًا، وهي أربعة وأربعون نصاً، تشهد لإثبات ياء النسب المشددة في آخر الجهات الأربع عند إضافتها، عشرة منها هي لتسعة من العرب القدماء الفصحاء المستشهد بلغتهم، والباقي منها هو لثلاثة عشر من المؤلِّفين وأكثرهم من المعروفين بجودة لغتهم.

ـ٣ـ مما لم يلحق بآخره ياء النسب:

أـ نحو شرق:

قول المتibi (سرقات المتibi ومشكل معانيه ص ١٠٣):

تصدت من شرقها ومغربها حتى اشتكت الركابُ والسبلُ

وقول ابن الخطاط الدمشقي (الديوان ص ١٧٧):

من الزهر لا يُفَيِّن إِلَّا كواكبَ طوالع في شرق الزمان وغربه

وقول علي بن محمد الهمذاني في اشتياقه إلى بغداد (تأريخ بغداد ٥٢/١):

فقد طفت في شرق البلاد وغربها وسَيَرَت رحلَى بينها وركابَها

وقول الطبيب أبي العباس النباتي (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية

.): (بشرق بلاد العدوة).

وقول ابن البيطار في الكتاب نفسه (١٧٨/١): (وهي تربة العسل عند أهل شرق الأندلس).

وقول لسان الدين بن الخطيب:

ضاق عن وjadi بكم رحب الفضا
لا يبالي شرقه من غربه

ب- ونحو غرب:

قول لسان الدين بن الخطيب المذكور آنفًا وفيه: لا يبالي شرقه من غربه.

وقول علي بن محمد الهمذاني المذكور آنفًا وفيه: فقد طفتُ في شرق البلاد
وغربها.

وقول ابن الخطاط الدمشقي المذكور آنفًا وفيه: طوالع في شرق الزمان
وغربها.

ج- ونحو شمال:

قول أحمد المقرري التلمساني في جزيرة بريطانية (فتح الطيب ١٦٧/١):
(وهي بوسط البحر المتوسط بأقصى شمال الأندلس).

د- ونحو جنوب:

قول النابغة الذبياني (طراز المجالس ص ٢٦٣ - طبعة قديمة):

وَقُلْنَ لَهَا إِنَّ رَبَّ الْعَبادِ جنوب السخال إلى يسترب^(١)

(١) يسترب بالتاء المثلثة من فوق قرية باليامنة.

وقول زفر بن الحارث الكلابي (مجلة البلقاء، الجامعة الأهلية بعمان، العدد ١٥٦/٢ أيار ١٩٩٢) :

فجنوب عَكَا فالسواحل إنها أرض تذوب بها اللقاح وتهزلُ

وقول بعضهم (أساس البلاغة ص ٤٨٤) :

نجمن أنوار الربيع لمسالِ فلذى قضين إلى جنوب الساحلِ

وجوز الأستاذان محمد جواد النوري وعلى خليل أحمد في مجلة البلقاء (العدد ٢١٤/٢ - أيار ١٩٩٢) أن يكون البيت ملتقاً من بيتين، وذكرا البيتين، فلم يكن فيما (جنوب)، ومع ذلك، فرواية (جنوب) في هذا البيت شاهد يعول عليه.

وللشريف المرتضى بيت هو في (طيف الخيال ص ١٣٠) وهو:

وطيف منكم بجَنْبُوب نجد أراني من زيارتكم مثلا

وفيه (جنوب) بضم فضه وكأنها جمع (جنب)، كحد، وخذود، وسنهب وسهوب. وأفاد محقق الكتاب الأستاذ حسن كامل الصيرفي أنها في أصل الديوان (بنجوب). قلت: فالبيت فيه موضع للأخذ والرد والأولى أن لا يتخذ شاهداً.

هـ- النصوص المذكورة آنفاً:

فالنصوص التي مررت بنا آنفاً، وهي عشرة نصوص، تشهد لجوائز أن يغفل استعمال ياء النسب المشددة في آخر الجهات الأربع عند إضافتها، نصتان منها لشاعرين قدمين فصيحين يستشهد بلغتهما، ونص ثالث يدل على قدم قائله

وأصلالة لغته، وما بقي من النصوص هو لسبعة من المؤلدين.

٤- تقعيد قاعدة نحوية:

وقد قعَدتْ ما تقدَّمُ قاعدةً نحويةً حقها أن تكون في باب الإضافة من كتب النحو وهي:

إذا أضيفت جهة من الجهات الأربع الشرق والغرب والشمال والجنوب، وكلها بفتح أولها، فالأكثر أن يلحق بآخرها ياء النسب المشددة، كقول زهير بن أبي سلمى:

ثم استمرروا وقالوا إن مشربكم ماء شرقي سلمى فيـأـ أو فـنـكـ

وقول مالك بن الريب:

بين المنيفـةـ حيثـ استـنـ مدـفـعـهاـ وبينـ فـرـدـةـ منـ شـرـقـهاـ قـبـلاـ

وكلما يغفل إثبات ياء النسب في آخرها عند إضافتها، كقول النابغة الذبياني:

وـقـلـنـ لـحـاـ اللـهـ رـبـ الـعـبـادـ جـنـوبـ السـيـخـالـ إـلـىـ يـسـرـبـ

تعليق:

إني وضعـتـ نـصـوصـ الـيـاءـ المـشـدـدـةـ فـيـ كـفـةـ الـمـيزـانـ، وـوـضـعـتـ النـصـوصـ الـتـيـ بـلـ يـاءـ مـشـدـدـةـ فـيـ الـكـفـةـ الـأـخـرـىـ مـنـ الـمـيزـانـ، فـلـمـ رـجـحـتـ كـفـةـ الـيـاءـ المـشـدـدـةـ، وـشـالـتـ الـكـفـةـ الـأـخـرـىـ، جـعـلـتـ الـقـاعـدـةـ عـلـىـ النـحـوـ الـمـذـكـورـ آـنـفـاـ. فـمـ اـسـتـطـاعـ أـنـ يـجـمـعـ مـزـيدـاـ مـنـ الـنـصـوصـ لـلـكـفـتـيـنـ، وـهـوـ جـادـ وـأـمـيـنـ فـيـ جـمـعـهـ، بـمـاـ يـجـعـلـ الـكـفـةـ

الشائلة هي الراجحة، أو بما يجعل الكفتيين متعادلين، فليأتنا بنصوصه، فعندئذ تعدل القاعدة بمقتضى ذلك، وما أظن ذلك بكان.

٥- القاعدة وأدباء العصور الحديثة:

ولا أذكر أني رأيت أحداً من أدباء العصور الحديثة يلحق بآية النسب بأخر جهة من الجهات الأربع عند الإضافة، لأنهم لم يقطعوا بها، أو كانوا منهم أشروا التخفيف والاختصار، مقتدين بقدماء فصحاء كالنابغة الذبياني، وذلك منهم صحيح صحيح. ومنم لم يلحقها مترجم الكتاب المقدس إلى العربية. جاء في ترجمته له (وبعدهم إلى جونة التي شمال دمشق) (الإصحاح الرابع عشر)^(١) والأستاذ عباس محمود العقاد، قال في كتابه (عقربية المسيح): (هجرت بيت المقدس إلى شرق الأردن) (ص ١٤٨)، والشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب (ج ٥ و ٦ حزيران ١٩٩٢) كقوله في المدينة المنورة (من شرقها) ص ٣٢٥، وك قوله (جنوب ميناء جازان) ص ٣٤٧. والشاعر محمد مهدي الجواهري (الديوان ٣/٢٤٦):

لتریک افراح العراق شماليه و جنوبیه و شیبیة و کهولا

٦ - تذییل:

وقد وجدت من يقول (الشمال الإفريقي)، كقول الدكتور حسين مؤنس في مقدمة كتابه (فتح العرب للمغرب) : (دخول الشمال الإفريقي). وأنا أشنأ هذا

(١) مترجم الكتاب المقدس في الأصل هو اللغو العمّة أحمد فارس الشدياق، ولكن ترجمته أشرف عليها أستاذ في جامعة أوكسفورد، فكان يلزمها بتغيير أكثر تعبير ترجمته لكي يفهمها العوام، ولكي تكون بعيدة من أسلوب القرآن، وبعد أن فرغ من الترجمة بلغه أن الأستاذ التوتونجي راجعها فغير كثيرا منها زاعماً أنه يصح بذلك لغتها، فاغتاظ منه الشدياق، وشتمه ثرا وشرعاً، وأفحش في ذلك، فما أدرى من كتب عبارة الكتاب المقدس: (شمال دمشق).

التعبير وإن كنت لا أميل إلى تخطّته، ذلك بأنني لم أر نظيرًا له فيما قرأت من كتب السلف، وكأنه مقلوب. وقد مرَّ بنا أن الطرماتح قال: (شرقيَّ بابل) ولم يقل: الشرق البابلي، وأن الصغاني قال: (على غربيَّ النيل) ولم يقل: على الغرب النيلي، وأن الحموي قال: (في جنوبِيَّ حلب)، ولم يقل: في الجنوب الحلبِيَّ، وأن الصغاني قال: (شماليَّ القاهرة)، ولم يقل: الشمال القاهريِّ، فإن كان قول الدكتور حسين مؤنس حسناً فالأحسن أن يقول: بدخول شماليَّ إفريقيا، أو: بدخول شمال إفريقيا. واستعمل من بعده (الشمال الإفريقي) أستاذ لغويٌّ، وذلك في مجلة اللغة العربية بدمشق (مج ٥٦ ج ٢ ص ٤١٠)، ومن أجل أنه لغويٌّ انتقدت عليه ذلك في المجلة نفسها، بأن قلت (استعمل في مقالته ما ليس بالسمواع كقوله: بلدان الشمال الإفريقي) (مج ٥٨ ج ٤ ص ٨٢٥)، ولم أزد ولم أوضح، وفي قوله هنا زيادة على ما قلت، وايضاح له، ولكل قول إبان.

- ختام:

هذه القاعدة النحوية على ما أراه من صوابها، لو كانت طَعْمتَ بمزيد من الشواهد الجاهلية والإسلامية لتشهد في فرعيها لسائر الجهات الأربع أو لأكثرها وكانت أجود وأحمد، وقد مضت علىَّ عدة سنين، وأنا في مدينة شفيلد بعيدٍ من خزائن الكتب العربية، فتعذرَ علىَّ الاستزادة من الشواهد، ثم إنني وجدتني قد أخذت السن مني، وتتفق شئني، وانحنت صندقي، فرأيت أن أنشر القاعدة وهي على حالها هذه، وعسى أن يكرّها البصير في النحو واللغة بقبولِ حسن. فإن كان له ما يخالفني فيه، فأنا مُعَذَّل لأن أتعلم منه، وعسى أن يكون محوطاً بنور العلم، ومنوطاً بنصحِّ الجيب، لتحسين الفائدَة، وتروق العائدَة، وفوق كل ذي علم عليم.

أخبار مجتمعية

مشروع

"المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة"

- وافق مجلس اتحاد المجاميع اللغوية العلمية العربية في التوصية الرابعة من التوصيات التي صدرت عنه عام ١٩٩٨م. على إعداد مشروع معجم موحد لألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي وأن يقوم كل مجتمع من مجامع اللغة العربية في الوطن العربي بدوره في هذا المشروع من خلال قيامه بجمع ألفاظ الحياة العامة في القطر الذي ينتمي إليه.
- وقد ناقش مجلس مجمع اللغة العربية الأردني هذا المشروع، ووافق على أن يقوم المجمع بواجبه في هذا المشروع المهم على مستوى الأردن والوطن العربي. وألف لجنة من أعضائه سماها "لجنة مشروع معجم ألفاظ الحياة العامة"، وعهد إليها بوضع الوسائل الكفيلة لإنجاز هذا العمل في الأردن، وتكون مهمتها وضع الخطوط الأساسية وأليات التنفيذ ومنهجية العمل والجهات التي يمكن أن يتعاون معها المجمع لإنجاز هذا المشروع.
- درست اللجنة المشروع من جميع جوانبه العلمية والاجتماعية واللغوية والمالية، وبيّنت أبعاده الوطنية والقومية بالنسبة للأردن وللعالم العربي، ووضعت منهجية واضحة للعمل، وتصوراً مالياً لتكلفة هذا المشروع.

أهداف المشروع:

يهدف هذا المشروع إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. إغناء اللغة العربية بألفاظ حضارية جديدة في مختلف جوانب الحياة اليومية.

٢. المحافظة على اللغة العربية وتوظيفها توظيفاً سليماً في الحياة اليومية والعمل على تنصيب الألفاظ العامة التي تعود إلى أصول فصيحة.
٣. توحيد مسميات ألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي.
٤. إفاده الباحثين والدارسين والكتاب والصحفيين وعلماء الاجتماع في دراسة الظواهر الاجتماعية والحضارية في الأقطار العربية.
٥. توحيد لغة وسائل الإعلام والصحافة على مستوى الوطن العربي.
٦. التقليل من الخلافات واللهجات المحلية المحكية بين أبناء الأمة العربية في مجال مسميات ألفاظ الحياة العامة.
٧. إصدار معجم موحد لألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي أسوة بما تقوم به الأمم الأخرى في هذا المجال.

منهجية العمل وآلية التنفيذ:

- إن مجمع اللغة العربية الأردني يؤمن أن كل عمل كبير لا بد له من جهود توأزية، وأن هذا المشروع هو عمل وطني وقومي مهم وضروري، وهو يحتاج إلى تضافر جهود كبيرة لإنجازه، ولا شك أن من أهم مقومات نجاح أي عمل أن يؤمن القائمون عليه بأهميته، ويشعروا بمدى الحاجة إليه، وينطلقوا بجد وحماسة لإنجازه من خلال خطة عمل محكمة ومنهجية واضحة وآلية تنفيذ ميسرة، وتمويل مالي كاف. ورأى اللجنة أن يقسم العمل في هذا المشروع إلى مرحلتين:
- المرحلة الأولى: تتمثل في جمع ألفاظ الحياة العامة وتسجيلها في البطاقات حسب النموذج الذي أعده المجمع، وتدقيقها من اللجان الفرعية التي شكلها المجمع، وإرسالها إلى المجمع من أجل العمل على اتخاذ الإجراءات اللازمة لتخزينها في الحاسوب في وحدة الحاسوب بالمجمع.

• المرحلة الثانية: تشذيب الألفاظ وغربلتها وانتقاء لفظة أو لفظتين للمصطلح الواحد في ضوء معايير معينة مثل الشیوú والفصاحة والسهولة على مستوى الأردن. وسيرسل المشروع الأردني بعد ذلك إلى اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية لتوحيد هذه المسميات على مستوى الوطن العربي في ضوء المعايير التي ستعتمد لها اللجان الفنية التي سيشكلها اتحاد المجامع لهذه الغاية. وفي الوقت نفسه سيقوم المجمع بنشر المشروع الأردني وتوزيعه، تمهيداً لصدور المعجم العربي الموحد لأنواع الحياة العامة على مستوى الوطن العربي.

ومن أجل إنجاز المرحلة الأولى وضعـت اللجنة خطة العمل الآتية:

أولاً: مراكز العمل:

رأـت اللجنة أن تقسم المملكة من الناحية الجغرافية والسكانية إلى أربعـة مراكـز رئيسـية، وأن يكونـ في كل مراكـز لجنة فرعـية مؤـلفـة من رئيسـ وعضـويـن من العـلمـاء المتـخصصـين بالـلغـة العـربـية المتـحـمـسين لـهـاـ المـشـروعـ، والمـدرـكـين لـجـدواـهـ الـعـلـمـيـ، والـرـاغـبـينـ فيـ بـذـلـ أـقـصـىـ جـهـدـ لـخـدـمـةـ الـلـغـةـ العـربـيـةـ، وـذـلـكـ عـلـىـ النـحوـ الـأـتـيـ:

- أـ لـجـنةـ فـرعـيـةـ فـيـ جـامـعـةـ الـيرـموـكـ، وـتـكـونـ بـرـئـاسـةـ الأـسـتـاذـ الـدـكـتـورـ يـوسـفـ بـكـارـ وـعـضـويـةـ الأـسـتـاذـ الـدـكـتـورـ سـمـيرـ اـسـتـيـتـيـةـ وـالـدـكـتـورـ عـلـيـ الـحـمـدـ، وـتـكـونـ مـنـطـقـتهاـ الـجـغـرـافـيـةـ مـحـافـظـةـ إـرـبـدـ بـكـامـلـهاـ، وـمـحـافـظـةـ عـجلـونـ وـمـحـافـظـةـ جـرـشـ.
- بـ لـجـنةـ فـرعـيـةـ فـيـ الجـامـعـةـ الـأـرـدـنـيـةـ، بـرـئـاسـةـ الـدـكـتـورـ إـسـمـاعـيلـ عـمـاـيـرـةـ وـعـضـويـةـ الـدـكـتـورـ عـبـدـالـكـرـيمـ الـحـيـارـيـ وـالـدـكـتـورـ مـأـمـونـ جـرـارـ، وـتـكـونـ

- منطقتها الجغرافية محافظة العاصمة ومحافظة البلقاء ومحافظة مادبا.
- ج - لجنة فرعية في جامعة مؤتة، برئاسة الدكتور سمير الدروبي وعضوية الأستاذ الدكتور محمد البكاء والدكتور فايز القيسي، تكون منطة عملها محافظة الكرك ومحافظة الطفيلة ومحافظة معان، ومحافظة العقبة.
- د - لجنة فرعية في الجامعة الهاشمية، برئاسة الأستاذ الدكتور محمد حور، وعضوية الدكتور عبدالكريم مجاهد والسيدة خلود العموش، ومنطقة عملها محافظة الزرقاء ومحافظة المفرق.

ثانياً: مهام اللجنة الفرعية:

حدد المجمع مهام اللجان الفرعية بما يأتي:

- 1 رسم خطة عمل وأالية تفيذ متكاملة لجمع ألفاظ الحياة العامة المستعملة في المنطقة المحددة لها حسب النموذج الذي أعده المجمع لهذه الغاية.
- 2 اختيار الباحثين الذين ترغب اللجنة في تكليفهم القيام بهذا العمل وتحديد عددهم.
- 3 يشمل جمع الألفاظ ما هو مستعمل في البدائية والريف والمدينة من خلال الشرائح الاجتماعية الموجودة فيها.
- 4 اللجنة الفرعية هي المسؤولة عن قبول المصطلحات أو رفضها.
- 5 تقوم اللجنة بتدقيق النماذج المقدمة إليها من الباحثين وتقديمها إلى المجمع.
- 6 تقوم اللجنة الفرعية بملء بند (أصل المصطلح) في النموذج المعد لهذه الغاية.
- 7 تعقد اللجنة الفرعية اجتماعاتها في مركزها وترسل نسخة من

محاضر اجتماعاتها إلى المجمع لتسهيل عملية الإجراءات المالية.

-٨ يجتمع رؤساء اللجان الفرعية مع لجنة معجم ألفاظ الحياة العامة في مقر المجمع بعمان حسب متطلبات العمل والترتيبات التي سينظمها المجمع.

المؤتمرات والندوات والمحاضرات

• انطلاقاً من حرص المجتمع على المشاركة الفاعلة في المؤتمرات والندوات العلمية والأدبية التي تعقد داخل الأردن وخارجه، فقد شارك الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس المجتمع في مؤتمر التعریب "الثامن والتاسع" الذي عقد في مراکش تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية في الفترة بين السابع والحادي عشر من محرم ١٤١٩ هـ الموافق الرابع والثامن من أيار ١٩٩٨ م.

وقد صدر عن المؤتمر التقرير الختامي الذي اشتمل على التوصيات الخاصة والعامة كما يأتي:

التوصيات

أولاً: التوصيات الخاصة:

- ١- إقرار المعاجم المعروضة على المؤتمر، وطبعها بعد وضع اللمسات الأخيرة في ضوء ملاحظات اللجان المتخصصة.
- ٢- موافقة الالتزام بالمبادئ الأساسية الصادرة عن ندوة الرباط ١٩٨١، وندوة عمان ١٩٩٣ حول منهجية وضع المصطلحات.
- ٣- تزويد كل المعاجم الموحدة بمقدمة نظرية تتضمن المصادر المعتمدة والمعلومات الأساسية الخاصة بكل معجم.
- ٤- الحرص على دقة التطابق بين المصطلحين الإنجليزي والفرنسي، ومواصلة تزويد المعجم بفهرسين عربي وفرنسي، مع وضع أرقام التسلسل المثبتة في الترتيب الإنجليزي.

- ٥- وضع تعريف موجز ونقيّق للمصطلحات العربية، في القابل من مشروعات مكتب تنسيق التعریب.
- ٦- ضبط مصطلحات المعاجم الموحدة بالشكل التام، ضماناً لقراءتها بطريقة سليمة، وذلك في مقبل أعمال المكتب المصطلحية.
- ٧- تطوير وتحديث المعاجمات الموحدة مرة كل خمس سنوات، لاستدراك النقص وإضافة المستحدث.
- ٨- إيجاد آلية مناسبة لتسهيل تداول المعاجم الموحدة على نطاق واسع.

ثانياً: التوصيات العامة:

- ١- يؤكد المؤتمر ما سبق أن أقرته مؤتمرات التعریب السابقة من ضرورة العناية باللغة العربية والتعریب، انطلاقاً من أن اللغة العربية مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة العربية واستمرارها، وكل خطر يهدد اللغة هو خطر يهدد شخصية الأمة واستمراريتها وارتباط ما بين أجيالها، خاصة أن هذه اللغة قادرة على الوفاء بتهيئة سبل التقدم العلمي والاجتماعي، بما لها من خصائص ذاتية، وما في تراثها من زاد غني يساعدها على أن تكون لغة الحضارة.
- ٢- دعوة وزارات التربية والتعليم والمعارف في الدول العربية والمنظمات العربية الإسلامية إلى الإلقاء من كل الأدوات العلمية والثقافية والإعلامية، لنشر الوعي التعریبي وبيان أهمية اللغة في تربية قدرات الإنسان وتشكيل مستقبله.
- ٣- دعوة الدول العربية إلى دعم وتعزيز مجهودات التعریب، وذلك عن طريق إنشاء وحدات متخصصة تهتم بقضايا اللغة العربية والمصطلح والترجمة.

- ٤- السعي لدى الحكومات العربية لاتخاذ القرارات المناسبة لجعل اللغة العربية لغة تدريس وتعليم في المؤسسات الأكاديمية، وتأكيد أهمية تعزيز دور الحكومات في تعريب الوسط الإداري والاجتماعي.
- ٥- المساهمة في معالجة مشكلات قضايا التعريب في الدول العربية، اعتماداً على النتائج التي تتوصل إليها الدراسات والبحوث حول هذه المشكلات، لتشخيص أسباب المعوقات، وتوفير الحلول الممكنة.
- ٦- الاستفادة من تجارب الدول العربية التي قطعت شوطاً كبيراً في ميدان التعريب، وتقادي تكرار الجهود السابقة.
- ٧- تصور خطط واعية لتطبيق التعريب في الدول العربية التي تعاني من عدم توفر إمكانات التطبيق، للتلبية رغباتها في تبني التعريب، على أساس التدرج في التنفيذ.
- ٨- السعي إلى إيجاد السبل الناجعة لإقامة أي نوع من التعاون بين المؤسسات العلمية العربية المعنية بشؤون المصطلح والتعريب والترجمة.
- ٩- دعم مكتب تنسيق التعريب، مادياً ومعنوياً حتى يتمكن من القيام بمهمنه على خير وجه.
- ١٠- تخصيص جوائز تشجيعية للأعمال المصطلحية المتميزة الصادرة عن المؤسسات والأفراد العاملين في هذا المجال.
- ١١- دعوة جميع الحكومات والهيئات العربية المعنية بخدمة مستقبل اللغة العربية، لتقديم كل دعم ممكن لمشروع الذخيرة اللغوية العربية، أملاً في توظيف جميع الإمكانيات التقنية الحديثة من أجل خدمة مستقبل هذه اللغة الشريفة.

الموسم الثقافي السادس عشر

يحرص المجمع على إقامة موسمه الثقافي كل عام ليكون مساهمة فاعلة في تنشيط الحركة الثقافية، ومعالجة كثير من القضايا التي تتعلق باللغة العربية وتيسير تعليمها وتعزيز مكانتها، لتكون لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي في جامعاتنا العربية ومؤسساتها العلمية.

وقد اختار المجمع هذا العام موضوع "تيسير تعلم اللغة العربية" محوراً لموسمه الثقافي السادس عشر، اشتمل الموسم على ست محاضرات موزعة على ستة أسابيع كما يأتي:

- المحاضرة الأولى يوم السبت ٢٨ ذو الحجة، ١٤١٨هـ - ٢٥ نيسان ١٩٩٨م عنوانها "أساسيات النحو العربي وتيسير تعلمه" ألقاها الأستاذ الدكتور تمام حسان/ دار العلوم - جامعة القاهرة.
- المحاضرة الثانية يوم السبت ١٣ محرم الحرام ١٤١٩هـ - ٩ أيار ١٩٩٨م عنوانها "أساسيات الصرف العربي لاكتساب اللغة السليمة" ألقاها الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي/ العراق عضو مجمع اللغة العربية الأردني.
- المحاضرة الثالثة يوم السبت ٢٠ محرم الحرام ١٤١٩هـ - ١٦ أيار ١٩٩٨م عنوانها "تيسير تعلم الخط العربي"، ألقاها الأستاذ يوسف ذنون/ كلية الآداب - جامعة الموصل.
- المحاضرة الرابعة يوم السبت ٢٧ محرم الحرام ١٤١٩هـ - ٢٣ أيار ١٩٩٨م عنوانها "اللغة العربية الرياضية، من أين بدأت، وكيف نشأت؟" ألقاها الأستاذ الدكتور رشدي راشد، مصر، مدير مركز تاريخ العلوم

والفلسفات العربية والقرون الوسطى - باريس.

- المحاضرة الخامسة يوم السبت ٥ صفر ١٤١٩ هـ - ٣٠ أيار ١٩٩٨ معنوانها "تيسير تعلم اللغة العربية، قراءة واستيعاباً وتعبيرأً" ألقاها الأستاذ الدكتور محمود السيد/ كلية التربية - جامعة دمشق.
- المحاضرة السادسة يوم السبت ١٢ صفر ١٤١٩ هـ - ٦ حزيران ١٩٩٨ م، عنوانها "تيسير تعلم الإملاء والترقيم" ألقاها الدكتور عدنان الدليمي/ العراق عميد كلية الآداب - جامعة الزرقاء الأهلية.

رسائل الدكتوراة والماجستير

حرصاً من المجمع على التعاون والتسيق مع المؤسسات العلمية والأكاديمية، وعلى رأسها الجامعة الأردنية، فقد تمت في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع مناقشة الرسائل الآتية المقدمة إلى الجامعة الأردنية...

رسالة دكتوراة بعنوان

"المفاهيم اللغوية عند الفرق الإسلامية"

مقدمة من الطالبة أمان سليمان حمدان أبو صالح.

وتتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور نهاد الموسى (المشرف) رئيساً وعضوية: الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة والدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور فهمي راجح جدعان. وذلك يوم الإثنين الخامس من ربيع الأول ١٤١٩هـ الموافق التاسع والعشرين من حزيران ١٩٩٨م.

رسالة دكتوراة بعنوان:

"حركة الشعر في بنى قيس بن ثعلبة - من بكر بن وائل - في العصر الجاهلي"

مقدمة من الطالب محمد موسى علي العبسي.

وتتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور هاشم ياغي (المشرف) رئيساً وعضوية: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى والأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن والأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن. وذلك يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الأول ١٤١٩هـ، الموافق الثامن من تموز ١٩٩٨م.

رسالة دكتوراة بعنوان:

"محمود محمد شاكر... الأديب الناقد".

مقدمة من الطالب إبراهيم محمد محمود كوفحي.

وتتألفت لجنة المناقشة من: الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور إحسان عباس والأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن والأستاذ الدكتور محمد إبراهيم حور. وذلك يوم الإثنين الرابع من ربيع الآخر ١٤١٩هـ الموافق السابع والعشرين من تموز ١٩٩٨م.

رسالة دكتوراة بعنوان:

"مكانة ابن يعيش في الصرف العربي"

مقدمة من الطالبة سهى فتحي أسعد نعجة.

وتتألفت لجنة المناقشة من: الدكتور جعفر عابنة (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى والدكتور محمد حسن عواد والدكتور عبد الحميد السيد. وذلك يوم الأربعاء السادس من ربيع الآخر ١٤١٩هـ الموافق التاسع والعشرين من تموز ١٩٩٨م.

رسالة دكتوراة بعنوان:

"نظريّة التعلييل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين".

مقدمة من الطالب: حسن خميس سعيد الملخ.

وتتألفت لجنة المناقشة من: الدكتور جعفر عابنة (المشرف) رئيساً،

وعضوية: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى، والدكتور محمد حسن عواد والدكتور عبد الحميد السيد وذلك يوم التاسع من ربيع الآخر ١٤١٩هـ. الموافق الأول من آب م ١٩٩٨.

رسالة دكتوراه بعنوان:

"الكتابة الديوانية في عهد النبوة والخلافة الراشدة".

مقدمة من الطالبة: فريال عبد الله محمود هبيب.

وتتألفت لجنة المناقشة من: الأستاذ الدكتور صلاح جرار (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري والأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن والأستاذ الدكتور مصطفى عليان وذلك يوم الثاني عشر من ربيع الآخر ١٤١٩هـ الموافق الرابع من آب م ١٩٩٨.

رسالة ماجستير بعنوان:

"ترجمة الكاتب في آداب الصاحب للشعالي - دراسة وتحقيق".

مقدمة من الطالب: علي ذيب زايد زايد.

وتتألفت لجنة المناقشة من: الأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن (المشرف) رئيساً وعضوية: الأستاذ الدكتور صلاح جرار، والدكتور جاسر أبو صفية، والدكتور عودة أبو عودة، وذلك يوم السبت الثالث من ربيع الأول ١٤١٩هـ، الموافق السابع والعشرين من حزيران م ١٩٩٨.

رسالة ماجستير بعنوان:

"موسيقى الشعر بين النظرية والتطبيق عند حازم القرطاجني".

مقدمة من الطالبة: فريدة غالب الزيود.

وتتألفت لجنة المناقشة من: الدكتور إبراهيم خليل (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين، والدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور يوسف حسين بكار. وذلك يوم السبت الثاني من ربىع الآخر ١٤١٩هـ الموافق الخامس والعشرين من تموز ١٩٩٨م.

رسالة ماجستير بعنوان:

"الحركة في الشعر الجاهلي".

مقدمة من الطالبة ختم محمد الطنطاوي.

وتتألفت لجنة المناقشة من: الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين (المشرف) رئيساً. وعضوية: الأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن والأستاذ الدكتور محمد برkat أبو علي والأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن. وذلك يوم الثلاثاء الخامس من ربىع الآخر ١٤١٩هـ الموافق الثامن والعشرين من تموز ١٩٩٨م.

رسالة ماجстير بعنوان:

"الترادف في العربية من منظور تارخي مقارن".

مقدمة من الطالبة كفاح وليد إبراهيم محمد درويش.

وتتألفت لجنة المناقشة من: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى (المشرف) رئيساً. وعضوية: الأستاذ الدكتور إسماعيل عمابرة والدكتور جعفر عبابنة والدكتور عبد الحميد السيد. وذلك يوم الإثنين الحادي عشر من ربىع الآخر ١٤١٩هـ الموافق الثالث من آب ١٩٩٨م.



ISSN 0258 - 1094



**JOURNAL
Of The Jordan Academy Of Arabic**



No . 55

Thu AL- Qadah1418 - Rabia II 1419

VOL XXII

July - December 1998